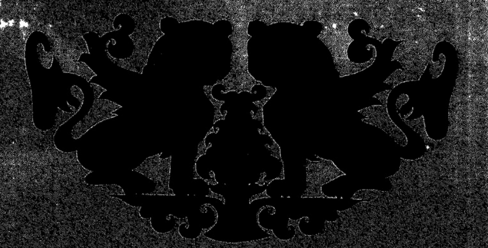
وثائق ندوة السويس الدولية



معركة السويس

[ثلاثون عامًا]

وثائق وشهادات تاريخية بأقلام :

محمد حسنين هيكل — أمين هويدي

محمد عزيز كامل — مايكل فوت

أنتوني ناتنج — ديميتشنكو

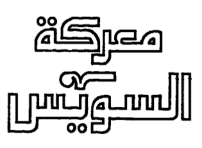
سليمان حزين — كلود جوليان

كينيث كاسل — مارتن روبنا

[illegible] — أحمد عبد الرحمن

[illegible]

دار الشروق

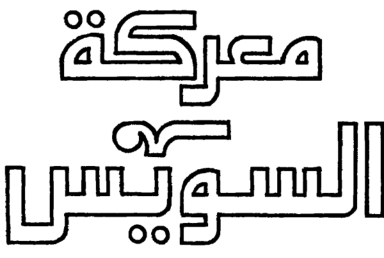

معركة
السويس

الطبعـــة الأولى

١٤٠٩ هـ ـ ١٩٨٩ م

القاهرة : ١٦ شارع جواد حسني ـ هاتف : ٣٩٣٤٥٧٨ ـ ٣٩٣٤٨١٤
برقياً : شروق ـ تلكس : 93091 SHROK UN
بيروت : ص . ب : ٨٠٦٤ ـ هاتف : ٣١٥٨٥٩ ـ ٨١٧٧٦٥ ـ ٨١٧٢١٣
برقياً : داشروق ـ تلكس : SHOROK 20175 LE

وثائق ندوة السويس الدولية



[ثلاثون عامًا]

وثائق وشهادات تاريخية بأقلام :

محمد حسنين هيكل
محمد عزت كامل
أنتوني ناتنج
ستيفن جرين
كيت كاسل
خليفة الجندي
أمين هويدي
مايكل فوت
ديمتشنكو
كلود جوليان
مارتن روبا
أحمد عبد الرحمن



اللجنة المصرية لتضامن
الشعوب الأفريقية الآسيوية

دار الشروق

محتويات الكتاب

صفحة

مُقـدمـة

كلمة أحمد حمروش

رئيس اللجنة المصرية للتضامن الأفريقي الآسيوى

في افتتاح الندوة

يسعدنى ويشرفنى باسم اللجنة المصرية للتضامن أن أحييكم وأشكر لكم تفضلكم بالحضور للمشاركة فى هذه الندوة التى نعقدها بمناسبة مرور ٣٠ عاما على تأميم قناة السويس ، هذا الحدث الكبير الذى أثر تأثيرا كبيراً فى ثوابت كانت راسخة ومتوارثة منذ كان الاستعمار والاحتلال .

وتأميم قناة السويس لم يكن قرارا له سوابق مماثلة ، بل كان فى الدول النامية فاتحة للقرارات التى تؤكد الاستقلال الوطنى ، وتعيد للشعب خيرات أرضه ، وتواجه ما يترتب على ذلك فى إصرار وصلابة .

تميز هذا القرار الذى أعلنه جمال عبد الناصر من ميدان المنشية بالاسكندرية ليلة ٢٦ يوليو ١٩٥٦ إلى جانب الجرأة والمفاجأة ، بأنه كان محل دراسة متأنية ... فهو لم يكن من باب ردود الفعل ، ولم يتقرر قبل صدوره بأيام أو أسابيع ... بل كان محل دراسة شاملة وعميقة ومتشعبة فى عدة اتجاهات .

وكان هذا القرار تعبيرا عن إرادة شعبية تطل بعض مظاهرها على الساحة السياسية وتفرض نفسها فى أشكال متنوعة ... كان الدكتور مصطفى الحفناوى على سبيل المثال قد تبنى هذه القضية ، فأصدر فيها كتبا تحمل اسم (قناة السويس) ... وكثيرا ما نشرت مقالات فى صحف مصرية مختلفة تنادى بعودة القناة لشعب مصر... وأذكر أن مجلة الهدف التى كانت تصدر عن إدارة التعبئة للقوات المسلحة نشرت على مدى عدة شهور عام ١٩٥٥ مقالات تحمل

اسم (هذه القناة ملكنا) فى وقت كانت منطقة القناة مازالت محتلة بالجنود البريطانيين ...

القضية كانت مثارة ومطروحة .. ولكن أكثر الناس تفاؤلا لم يتوقع صدور مثل هذا القرار الذى تباينت الآراء واختلفت حول أسباب صدوره .

هل كان ردا على سحب عرض تمويل بناء السد العالى ؟

هل كان رغبة فى إنهاء عقد امتياز شركة أجنبية لتحصل مصر على رسوم ملاحه لا يستهان بها ؟

هل كان ردا على السخرة التى تعرض لها المصريون الذين أجبروا على الحفر حتى طوت أتربة المنطقة عظام ١٢٠ ألفا من الفلاحين ؟

هل كان انتقاما من ديليسبس الذى تدخل فى شئون مصر فحمل إلى الخديوى إسماعيل فرمان السلطان العثمانى بعزله ، ثم كشف ظهر قوات أحمد عرابى بالسماح للقوات البريطانية بالمرور فى القناة ، فكان غدرا انتهى بالاحتلال البريطانى عام ١٨٨٢ ؟

هل كانت هذه هى الأسباب التى دفعت بجمال عبد الناصر إلى اتخاذ هذا القرار الجرىء الذى سمع تحذيرا من عواقبه فى أحاديث مع عدد من الخبراء والزملاء المصريين ... أم أنه كانت هناك أسباب أخرى إلى جانب ذلك هى التى أنضجت اتخاذ القرار فى هذا التوقيت بالتحديد ؟

هذه الأسئلة وغيرها لاشك أنها سوف تجد إجابة وافية خلال جلسات الندوة بفضل الشخصيات المتميزة التى تفضلت بقبول المشاركة .

ونحن نعتز بأن بيننا اليوم صاحب السعادة السير انتونى ناتنج وزير الدولة البريطانى فى ذلك الوقت ، والذى اتخذ قراراً جريئا عبر به عن موقفه الخاص فى رفض أن يكون العدوان هو الرد على إرادة وطنية وشعبية تبلورت فى تأميم جمال عبد الناصر لقناة السويس .

ونعتز أيضا بحضور مستر مايكل فوت الزعيم البارز فى حزب العمال والذى

شارك فى المظاهرات التى قام بها الشعب البريطانى احتجاجا على العدوان وأصدر فى ذلك ما سوف نقدمه مترجما إلى العربية .

وتقدم الندوة إلى جانب ذلك موقف كل من الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتى وفرنسا إزاء هذا القرار ... وقد تفضل بالحضور الكاتب الأمريكى المعروف صاحب الكتب الهامة عن المنطقة ستيفن جرين الذى يفسر الموقف الأمريكى.. ويجلس معه على المنصة الكاتب السوفييتى ديمتشنكو عضو رئاسة تحرير البرافدا ليفسر الموقف السوفييتى ... كما تفضل بالحضور الكاتب الفرنسى الشهير كلود جوليان رئيس تحرير الموند ديبلوماتيك ليقدم لنا الموقف الفرنسى خلال الأزمة .

وقد حرصت اللجنة المصرية للتضامن على أن يكون للندوة صبغتها الدولية ، وأن يشارك فيها ممثلون للدول التى ارتبط الحدث بها بصفة مباشرة ... ومنها دول عربية مثل الجزائر التى كانت ثورتها الشعبية تتوهج وتزداد اشتعالا منذ بدأت فى فاتح نوفمبر ١٩٥٤ ، ويقدم لنا ذلك الأستاذ خليفة الجنيدى عضو اللجنة التنفيذية فى حزب جبهة التحرير الجزائرية .

ويشارك الجانب العربى فى الندوة بالبحث الذى يقدمه كاتبنا الكبير القدير الأستاذ محمد حسنين هيكل الذى يتصادف عقد الندوة مع صدور كتابه الجديد (ملفات السويس) الذى بادرت الصحف العالمية والعربية إلى نشر مقتطفات منه ، وهو لم يظهر للجمهور إلا أمس فقط ... كما وقع الاختيار أن يتحدث باسم العرب ممثل لمنظمة التحرير الفلسطينية التى وقع اختيارها على الأستاذ أحمد عبد الرحمن الناطق الرسمى باسم المنظمة ... كما أن الأستاذ أمين هويدى عضو مكتب اللجنة ووزير الدفاع والدولة السابق يتحدث إلينا عن تأميم القناة واستخدام القوة .

ولا يقتصر عمل الندوة على القاهرة فقط ، وإنما شاءت هيئة قناة السويس أن تدعو السادة الضيوف لزيارة الإسماعيلية لمشاهدة نجاح الإدارة المصرية

والتى سجلت للفنيين والإداريين والعمال المصريين خلال ٣٠ عاما، ونظرتها المستقبلية التى يقدمها لنا المهندس محمد عزت عادل الذى قام بدور معروف خلال التأميم وواصل عمله بكل الإخلاص والجدية إلى أن أصبح اليوم رئيسا للهيئة .

ويسرنى أن يجلس بيننا اليوم بعض أعضاء أول مجلس إدارة مصرى شكل لإدارة هيئة قناة السويس ... نحييهم لدورهم التاريخى كما ندعو بالرحمة لمن انتقل منهم إلى رحاب الله .

السادة الضيوف

الزملاء الأعزاء

لعلى أطلت فى وقت تتلهفون فيه لسماع شهادات الشخصيات البارزة المشاركة فى الندوة وهى تتحدث إليكم .. ولكنى أستميحكم عذرا إذا أوضحت فقط أن المحاضر سوف يسترسل فى حديثه كما يشاء ، وبعد ذلك تبدأ مرحلة التعقيب والأسئلة ، وضمانا لانتظام العمل وانضباط الوقت أرجو من كل راغب فى الحديث أن يكتب سؤاله على أوراق توزع عليكم وتسلم إلى السكرتارية التى ترفعها إلى رئيس كل جلسة ... الذى يصبح من حقه كاملا أن يحدد الحديث فى حدود الوقت حتى لا تتجاوز الجلسات موعدها وتختلط الأمور ...

أما بالنسبة للزملاء الصحفيين فقد أعد لهم مركز صحفى لتسهيل مهمتهم وتنظيم لقاءاتهم مع المشاركين فى الندوة على أن يقتصر حضورهم على الاستماع والتسجيل فقط وذلك إسهاما منهم فى إتاحة الوقت للسادة المشاركين ..

السادة الضيوف

الزميلات والزملاء

أود أخيرا أن أؤكد لكم أن هذه الندوة ما كان يمكن لها أن تعقد لولا تشجيع لمسته من الرئيس محمد حسنى مبارك ، ومن السيد الدكتور عصمت

عبد المجيد نائب رئيس الوزراء ووزير الخارجية الذى قدم لنا مساعدات مشكورة ... ولولا جهود مشكورة قام بها الزملاء من أعضاء اللجنة وخاصة الأخ الأستاذ عبد المجيد فريد رئيس مركز الدراسات العربية فى لندن .

وأخيرا ... لكم الشكر جميعا على تفضلكم بالحضور .

المحاضرون فى الندوة

أنتونى ناتنج :

تخرج من كلية إيتون ثم من جامعة كمبردج ، وانتخب لعضوية مجلس العموم البريطانى ، وهو فى الخامسة والعشرين ، وبقى عضوا بالمجلس من سنة ١٩٤٥ حتى عام ١٩٥٦ . وعين وزيرا للدولة للشئون الخارجية فى حكومة المحافظين سنة ١٩٥٤ ، وظل وزيرا حتى عام ١٩٥٦ ، عندما استقال احتجاجا على العدوان . له كتب عديدة .

مايكل فوت :

رئيس حزب العمال البريطانى من عام ١٩٨٠ إلى عام ١٩٨٣ ، له كتاب مشهور صدر عام ١٩٥٧ بعنوان « رجال مذنبون » يتضمن وجهة نظره فى حرب السويس . وقد وصف تلك الحرب بأنها حرب امبريالية ضد شعب كل جريمته أنه يسعى لنيل حقوقه .

ستيفن جرين :

كاتب أمريكى معروف ، كتب عدة كتب فى موضوعات تتناول قضايا الشرق الأوسط ، من أهمها كتابه عن العلاقات الأمريكية الإسرائيلية .

محمد حسنين هيكل :

من كبار الصحفيين المصريين ، وله سمعة عالمية ، عمل رئيسا لتحرير الأهرام ١٨ سنة ، وكان وثيق الصلة بالرئيس جمال عبد الناصر ، له عدة مؤلفات ، ترجم بعضها إلى عدد فى اللغات العالمية .

ديمتشنكو :

عضو بمجلس تحرير البرافدا السوفيتية ، عمل فى مصر مرتين ، فى المرة الأولى كان مراسلا لصحيفة البرافدا ، وفى المرة الثانية كان مراسلا للازفستيا ، له كتب عن قضايا الشرق الأوسط والعالم العربى وحرب الأيام الستة والعراق .

كيث كايل :

عضو المعهد الملكى للعلاقات الخارجية ، كان مراسلا للايكومونست سنة ١٩٥٦ فى واشنطن . أحد القلائل المطلعين على خفايا « السويس » ، حيث قرأ أوراق المجلس القومى الأمريكى ومجلس الوزراء البريطانى والفرنسى والإسرائيلى الخاصة بأزمة السويس ، ويعد حاليا كتابا عن تأميم قناة السويس .

أمين هويدى :

أحد رجال ثورة ٢٣ يوليو ، تولى العديد من المناصب السياسية والعسكرية ، وعمل وزيرا للدفاع ورئيسا للمخابرات العامة ، لجمهورية مصر العربية .

مارتن رويا :

أستاذ التاريخ بأكاديمية العلوم بألمانيا الديموقراطية . وكاتب بارز ، له أكثر من كتاب يناقش القضايا العربية الراهنة ، والصراع العربى الإسرائيلى بشكل خاص .

أحمد عبد الرحمن :

مناضل فلسطينى وهو المتحدث الرسمى باسم منظمة التحرير الفلسطينية .

الجنيدى خليفة :

أستاذ بجامعة الجزائر ، وواحد من المناضلين القدامى للثورة الجزائرية ، وله مؤلفات كثيرة عن قضايا الجزائر والعالم العربى .

كلود جوليان :

كاتب وصحفى فرنسى بارز ، ويرأس حاليا تحرير « ألموند ديبلوماتيك » الفرنسية .

الجلسة الأولى :

رئيس الجلسة : أحمد حمروش

القسم الأول : كلمة انتونى ناتنج وكلمة محمد حسنين هيكل

كيف أدار إيدن أزمة السويس؟

كلمة السير أنتونى ناتنج

«فى مطلع عام ٥٦ ، جاءت الضربة التى فاقت مرارتها كل شىء : طرد الجنرال جلوب من الأردن ، حيث كان وقتها رئيسا لأركان الجيش الأردنى . وقد أنفقت معظم تلك الليلة ـ ليلة طرد جلوب ـ مع ايدن أحاول أن أحلل على أسس عقلانية تصرف الملك حسين بطرد ذلك الجنرال العجوز من رئاسة أركان جيشه ، ولكن إيدن أصم أذنيه عن كل هذا ، ولم يكن فى ذهنه غير زعم واحد ، أن هذا هو من فعل عبد الناصر» .

- لماذا كان إيدن مؤيدا فى البداية لفكرة قيام أمريكا وبريطانيا بمساعدة مصر فى بناء السد العالى؟
- أزمة السويس بدأت يوم أقال الملك حسين الجنرال جلوب من منصب رئيس أركان الجيش الأردنى .
- اللحظة التى لم تتسع الدنيا بعدها لاثنين معا ايدن وعبد الناصر فى رأى ناتنج .

كلمة السير انتونى ناتنج :

حضرات السيدات والسادة. اسمحوا لى فى البداية أن أنتهز هذه الفرصة لأشكر بحرارة اللجنة المصرية للتضامن على كرم ضيافتها وعلى دعوتها للاشتراك فى هذه الندوة .. ولقد أعرب عبد المجيد فريد عن امتنانه لمايكل فوت ولى لقبولنا هذه الدعوة .. ولكنى أقول إن العكس هو الصحيح .. أن الامتنان هو من ناحيتنا .. وأنا واثق من أن مايكل فوت يشاركنى فى التعبير عن شكرنا للجنة المصرية للتضامن وللسيد حمروش لهذه الدعوة .. وللضيافة الرائعة التى أحطنا بها ..

وأظنك ياعبد المجيد كنت مبالغا فى رفقك وكرمك نحوى.. وسأحاول أن أكون عند حسن ظنك لأستحق بعض ما أضفيته على .. وذلك بأن أوضح لبعض الذين لم يطلعوا على خلفيات الأحداث ـ وخاصة أولئك الذين لم يسعدهم الحظ بقراءة الكتاب الذى كتبته عن هذا الموضوع ـ وعلى فكرة هذا الكتاب مازال معروضا للبيع فى الأسواق وهذا إعلان عنه.

لقد بدأت أزمة السويس حقيقة فى اليوم الذى أقال فيه الملك حسين ملك الأردن الجنرال جلوب من منصبه كقائد للأركان فى الجيش الأردنى .. ذلك أنه فى هذا اليوم بالذات أعلن أنتونى ايدن حربه الشخصية ضد الرئيس جمال عبد الناصر.. هذه الحرب التى تصاعدت حتى بلغت ذروتها بغزو السويس.

قبل هذه الواقعة .. كانت مشاعر إيدن تجاه الرئيس عبد الناصر ـ فى اعتقادى ـ تتميز بالفضول أكثر منها ميلا للعداء .. بل إن إيدن عندما كان وزيرا للخارجية كان يدافع بحماس وحرارة ضد العناصر العنيدة المتجمدة من

حزب المحافظين ـ وحتى فى الأوقات التى كان فيها تشرشل نفسه موجودا ـ من أجل تسوية المسائل التى كان يجرى التفاوض بشأنها مع مصر مثل مستقبل السودان المستقل .. ثم بالطبع على الأخص .. القضية الأكثر أهمية وهى انسحاب القوات البريطانية من قاعدة السويس .

وعندما استطاع إيدن أن يحقق إنجاز التسوية النهائية .. وبعد أن قمت بالتوقيع مع الرئيس عبد الناصر على اتفاقية ١٩٥٤ .. أذكر أن إيدن أصدر إلى تعليماته بأن أبقى فى القاهرة .. وطلب منى أن أحادث عبد الناصر وأن أتعرف على مدى استعداده بعد أن أنهينا حقبة عتيقة وغير سعيدة من العلاقات بين بلدينا .. لوضع أسس مرحلة جديدة من الصداقة والتفاهم بيننا وفقا لروح الاتفاقية الجديدة .

وفى اعتقادى أن إيدن كان شديد السعادة والتفاؤل عندما قدمت له تقريرى بعد عودتى إلى انجلترا وفيه أعرض انطباعى بأن عبد الناصر يريد أن يصل مع بريطانيا إلى أقصى حد ممكن من التعاون إلا فيما يتعلق بالتحالف العسكرى الذى أوضح لى أنه لا يمكنه الخوض فيه .. وخاصة بعد أن استطاع بالكاد أن يوقع اتفاقية للتخلص من وجود القوات البريطانية فى منطقة قناة السويس .

بعد هذه المرحلة أعتقد أن الأمور انحدرت فى طريق خاطئ وسيئ .. ذلك أنه فى أعقاب الاتفاقية وأثناء زيارة إيدن للقاهرة ومقابلته لعبد الناصر .. أحس عبد الناصر ـ إن خطأ أو صوابا ـ أن إيدن كان يحاول أن يضعه فى ظله وأن يتعامل معه بعجرفة أو استعلاء .. وأنه وكأنه يمثل دور رجل الدولة العريق أمام كولونيل صغير حديث العهد بالسياسة وكأن الصدف وحدها قد جعلت منه قائدا لمصر الحديثة .

ثم حدث بعد ذلك أن أعلنت مصر فى أعقاب الغارة الإسرائيلية على غزة أنها وقد أخفقت فى الحصول على أية أسلحة من أمريكا ومن بريطانيا فإنها قد

أبرمت صفقة لاستيراد الأسلحة من تشيكوسلوفاكيا .

وقد يكون مستغربا حقا أن هذه الخطوة لم تستفز إيدن عن مساره وكان إيدن فى ذلك الوقت كما نعرف قد أصبح رئيسا للوزراء وبذلك أصبح مسئولا عن الشئون الداخلية فى بريطانيا إلى جانب مسئوليته عن إدارة سياستها الخارجية .

فتى الحزب المدلل

وإذا سمحتم لى أن أتطرق لحظة فى أوضاع الوزارة وقتذاك ـ لأنى أعتقد بأهمية ذلك ـ فقد كانت الجبهة الداخلية هى أول مابدا عليها علامات التدهور الحاد بعد فترة قليلة من تولى إيدن رئاسة الوزارة .

كان وزير الخزانة البريطانية قد قام بإعداد ميزانية شملت بعض التنازلات الضريبية الأمر الذى ساعد إيدن على الفوز فى انتخابات عام ١٩٥٥ الأمر الذى لم يكن معروفا فى السياسات البريطانية ـ ولكن هذا قد أدى إلى مايسميه الاقتصاديون « إلى اشتعال حمى اقتصادية » مما حدا مستر بتلر إلى أن يقدم ميزانية أخرى فى الخريف لتصحيح هذا الوضع المؤسف . وكان من الطبيعى أن تقوم المعارضة بمهاجمة رئيس الوزراء ووزير الخزانة متهمين إياهما بالسعى إلى الفوز فى الانتخابات بتقديم وعود وتوقعات مزيفة .

وإلى جانب هذا فقد أضافت الاضرابات المزيد إلى مخاوف إيدن وسرعان ما تصاعدت الانتقادات ضده لا فى الصحافة المعارضة فحسب بل وأيضا فى صحافة حزب المحافظين متهمين إياه بالضعف والجهل بالمشاكل الداخلية .

كان إيدن شديد الخيلاء والتيه بنفسه .. كان هو الفتى الذهبى المدلل لحزب المحافظين .. وتألق كوزير للخارجية فى حكومة المحافظين بعد أن أحرز سلسلة من المفاوضات الناجحة .. والتسويات الموفقه فى أوربا وفى الشرق الأوسط بل وفى الشرق الأقصى .. ومن ثم فلم يكن معتادا على أن يواجه بمثل هذا

الانتقاد .. ولم يكن قد تمرس على مواجهة الأساليب الخشنة والانتقادات السياسية الفظة .. ولذلك فقد جرحت هذه الانتقادات كبرياءه وغروره .. لقد كان بالفعل رجلا شديد الغرور والاعتداد .. لذلك حقيقة أصابته هذه الانتقادات بجرح غائر فى كبريائه .. ولم يكن مستعدا لأن يواجه أو يتحمل مثل هذا الهجوم ..

ثم يأتى فوق ذلك كله ـ إلى جانب متاعبه حيال الجبهة الداخلية التى تدهورت تحت قيادته .. جاءته هذه المتاعب والمشاكل من هذا الجزء من العالم .

غضب إيدن للهجوم الذى صبته مصر على العراق بسبب انضمامها إلى بريطانيا فى حلف بغداد .. هذا الهجوم المصرى الذى امتد إلى بريطانيا نفسها لمحاولتها ضم الأردن إلى هذا الحلف .. ولكنه على الرغم من ذلك فقد واصل ايدن تأييده لفكرة قيام بريطانيا وأمريكا مع البنك الدولى بتمويل ومساعدة مصر فى بناء السد العالى .. لا لأنه كان يستهدف مساعدة مصر أساسا .. ولكنه كان يريد بذلك أن يحول دون قيام الروس بمساعدة مصر فى بناء ذلك السد .

وإنى لأتذكر أنه كان يكرر على مسامعى قوله « بأى ثمن ياعزيزى انتونى يجب أن تبعد الدب الروسى عن وادى النيل ! .. » وكانت هذه هى الجملة المحببة عنده ..

طرد الجنرال جلوب :

نعم كانت هذه هى الحالة حتى أشرفنا على نهاية عام ١٩٥٥ .. ولم يكن إيدن حتى ذلك الوقت قد استطاع أن يحدد موقفه من عبد الناصر .. لم يكن واثقا منه .. وكان يشعر بالمرارة لرد الفعل المصرى تجاه حلف بغداد .. كما لم تكن مرارته أقل تجاه حملة مصر على العراق .

ولكن فى مطلع عام ١٩٥٦ جاءت الضربة التى فاقت مرارتها كل شىء :

طرد الجنرال جلوب من الأردن حيث كان وقتها رئيسا للأركان فى الجيش الأردنى ..

هذه الواقعة التى التقطها معارضو إيدن لمهاجمته زاعمين أنه حتى فى مجال تخصصه وهو السياسة الخارجية .. بل وفى أخص مجالاته وهو الشرق الأوسط قد لحقته الهزيمة .. ويبدأ الانهيار يدب حتى فى هذا المجال ..

ولقد أمضيت معظم تلك الليلة ـ ليلة طرد جلوب ـ مع إيدن أحاول أن أحلل على أسس عقلانية تصرف الملك حسين بطرد ذلك الجنرال العجوز من رئاسة أركان جيشه .. ولكن ايدن أصم أذنيه عن كل هذا .. ولم يكن فى ذهنه غير زعم واحد : «أن هذا هو من فعل عبد الناصر ! ! .. » .

ومنذ تلك اللحظة حتى النهاية لم تعد الدنيا تستطيع أن تتسع لاثنين معا : إيدن وعبد الناصر ! ! ..

فى تلك الليلة أعلن رئيس الوزراء إيدن « حربه الشخصية » على الرئيس عبد الناصر .. تلك الحرب التى بلغت ذروتها بمأساة السويس .. بل إن إيدن قد ذهب إلى أبعد من ذلك .. فقد قرر أن يرتدى عباءة سلفه ونستون تشرشل ـ بكل مايحتويه هذا التعبير من أبعاد ـ فتخلى عن دور « الدبلوماسى » لكى يتقمص دور « المحارب » ..

وتصاعد العنف فى سياسة بريطانيا فى الشرق الأوسط .. وكان أول الضحايا لهذه السياسة .. المفاوضات التى كانت تجرى بتقدم فى قبرص مع الأسقف مكاريوس .. فكان أن قبض عليه ونفى إلى سيشل وعززت القوات البريطانية فى قبرص بقوات أخرى أرسلت إليها للمشاركة فى حرب ضد الجنرال جريفاس لم يكن هناك أى أمل للنصر فيها ..

وعلى الجانب من هذه التشنجات .. ظل ايدن خلال الأشهر الخمسة التالية عاجزا عن أن يجد أية فرصة ليضع حربه المعلنة ضد عبد الناصر موضع

التنفيذ .. وكان عليه أن ينتظر حتى حل شهر يوليو ٥٦ عندما قام المستر جون فوستر دالاس وزير الخارجية الأمريكية باستدعاء السفير المصرى فى واشنطن وأبلغه قرار الولايات المتحدة الأمريكية بسحب عرضها لتمويل السد العالى .. وسارع ايدن فاقتدى بدالاس وبالطبع سقط بالتالى عرض البنك الدولى لتمويل السد .

وكلنا نذكر ما حدث فبعد سبعة أيام أعلن جمال عبد الناصر تأميم شركة قناة السويس .

وظن ايدن أن الفرصة التى كان يبحث عنها قد جاءته ! .

ولكن هل جاءته الفرصة حقيقة ؟ ! ..

لقد أعد خططه العسكرية مع فرنسا لمهاجمة مصر ـ تلك الخطة المشهورة باسم موسكيتير ـ ولكن ناصر لم يعطه أية فرصة ليتخذها مبررا لتنفيذ هذه الخطة ! .

فلا تعطلت أية سفينة فى القناة أو توقفت على الرغم من أن السفن البريطانية والفرنسية وسفن بأعلام أخرى ـ تحت ضغط بريطانيا وفرنسا ـ ظلت تدفع رسوم المرور فى القناة إلى الشركة القديمة وليس إلى الهيئة المصرية .

لم تتوقف أية سفينة ولم يحل دون أية سفينة ودون العبور فى القناة .. ولم يقع أى ضرر على أى من الرعايا البريطانيين فى منطقة القناة وفى قاعدة القناة .. أو فى أى مكان آخر فى مصر .. لا ضرر ولا إساءة ..

وهكذا أسقط فى يدى ايدن الذى لم يجد أى مبرر يتعلل به لتنفيذ خطته العسكرية ومن ثم أخذ يبحث عن وسائل أخرى للضغط على مصر ..

جى موليه وإسرائيل :

دعيت القوى البحرية إلى « مؤتمر لندن » . وذهب مستر منزيس رئيس وزراء استراليا إلى مصر فى أوائل سبتمبر حاملا مقترحاتهم بإنشاء مجلس أو هيئة

دولية لإدارة القناة ولكن بلا جدوى .. لأن عبد الناصر قال إن هذا الاقتراح يعود بنا إلى النظام الدولى القديم للقناة ولكن بقاعدة أوسع ..

وعلى نفس المنوال جرى الأمر فى الأمم المتحدة وانتهت المناقشات بفيتو روسى فى مجلس الأمن ضد قرار مماثل وضع إرضاء لبريطانيا وفرنسا .

وأصاب هذا كله إيدن بالإحباط .. ولكن مالم يكن يدريه بالطبع فى ذلك الوقت هو أن فرنسا بدأت تخطط لحسابها حلا عسكريا للقضية باستخدام إسرائيل على أساس أن تهاجم مصر وتتخذ فرنسا من الهجوم ذريعة للتدخل العسكرى بدعوى إنقاذ القناة من القتال بين الجانبين .. تلك كانت الذريعة ..

كان جى موليه – رئيس وزراء فرنسا مقتنعا – تماما مثل أنتونى إيدن – بأن كل متاعبة فى العالم العربى كان سببها عبد الناصر .. وأنه إذا أمكن إزاحة عبد الناصر فإن ثورة الجزائر – والتى اشتعلت زهاء سنتين – سرعان ماتتوقف .. وأن الجزائريين سوف يهدأون ويعيشون فى سعادة تحت الحكم الفرنسى وأن المشكلة كلها سببتها خطيئة ناصر .

ومن ثم فقد كان جى موليه تواقا مثل إيدن للالتجاء للحل العسكرى فى هذه الأزمة .. ولكن المشكلة كانت هناك .. سرعان مابرزت فى المحادثات بين الفرنسيين والاسرائيليين .. فقد فرض الإسرائيليون شرطا أساسيا وقاطعا .. الأمر الذى جعل فرنسا عاجزة عن مواجهة الموقف وحدها .

لقد أصر بن جوريون إصرارا لاتراجع عنه : أنه إذا ما كانت إسرائيل ستهاجم مصر فإنه لابد مقدما أن « تزاح وتستأصل » قوة ناصر الجوية .. كانت هذه هى كلماته « تستأصل » .. وإلا فإنه يخشى أن مدن إسرائيل سوف تسوى بالأرض بواسطة قاذفات الأليوشن التى يملكها ناصر ..

وفرنسا لم تكن تملك القيام بهذا العمل .. فرنسا لم تكن تستطيع أن تضرب

مصر بالقنابل من القواعد الفرنسية .. كانت هذه القواعد بعيدة ـ حتى تلك التى فى الجزائر ـ وهذا يعنى أنه لابد من إدخال بريطانيا فى العملية .. حيث أن لبريطانيا قواعد فى قبرص وهى قريبة بما فيه الكفاية لأداء هذه المهمة ..

وهكذا .. فى ١٤ من أكتوبر .. وفد إلى بريطانيا مبعوثان فرنسيان ليضعا الأمر بين يدى إيدن .. المسيو جازييه الذى كان وزيرا للخارجية بالنيابة فى فرنسا والجنرال شال الذى لعب فيما بعد دورا مشهورا مشينا فى حركة الجيش السرى الجزائرى .

وصل مسيو جازييه والجنرال شال إلى تشيكرز (المقر الريفى لرئيس وزراء بريطانيا) فى سرية ليقدما إلى إيدن فكرة استخدام إسرائيل فى إيجاد الذريعة لتبرير التدخل العسكرى الانجلوفرنسى ضد مصر .. هذه الذريعة التى كان يتوق إليها منذ شهر يوليو ..

وهكذا وجد إيدن أخيرا فرصته الذهبية .. فتلقفها وتشبث بها بكلتا يديه ..

اجتماع لم يتم

ولكن الشىء الغريب ـ والمحزن فى نظرى ـ أنه فى تلك الأثناء .. وفى نيويورك .. ـ وقبل يومين فقط من وصول المبعوثين الفرنسيين إلى تشيكرز ـ كان سلوين لويد وزير خارجية بريطانيا وكريستيان بينو وزير خارجية فرنسا قد توصلا بحضور المستر داج همرشولد السكرتير العام للأمم المتحدة إلى الخطوط العريضة لاتفاق مع الدكتور محمود فوزى .. يعطى لبريطانيا وفرنسا ـ بصورة واقعية وعملية ـ كل ما يحتاجانه من الضمانات التى تؤكد أن قناة السويس ستظل تدار فى المستقبل وفق احتياجات الدول المستخدمة لها .. وأن هذه الخطوط العريضة للاتفاق سيجرى صياغتها والتوقيع عليها فى اجتماع يعقد فى جنيف ..

ومن الغريب أن الموعد الذى اتفق على عقد هذا الاجتماع فيه كان هو ٢٩ أكتوبر.. هذا اليوم المشهود ٢٩ أكتوبر بالذات !!..

ومفهوم طبعا .. أنه لا إيدن .. ولا موليه .. كانا يريدان اتفاقا .. كان كل منهما يريد نصرا .. وفى الخطة التى تواطأ الفرنسيون مع الإسرائيليين على إعدادها .. وجد إيدن وموليه ما يعتقدان أنها الفرصة لتحقيق ذلك النصر !..

بعد يومين من الزيارة الفرنسية ـ وقبل عودة سلوين لويد من نيويورك ـ دعا إيدن بعض أخصائه من الوزراء المتعاطفين مع ميوله إلى اجتماع لدراسة الخطة الفرنسية ..

وقد حضرت أنا شخصيا هذا الاجتماع .. وجادلته بعنف .. وعارضت هذه الخطة قائلا إنها غير أخلاقية من الناحية السياسية .. وأنها خطة خرقاء تماما عارية من التعقل .. فى الوقت الذى أصبح فيه بين أيدينا اتفاق يكاد يكتمل .. وقلت أيضا إننا لانستطيع أن نفلت من مغبتها بالتظاهر بأننا نرسل قواتنا لإيقاف حرب نحن أنفسنا قد أشعلناها .. ثم نضرب بقنابلنا المعتدى عليه بدلا من أن نضرب المعتدى .. منتهكين بصورة فاضحة كل التزاماتنا الدولية وعلى الأخص تلك المعاهدة التى وقعتها بنفسى مع ناصر منذ عامين فقط ..

ولقد حدث أن وصل سلوين لويد مع نهاية الاجتماع .. وعلى الرغم من أنه فى البداية قد وافقنى على وجهة نظرى .. إلا أن إيدن استطاع فيما بعد أن يدير رأسه .. وأخذ الإثنان بعد ظهر ذلك اليوم طريقهما سويا إلى باريس ليعلنا للفرنسيين موافقتنا على الخطة وأننا سننضم إليهم فى تنفيذها ..

وفى الأسبوع التالى عقد اجتماع خارج باريس فى « سيفر » التقى فيه سلوين لويد مع بن جوريون وآخرين من الجانب الاسرائيلى .. ولقد بدا لبعض الوقت أن الخطة لن يمكن تنفيذها ..

كان بن جوريون متشككا فى بريطانيا إلى حد بعيد وأحس ـ وكان محقا فى إحساسه ـ أن سلوين لويد لم يكن متحمسا تماما للخطة الفرنسية .

مطلب بن جوريون

وقال بن جوريون إنه لايريد أن يتورط فى نزاع السويس والذى وصفه بأنه نزاع بين بريطانيا وفرنسا وبين مصر.. الأمر الذى لايعنى إسرائيل فى شىء .. وذهب بن جوريون إلى أبعد من هذا عندما أصر على أنه إذا ماكانت اسرائيل ستشارك فى العملية وتقبل أن تمثل دور الذريعة لتبرير التدخل البريطانى الفرنسى فإنه لابد أولا أن يجرد عبد الناصر من قوته الجوية وأن تستأصل قاذفات القنابل الاليوشن التى فى حوزته على أن يتم ذلك بمجرد أن تجتاز القوات الاسرائيلية حدود مصر... بل فى نفس اللحظة التى تجتاز فيها القوات الاسرائيلية هذه الحدود ..

واعترض سلوين لويد بأن هذا المطلب سيطيح بالخطة من أساسها .. وأنه يجب أن يكون هناك فاصل زمنى يتيح لمصر أن ترفض إنذارنا ومطالبتنا بأن تنسحب قواتها وقوات إسرائيل من قناة السويس ومن ثم تتح للقوات الانجلوفرنسية العذر للتدخل ..

ولكن بن جوريون ظل يصر على ضرورة التعجيل بضرب القواعد الجوية المصرية بمجرد بدء إسرائيل العمليات .. ولكنه فى النهاية وافق على مده ثمان وأربعين ساعة كفترة فاصلة ..

وهكذا .. وبعد هذا التفاهم وضعت الخطة الثلاثية موضع التنفيذ ..

هاجمت إسرائيل يوم ٢٩ أكتوبر .. اليوم الذى كان مفروضا أن يلتقى فيه سلوين لويد مع محمود فوزى فى جنيف ليعملا على أن يصبح هيكل الاتفاق الذى توصلا إليه فى نيويورك اتفاقا نهائيا !..

هاجمت إسرائيل يوم ٢٩ أكتوبر.. وقامت بريطانيا وفرنسا بمطالبة الجانبين المتحاربين بالانسحاب عشرة أميال بعيدا عن قناة السويس لكى تتيح للقوات الانجلوفرنسية أن تحتل منطقة القنال ..

فى هذا الوقت الذى كانا يطالبان فيه الاسرائيليين والمصريين بالابتعاد لم تكن القوات الإسرائيلية قد وصلت بعد إلى منطقة القناة .. وهكذا وببساطة فإن ماكانا يطالبان به معناه واقعيا وعمليا .. هو أن تتقدم القوات الاسرائيلية حوالى ٧٥ ميلا لتكون على مسافة عشرة أميال من القناة .. بينما على القوات المصرية أن تنسحب زهاء ١٢٥ ميلا لتحقق هذا المطلب .. كان منطقا هزليا !.

وهكذا .. ففى مساء يوم ٣١ أكتوبر قامت قاذفات القنابل البريطانية بضرب القواعد الجوية الأربعة الرئيسية لمصر.. لتشل تماما فاعلية طائرات اليوشن المصرية ..

ولما كنت فى ذلك الوقت قد فشلت فى الحيلولة دون وقوع هذه المأساة .. شعرت بأنه لايمكننى أن أكون مدافعا عن موقف الحكومة سواء أمام مجلس العموم أو أمام الأمم المتحدة ..

وكان على أن أستقيل !!..

السيد الرئيس :

مابعد ذلك .. كان التاريخ ..

أجبرت بريطانيا وفرنسا وإسرائيل تحت ضغط التهديدات الأمريكية وإلحاح الرأى العالمى على الانسحاب ..

وإيدن الذى كان يخطط لمجد زاهر ونصر عسكرى ساحق .. اضطر للاستقالة بعد شهرين .. وانزوى محطما يواجه نهاية مأساوية لرجل حاول أن يلعب دورا لايناسبه ..

* * *

الأستاذ أحمد حمروش : الزميلات والزملاء .. نواصل جلستنا الأولى .. وأحب أن أشير إلى أن كثيرا من الزملاء كانت لهم رغبة فى أسئلة وتعقيبات على الحديث القيم الذى تفضل به السير أنتونى ناتنج .. ولكن الوقت يحكمنا جميعا .. ولذا معذرة .. ونرجو أن نوفق فى الندوات القادمة لأن نعطى وقتا أطول لأصحاب الرغبات والآراء المختلفة .. وإن كانت الفرصة متاحة فى الجلسات المقبلة لكثير من الأسئلة والاستفسارات ..

والآن يسعدنى أن أقدم إليكم الزميل والصديق .. الكاتب الكبير محمد حسنين هيكل ليحدثنا .. ولا أشك أننا جميعا مشوقون إلى حديثه .. وليس عندى كلمات أكثر من أننا ونحن نستمع إليه هنا فإن آلافا بل عشرات من الألوف يقرأون كتابه الذى صدر أمس .. ويحوى هذا الموضوع فصلا هاما من فصوله ..

الأستاذ الزميل محمد حسنين هيكل يتفضل لإلقاء حديثه

الأستاذ محمد حسنين هيكل :

كيف أدار جمال عبد الناصر أزمة معركة السويس

كلمة محمد حسنين هيكل

«كانت بريطانيا تريد القناة وإخضاع مصر. وأرغمت بريطانيا على الانسحاب من بورسعيد. وكانت فرنسا تريد ضرب قاعدة الثورة الجزائرية ـ قبل شركة القناة وأرغمت فرنسا على الانسحاب من بورسعيد، بعد ثلاثة شهور من العدوان ومن الجزائر أيضا بعد ثلاث سنوات، وكانت إسرائيل تريد ضرب مصر وماتمثله فى ذلك الوقت، وأرغمت إسرائيل على الانسحاب فى أثر انسحاب حلفائها وقد ازدادت قوة مصر وازدادت أهمية ماتفعله. وأرادت الولايات المتحدة فى الساعات الأخيرة من الأزمة ـ واسرائيل معها، نزع سلاح سيناء وتدويل قطاع غزة على الأقل وعادت القوات المصرية إلى سيناء وقطاع غزة.

كانت هذه أهدافهم الاستراتيجية فى الأزمة ولم يتحقق واحد منها وأما الهدف الاستراتيجى المصرى. السويس ـ ليس فقط القناة ولكن الأمل قبل القناة فقد بقيت جميعا للأمة العربية».

- ماهو مغزى سحب اشتراك الغرب فى تمويل السد العالى فى تقدير دالاس؟
- فى التقرير الأول المكتوب للموقف ـ بعد التأزم ـ وضع جمال عبد الناصر احتمال التدخل العسكرى من الجانب البريطانى بنسبة ٨٠٪.
- قال خبراء القانون الذين استشارهم إيدن فى الجلسة الأولى لمجلس الحرب أن القرار المصرى ليس فيه ثغرة قانونية واحدة.

السيد الرئيس

حضرات السيدات والسادة :

من واجبي ، ومن واجب كثيرين غيرى ، أن نتوجه بالشكر والتقدير والعرفان للجنة المصرية لتضامن الشعوب الأفريقية الآسيوية على حفاوتها بمعركة السويس سنة ١٩٥٦ وعلى الجهد الذى بذلته فى إقامة وتنظيم هذه الندوة التى تجمعنا الآن .

وربما أضفت أن شكرنا لهذه اللجنة تزداد حرارته بمقدار ما نرى أنها أقدمت بينما تردد غيرها من المنظمات والهيئات والتجمعات ، باستثناء جريدة « الأهرام » ونقابة الصحفيين ـ إحقاقا للحق .

ولكى لانكون متعسفين مع الآخرين الذين ترددوا فلعل عذرهم أنهم تصوروا أن السويس بعد ثلاثين سنة على وقائعها قد استقرت فى مجال الذكريات ـ وربما طاف بخواطرهم أن الحاضر بكل همومه وأثقاله لايعطى الناس وقتا ولا مزاجا لحكايات ماجرى فى الماضى ورواياته .

لكن التماس العذر لهم نصف الطريق إلى حقهم علينا . ونصف الطريق الآخر لتمام حقهم علينا أن نفضى إليهم بما نفكر فيه .

نقول لهم : نعم ـ إن بعض الأيام فى التاريخ تجىء وتذهب ـ لكن بعض الأيام فى التاريخ تجىء ولاتذهب !

بعض الأيام تختلف عن بعض الأيام ، كما يختلف رجل عن رجل ، وكما تختلف امرأة عن امرأة .

هناك أيام تجىء وتذهب ـ تتحول إلى ذكريات .

وهناك أيام تجىء ولاتذهب ـ تتحول إلى درس .

والذكريات فعل ماض ـ والدرس فعل فى الحاضر وفى المستقبل .

ولقد كان صديقنا العزيز الجالس معنا هنا «أنتونى ناتنج» بعيد النظر إلى أبعد حد وصافى الفكر إلى أبعد حد حينما اختار لكتابه الشهير عن السويس عنوانا يقول «لانهاية للدرس» No end of a lesson .

هكذا رأى السويس وهكذا نراها معه : درسا لانهاية له .

ولقد كان يعنى فى كتابه درس السويس بالنسبة للطرف البريطانى ، ونحن معه وأكثر لأننا نراها درسا لكل الأطراف ، والطرف المصرى أولهم وأحقهم .

ليست هى الذكريات إذن ، وإنما هو الدرس ! وبلا نهاية ! !

* * *

نتقدم خطوة من هنا لنسأل أنفسنا قبل أن يسألنا الآخرون :

لماذا درس السويس بالذات ، وأليست دروس تاريخنا كثيرة ؟

ولماذا السويس الآن ـ فإذا كان الدرس بغير نهاية ـ فكل وقت صالح وكل لحظة مناسبة ؟

أبدأ بالسؤال الأول : لماذا درس السويس بالذات ؟

والجواب : لأن العالم كله يعرف ـ ومن الضرورى أن نعرف معه ـ أن السويس كانت نقطة تحول رئيسية فى التاريخ الحديث كله . وقد أجازف وأقول إن كثيرا من الملامح الرئيسية على الخريطة السياسية للعالم كما نعرفه اليوم ـ جرى رسمها أيام السويس .

وسوف آخذ المتغيرات ـ نتيجة للسويس ـ فى بعض المواقع الأساسية من خريطة العالم ، وسوف أتعرض لهذه المواقع بترتيب التداعى الزمنى وليس بترتيب

الأهمية النسبية ــ لمجرد التزام سباق منطق للعدد :

● أبدأ بمصر : كانت معركة السويس بؤرة تركيز تجمعت فيها كل أمانى مصر فى الاستقلال الوطنى والتنمية الاقتصادية الاجتماعية والتوحد مع عالمها الذى تنتمى إليه ، وفيها اكتشف الشعب المصرى طاقاته الكامنة ومصادر قوته الحقيقية . والواقع أن الشعب المصرى كان هو البطل الحقيقى لهذه الحرب فقد وقف متماسكا وصلبا ومصمما فى مواجهة جبروت أكبر الإمبراطوريات ، فى الفترة ما بين ٢٩ أكتوبر ١٩٥٦ إلى ٧ نوفمبر ١٩٥٦ ــ ولو أنه تردد لحظة فى هذه الأيام العشرة العصيبة أو ضعف لحظة أو اهتز إيمانه لحظة لما كانت هناك جدوى من أى شىء ــ لا من قيادة «جمال عبد الناصر» ، ولا من تضامن بقية شعوب الأمة العربية ، ولا من تعاطف الشعوب الأسيوية والأفريقية ، ولا من مواقف الأمم المتحدة ، ولا من سياسات الولايات المتحدة ، ولا من الإنذار السوفيتى .

● مع مصر فى نفس اللحظة وعى العالم العربى حقائق موقعه وضرورات وحدته ومكامن قوته ومجالات عمله وأولها أن الفعل الحقيقى للجماهير وليس لغيرها . ولقد أثبتت الأمة العربية كلها فى السويس أن أحلامها صحيحة وأن الدفاع عنها ممكن ، وليس مهما أننا شهدنا فيما بعد تراجعا عن الأحلام وقصورا فى الدفاع عنها فعندما تثبت القوانين تصبح مخالفتها جرائم يستحق حسابها فى يوم من الأيام ، لكن القوانين نفسها لا تسقط !

● فى الغرب أفل نجم امبراطوريتين (بريطانيا وفرنسا) وتحولت كلتاهما إلى دول تجارية أو دول صناعية ، ولكن العصر الإمبراطورى بالنسبة لهما انتهى فى السويس .

وفى نفس الوقت صعد نجم قوة إمبراطورية جديدة هى الولايات المتحدة الأمريكية ــ كانت قد برزت بدورها إبان وبعد الحرب العالمية الثانية ضد النازية لكنها لم تلبث أن تورطت فى حرب كوريا ثم أعطتها السويس مسرحا جديدا فى الشرق الأوسط تبدأ منه بداية أخرى .

● بالسويس خرج الاتحاد السوفيتي لأول مرة بعد عزلة عصر « ستالين » ليمارس دورا عالميا نشيطا وحيا ، فقد قفز عبر الحزام الشمالى للشرق الأوسط ولم تعد المواجهة بينه وبين الولايات المتحدة الأمريكية مواجهة تقتصر على ما وراء خنادق ومتاريس الكتلة الشرقية وإنما أصبحت صراعا حيا وساخنا ذابت فيه ثلوج الحرب الباردة وتعددت مواقعه التى تداخلت حركاتها وتنوعت أساليبها وأهدافها فشملت العالم الثالث كله مع تركيز خاص على الشرق الأوسط الذى أصبح المنطقة الحرجة فى المواجهة العالمية سياسيا واقتصاديا . استراتيجيا وفكريا ــ ووراء الشرق الأوسط أفريقيا .

● خرجت فرنسا من التجربة تبحث عن بديل . ولم يمض عام إلا وسقطت الجمهورية الثالثة وعاد « ديجول » يؤسس الجمهورية الرابعة وهو يدرك أن فرنسا لم تعد تستطيع أن تعتمد على الرادع النووى الأمريكى إذا كان لها أن تحتفظ باستقلالية قرارها السياسى ، وهكذا ولدت قوة الضرب الفرنسية المستقلة ووراء ذلك ظهرت احتمالات أوروبا الغربية كقوة نصف مستقلة على الأقل !

● إن الدرس الذى استوعبته فرنسا استوعبته الصين أيضا وهكذا راحت بدورها تسعى إلى دخول النادى النووى لكى تصبح قوة عظمى بإمكانياتها الذاتية .

● أحدثت السويس تحولا هاما فى سياسة إسرائيل فقد راحت من يومها توجه اهتمامها شطر النجم الأمريكى البازغ وتلحق نفسها به . وكان ذلك بداية ظهور دور الشرطى المحلى الذى كررت الولايات المتحدة نموذجه بعد ذلك كثيرا فى أفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية . وإن بقيت للشرطى الاسرائيلى مكانة مميزة لأسباب عديدة آخرها أنه أصبح شرطيا نوويا ــ لأول مرة فى تاريخ الشرطة !

● كانت السويس هى العلامة البارزة فى حركة التحرر الأفريقى ، ويكفى للدلالة على ذلك أن « هارولد ماكميلان » رئيس الوزراء الذى خلف

« إيدن » لم يسبق له ذكر سياسي غير خطابه المشهور عن رياح التغيير Winds of change في أفريقيا والذى كان معناه تصفية بقايا الإمبراطورية فى أفريقيا.

● وكان إلهام السويس عميقا فى أمريكا اللاتينية ـ وقد روى لى الزعيم الكوبى « فيدل كاسترو » أنه كان يتابع مع رجاله فى جبال « Sirra Mayestra » أخبار الغزو البريطانى الفرنسى الإسرائيلى لمصر ، ومقاومة الشعب المصرى الباسلة له ، ويخطب فى رجاله قائلا : « إذا كان فى استطاعة شعب صغير كالشعب المصرى التصدى لامبراطوريتين ـ ولدولة تابعة ـ أفلا نستطيع نحن أن نتصدى لديكتاتور تابع وهو الجنرال باتيستا ؟ » !

* * *

أنتقل إلى بعض الحقائق التى ظهرت من السويس بعد أن استعرضت بعض المواقع .

انتهى عصر الحملات الاستعمارية تماما وانتهت أساليبه وأبرزها دبلوماسية المدافع البحرية Gun boat diplomacy

تأكدت استحالة الحرب النووية . فبعد الإنذار السوفيتى ، ومهما اختلفت الآراء حول حساباته ، لم يكن فى استطاعة أحد أن يجرب استراتيجية الدمار المتبادل وعاد العالم إلى استراتيجية الرد المرن . وأهم من ذلك بدأت القوتان الأعظم جديا مفاوضاتهما للحد من تجارب الأسلحة النووية . وللإنصاف فإن السويس كانت لحظة اليقظة ثم جاءت أزمة الصواريخ الكوبية سنة ١٩٦١ لتكون صك التأكيد .

تبين الكل أن أحدا لن يدافع عن أحد فى الحرب النووية ـ فإن « ايزنهاور » لم يكن على استعداد لأن يعرض واشنطن ونيويورك للخطر دفاعا

عن لندن أو باريس ـ وهكذا ظهر عصر تعدد مراكز القوة وهو عصر مازال فى بداياته وأما عواقبه فمعلقة بالمجهول !

اكتشف الكل بالتجربة العملية أن التدخل المباشر ضد الآخرين ينطوى على احتمالات صعبة ، وخرج الكل يدرس أن العمل غير المباشر أكثر أهمية ـ وربما أقدر على التحقيق ـ من العمل المباشر ، واستفحل دور سياسات الانقلاب من الداخل ودور الحروب الاقتصادية والنفسية والتخريبية وهى اليوم ملتهبة على خط طويل من « موزامبيق » إلى « نيكاراجوا » !

تعلمت نزعات السيطرة الاقتصادية أن أهدافها لاتتحقق باحتلال المواقع وإنما باحتلال الموارد والثروات ، وهكذا ظهر وتفاقم دور البنوك والشركات العابرة للقارات .

هل هذه ـ مهما كان تقديرنا لها ـ متغيرات خطيرة فى المواقع وفى الحقائق وكلها جرت أو تأكدت فى السويس .

* * *

هذا هو ما يخص الجزء الأول من السؤال وهو : لماذا السويس ؟

وأنتقل إلى الجزء الثانى منه : لماذا الآن ؟

والرد ليس صعبا .

من ناحية لأن المعركة مستمرة ، فلقد كانت السويس بالدرجة الأولى معركة فى حرب طويلة على مقادير الشرق الأوسط والعالم العربى فى قلبه ، وهى معركة مازالت مستمرة حتى الآن لنفس الأهداف وربما على نفس المواقع وإن تغيرت الأساليب (Tactics). بعد السويس ١٩٥٦ جاءت معركة ١٩٦٧ ، وبعدهما جاءت معركة أكتوبر ١٩٧٣ حتى شهدنا نزول الستار مؤقتا عما نسميه حرب الثلاثين سنة والتى ظهر بعدها أن الولايات المتحدة تمكنت من إيقاف الحرب ـ ولا أقول إنهاءها ـ لصالحها وصالح سياساتها ، ولم تعد تلك النتيجة

موضع شك من أحد فهى اليوم ـ ١٩٨٦ ـ أمام الجميع تشعرهم بوطأتها وتذكرهم بنفسها صباح مساء !

وهكذا يصبح من الضرورى لكل من يريد أن يتطلع إلى الغد أن يبدأ بدراسة أصوله وبداياته عند مرحلة التكوين الأولى ـ لأن حركة التاريخ لاتنقطع ولا تعرف الفجوات فى مسارها .

ومن ناحية أخرى ـ عملية أكثر ـ فإن هذا العام ـ ١٩٨٦ ـ وبعد ثلاثين سنة سوف يرفع الستار عن كل وثائق المعركة الكبيرة ، فهنا ينتهى الحظر المفروض بالسرية على حقائق ماجرى وتتكشف تفاصيله ، وهكذا فقد انفتح باب الاجتهاد على أساس سليم وانفسح مجال البحث والتأمل على ضوء الحقائق كما بدت أمام الأطراف . وربما أشرت إلى أن مكتبات لندن شهدت حتى الآن هذا الموسم ستة كتب كبيرة عن السويس ، كما أن البرامج الاذاعية والتليفزيونية على القنوات المختلفة حملت أو تحمل فى الأيام القليلة القادمة عشرات الساعات من الإرسال حول السويس .

* * *

أنتقل الآن إلى موضوعى الأصلى .

كيف أدار « جمال عبد الناصر » أزمة معركة السويس ؟

أتصور مقدما أننى فى حاجة هنا إلى تعريف لعبارة « أزمة » لكى نقيس على هذا التعريف إدارة « جمال عبد الناصر » لها .

والحقيقة أنه ليس هناك تعريف محدد ، وعلى كثرة ما كتب أساتذة العلوم السياسية وخبراؤها عن وقوع الأزمات ، وعن إدارة الأزمات ، وعن السيطرة على الأزمات ، وعن حل الأزمات ـ فإن أحدا لم يستطع أن يقدم لنا صياغة كافية وافية للتعبير ـ وربما جازفت استخلاصا للكثير مما قيل إلى مجموعة من الملامح لما نطلق عليه وصف الأزمة :

١ ـ الأزمة هى اللحظات المكثفة والمتوترة لحركة صراع .
٢ ـ وهى تحل عادة عند إقدام طرف من الأطراف على خطوة تعتبر نوعا من التحدى للطرف الآخر لأنها تهدده بخلق نقطة تحول فى مسار الصراع ضد مصالحه كما يراها .
٣ ـ وهذا بدوره يفرض على الطرف الآخر أن يتدخل بقرار يعيد التوازن الحرج أو يعكس الاتجاه .
٤ ـ ولابد أن تكون هناك علاقة توقيت زمنى بين التحدى والرد عليه .
٥ ـ وبطبائع الأمور فإن الرد والتحدى يجريان فى مناخ من الترقب والقلق تصنعه وقائع الأزمة ومفاجآت الحوار بين التحدى والرد عليه .

وإذا أخذنا هذه الملامح لوصف الأزمة وقبلنا بها ، وفى ظنى أنه يمكن القبول بها ولو كتصور عام ، فإن أزمة تأميم قناة السويس لم تكن من صنع « جمال عبد الناصر » ولم تكن مبادأة منه .

والحقيقة أن جو الأزمة بدأ من قبل التأميم وفى سنوات الفوران الثورى الذى عبرت عنه وبلورته ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ فى مصر ، ولقد كانت السنوات التى أعقبت الثورة خصوصا سنة ١٩٥٥ والنصف الأول من سنة ١٩٥٦ هى فترة تركز فيها صراع العالم العربى كله ضد السيطرة الاستعمارية ـ أى أن تطورات قرن ونصف من الزمان ـ القرن التاسع عشر والنصف الأول من القرن العشرين ـ جرى اختزالها وتكثيفها بطريقة حادة وشبه حاسمة فى سنة ونصف سنة .

وباختصار فإن لحظة الأزمة جاءت حين وجه « جمال عبد الناصر » ليس فقط سحب عرض اشتراك الغرب فى تمويل السد العالى وإنما بالطريقة التى تمت بها هذه الخطوة وما تعنيه وتعبر عنه الخطوة وأسلوبها من أهداف ومقاصد .

وربما قلنا بغير تجاوز إن « دالاس » أرادها بالفعل **نقطة تحول** فى مجرى الصراع العربى فى مواجهة السيطرة الغربية .

وكان على « جمال عبد الناصر » أن يتدخل بقرار يعيد التوازن أو يعكس الاتجاه .

وكان عليه أن يرد مراعيا أهمية عنصر التوقيت وإلا نجح التحدى فى تحقيق بعض مقاصده إذا تأخر الرد .

وكان المناخ مفعما بعوامل الترقب والقلق وانتظار المفاجآت .

وإذا نحن أمام أزمة بكل المعايير.

وهكذا ننتقل إلى طريقة « جمال عبد الناصر » فى إدارتها .

* * *

إننى على استعداد لأن أستبق السياق وأقول مبكرا إن إدارة « جمال عبد الناصر » لأزمة قناة السويس كانت نموذجية ، وأعتقد أن إدارته لها تستحق أن تكون حالة مثالية يقاس عليها ويقاس بها من مراكز تلقى العلم إلى مراكز صنع القرار .

وهنا نحتاج أيضا إلى عملية تعريف مختصرة عن إدارة الأزمات .

وكما حددت خمسة عناصر لتعريف الأزمة فلعلى أجازف وأحدد خمس نقط جديدة فى التعريف بإدارة الأزمة :

١ ـ التوصل إلى الرد الصحيح والمناسب للتحدى الذى ألقى به الطرف الآخر.

٢ ـ التأكد من أن هذا الرد قابل للتحقيق بنجاح .

٣ ـ الاستعداد للاحتمالات والخطوات المعاكسة المترتبة على تداعى الأزمة ومخاطر هذه الاحتمالات .

٤ ـ إبقاء الهدف الاستراتيجى واضحا ومحددا بحيث لايضيع وسط تعاقب وتزاحم الأفعال وردود الأفعال .

٥ ـ الإدراك الواعى لحقيقة أن أى أزمة إنما تجرى فى ظل أوضاع وموازين محلية وإقليمية وعالمية لايستطيع صانع القرار أن يتصرف فى معزل عنها .

هذه عناصر عامة فى إدارة الأزمة لا أظننا نختلف كثيرا عليها ويبقى أمامنا أن نطبق عليها ونقيس .

* * *

نبدأ بعنصر الرد الصحيح والمناسب .

ماهو الرد الصحيح والمناسب ؟

أول عنصر فى الرد الصحيح والمناسب فى تقديرى هو اشتراط مشروعيته . وكان ذلك متوفرا على أكمل وجه فيما أظن فى قرار « جمال عبد الناصر » أن يرد على التحدى بتأميم قناة السويس . فنحن نرى :

١ ـ أن قرار التأميم يستجيب لمطلب كان فى أعماق الضمير المصرى ولم يكن ينقص تحقيقه إلا ظهور عنصر الإرادة الوطنية ـ وهذه شرعيته .

٢ ـ أن قرار التأميم من الناحية القانونية ـ بعد الشرعية ـ لم يخرق معاهدة دولية ، ثم إنه صدر فى حدود السيادة المصرية لتأميم شركة مصرية ، وأخيرا فإنه لم يغتصب حقا لأحد فقد نص فى نفس الوقت على التعويض العادل للمساهمين بسعر أسهم الشركة فى إقفال البورصة يوم صدور القرار ـ ولقد اتضحت مشروعية القرار حتى فى الجلسة الأولى التى عقدها « إيدن » لمجلس حربه فى نفس ليلة صدور إعلان التأميم فقد قال له كل خبراء القانون الذين استشيروا فى الموضوع على عجل إن القرار المصرى ليست فيه ثغرة قانونية واحدة .

٣ ـ أن قرار التأميم كان يحقق نفعا عاما مباشرا ومحددا ، فالفائض من

دخل قناة السويس بعد نفقات إدارتها وتكاليف تعويض مساهميها سوف يوجه لمشروع مطلوب وحيوى لتطور وتقدم الشعب الذى يملك القناة طبيعة وتاريخا ـ والنفع العام هو أهم مصادر القانون.

٤ ـ إن قرار التأميم كان ردا على استفزاز ولم يكن مباذأة به وهكذا فإن الحق فى مكانه والدفاع عن النفس هو الطبيعة ذاتها.

* * *

أنتقل إلى النقطة الثانية فى إدارة الأزمة وهى التأكد من أن الرد قابل للتحقيق بنجاح. وهنا نلاحظ مسألة هامة اختلف فيها نجاح تأميم قناة السويس ليصبح نقيضا لفشل تأميم البترول الإيرانى فى عهد الدكتور « محمد مصدق ».

لقد كان تأميم البترول الإيرانى إجراء توفرت له كل عناصر المشروعية: الشرعية والقانونية ـ ومع ذلك لم ينجح.

لم ينجح لفارق هام رآه « جمال عبد الناصر » منذ اللحظة الأولى وهو يضع تقديره للاحتمالات التى يمكن أن تترتب على تأميم قناة السويس.

فنى حين أن البترول سلعة ـ فإن قناة السويس خدمة.

والسلعة تحتاج إلى إنتاج ونقل وتسويق وهذه كلها فى يد احتكارات دولية بعيدة عن نطاق سيطرة قانون التأميم ـ وهكذا فقد بقى البترول الإيرانى فى باطن الأرض لتعذر إنتاجه ونقله وتسويقه.

وفوق ذلك فإن الشركات المحتكرة لبترول الشرق الأوسط استطاعت تعويض توقف حقول البترول الإيرانى بزيادة الضخ من حقول أخرى قريبة على شطآن الخليج، وكانت النتيجة أن الخزانة الإيرانية نفسها أصبحت هى الخاسر الأكبر من عملية التأميم وانعكس ذلك بالطبع على الشعب الإيرانى وانفتح الطريق إلى الانقلاب المضاد.

وفى حالة قناة السويس فإن الأمر كان يختلف .

- هى خدمة وليست سلعة كما أسلفنا القول .
- ثم إنها خدمة تعتمد على موقع جغرافى معين من خريطة العالم وتستحيل فى غيره - وبالتالى فليس هناك بديل .
- ثم إنها خدمة حيوية إذا أريد لكل الآلة الصناعية للغرب أن تتحرك بالطاقة اللازمة لها .
- ثم نلاحظ أن احتمال خسارة دخل - كما خسرت الخزينة الإيرانية من دخل البترول الإيرانى - لم يكن واردا لأن مصر لم تكن تحصل إلا على مليون جنيه واحد من دخل قناة السويس وهو مبلغ لا يكاد يذكر فى دخل الخزينة المصرية .

ولقد توصل « جمال عبد الناصر » من ذلك كله إلى حقيقة أن نجاح القرار يرتبط بكفاءة إدارة المرفق .

هكذا ركز اهتمامه فى اختيار الإدارة معتبرا أنها العامل الأساسى فى النجاح ، ثم أعطى لهذه الإدارة سلطة الدولة كلها .

وضمانا نهائيا للنجاح فقد أعطاها حق فرض الأحكام العسكرية على العاملين الأجانب فى القناة ، وكان واثقا أن هذا الإجراء الذى يبدو تعسفيا لن يواجه معارضة شديدة فى البداية فالغرب يحتاج إلى القناة أكثر منه - لأنه يحتاج إلى تدفق البترول - لأن احتياطياته منه فى ذلك الوقت لم تكن تزيد على أربعة أسابيع - وبالتالى فإنهم هناك مضطرون إلى فترة تخزين قبل الإقدام على مخاطرات يمكن أن تؤدى إلى إغلاق القناة . هم يحتاجون إلى فترة تخزين وهو يحتاج إلى فترة ترتيب .

وهكذا فإن عامل حسن اختيار الإدارة المصرية للمرفق عززه ضمان إضافى باستبقاء الجزء العملى من الإدارة الأجنبية ولو حتى بقوة الأحكام العسكرية

خصوصا على المرشدين . ثم إن ذلك كان يتيح الوقت لإعداد وتجنيد عناصر فنية تواجه الموقف فى حالة ما إذا أصبح الغرب على استعداد لإثارة موضوع القسر الواقع على العناصر الأجنبية ، وهو ما حدث بعد ذلك فعلا بعد سبعة أسابيع فى ١٥ سبتمبر ١٩٥٦ ـ انسحب المرشدون الأجانب يومها ولم يكن صانع القرار المصرى نائما فى قيلولة ظهيرة فى يوم صيف حار !

* * *

نصل إلى العنصر الثالث وهو عنصر الاستعداد للاحتمالات والخطوات المعاكسة المترتبة على تداعى الأزمة ـ ومخاطر هذه الاحتمالات .

وفى تقديره الأول المكتوب للموقف فإن « جمال عبد الناصر » توقع احتمال التدخل العسكرى بنسبة ٨٠ فى المائة من الجانب البريطانى ، هذا إذا كانت لديه قوات جاهزة فى المنطقة تستطيع أن تندفع إلى القوة المسلحة مستغلة حالة الصدمة التى يمكن أن يحدثها قرار تأميم قناة السويس .

ولقد توقع أن تتنازل حدة خطر التدخل أسبوعا بعد أسبوع إذا فاتت فرصة الحركة كرد فعل للصدمة الأولى ، وفى نفس الوقت ظلت حركة المرور فى القناة سالكة .

وهكذا فإنه كان حريصا قبل إعلان قراره على التحقق من حجم القوات البريطانية القريبة من مصر ودرجة استعدادها ، ولم يتخذ قرار التأميم بطريقة لارجعة فيها إلا عندما تأكد أن حجم هذه القوات غير كاف كما أن درجة استعدادها ليست هى الأخرى كافية .

ولقد رجح أن فرنسا سوف تكون مستعدة للعمل العسكرى المباشر والسريع ـ إذا تحققت فرصته ـ ولكن اشتراكها سوف يكون محدودا بسبب انشغالها فى حرب الجزائر .

وربما كان فى هذا العنصر أن « جمال عبد الناصر » وقع فى خطأين .

أولها : تصور أن العمل السياسى أسبوعا بعد أسبوع سوف يجهض فكرة التدخل المسلح ــ فهو فى هذه النقطة لم يستطع أن يقيس قياسا دقيقا الحالة النفسية التى استبدت بـ « إيدن » .

ولصالح تقدير « جمال عبد الناصر » هنا ــ رغم الخطأ الشكلى فيه ــ أن تصرف « إيدن » على النحو الذى لم يتوقعه « جمال عبد الناصر » أدى إلى سقوط « إيدن » نفسه وليس إلى سقوط « جمال عبد الناصر » كما كان « إيدن » يرسم ويخطط .

والثانى : تصور أن « إيدن » لن يقدم على تعاون ــ أو تواطؤ ــ مع إسرائيل فى حملة ضد مصر إذا قرر القيام بها لأن ذلك سوف يؤدى إلى إحراج أصدقاء بريطانيا العرب ، لأن ذلك سوف يؤدى إلى نهاية النفوذ والمصالح البريطانية من المنطقة .

لكن « إيدن » تصرف على عكس ما تصور « جمال عبد الناصر » ــ ومع ذلك لصالح تقدير « جمال عبد الناصر » أيضا ــ فإن بريطانيا دفعت الثمن الذى قدره « جمال عبد الناصر » وتحولت فى الشرق الأوسط ــ وفى غيره ــ من قوة عظمى إلى دولة أوروبية تجارية شأنها شأن غيرها فى القارة .

* * *

وإذا وصلنا إلى العنصر الرابع وهو المحافظة على الهدف الاستراتيجى وعدم السماح لأية خطوات تكتيكية أن تغطى مطالبه ــ فإننا نجد أن « جمال عبد الناصر » تسلح بقدر هائل من المرونة .

كان هدفه التكتيكى أن يكسب وقتا وأن يعبئ رأيا عاما عالميا وأن يحرك موازين قوى دولية . وأن يستغل تناقضات أطراف حتى ولو كانت مرحلية بحيث تفوت فرصة التدخل العسكرى المسلح على الذين يفكرون فيه .

وهكذا نراه لم يعترض على مؤتمر لندن الأول ، ولم يعترض على مجىء بعثة

« منزيس » إلى مصر تحمل له قرار ثمانية عشرة دولة من المشتركين فى مؤتمر لندن ، ولم يعترض على ذهاب بريطانيا وفرنسا إلى الأمم المتحدة ـ وإنما جعل من كل تطور من هذه التطورات فرصة للمناورة ، وفرصة لكسب الوقت ، وفرصة للتعبئة ، وفرصة لتحريك الموازين .

كان على استعداد لأن يناقش ويسمع ويبدى رأيه .

وكان على استعداد للاتصالات المباشرة وغير المباشرة .

وكان على استعداد لأن يتجاوز عما اعتبره من باب التفاصيل ، وعلى سبيل المثال فإنه حينما سئل غداة يوم التأميم عن رأيه فى بواخر تعبر القناة ولاتريد أن تدفع الرسوم للهيئة المصرية كان قراره أن يتركوها تمر على أن تضاف رسوم مرورها إلى حسابات شركاتها حين يجىء يوم الحساب .

ولو أنه تعنت فرفض أن تمر باخرة دون أن تدفع الرسوم لتسبب فى تعطيل حركة المرور فى القناة وأعطى للمتربصين حجة يتمنونها .

وحتى تحت ظروف القتال فإنه رفض عمليا ومعنويا أن ينساق إلى قرار بإعلان الحرب على بريطانيا طبقا لما تقضى به الأصول ، فلقد كان ينظر إلى ما بعد انتهاء المعارك ويعرف أنه لايستطيع أن يطبق على بريطانيا ما يطبقه على إسرائيل ومرور بواخرها من قناة السويس فى ظروف حالة الحرب ـ وهكذا أخذ الأمور بمرونة منذ بداياتها ولم يشأ أن يكون هناك إعلان رسمى بحالة الحرب .

كان هذا سببه العملى .

وأما السبب المعنوى فرجعه إلى تقديره الشديد لموقف حزب العمال البريطانى من الحرب رغم صداقة كثيرين من أعضائه لإسرائيل . وأتذكر أن الوزراء المختصين ببعض الإجراءات العملية الاقتصادية والأمنية وجدوا أنهم لايستطيعون بالقانون تطبيق بعض هذه الإجراءات دون إعلان رسمى بالحرب

أو حالة الحرب ، وكان رده : « تصرفوا بدون إعلان حرب فنحن لانستطيع أن نعلن الحرب على نصف أمة تقف وراء « إيدن » ونصف أمة تعارضه فى الشارع » . وكانت أمامه صور لمظاهرات ميدان « ترافلجار » .

وحتى عندما تقرر اعتقال الرعايا البريطانيين كرعايا أعداء فى وقت الحرب فإن تصرفه كان مدهشا فى مرونته ، فقد طلب التحفظ على رءوس الجالية البريطانية بما فيهم المراسلين الصحفيين فى فندق « سميرا ميس » وهو أكبر فنادق العاصمة وقتها .

لكن هذه المرونة فى التكتيك لم تقترب من تصميمه الاستراتيجى . ومع ذلك فقد بدأ هذا التصميم متنوعا وخلاقا فى استجابته .

فعندما بدأت المعارك كان هو الذى أصدر القرار بإغلاق قناة السويس أمام الملاحة عن طريق تفجير باخرة ملأى بالأسمنت فى وسط مجراها ، فقد كان إيقاف تدفق البترول إلى الغرب قد حان وقته كجزء من معركة السلاح ، وتحقق ذلك على أكمل وجه حينما تم نسف خط أنابيب البترول الممتد من الخليج إلى البحر المتوسط عبر سوريا .

ولقد كان تمثله لساحة المعركة هو الذى حفزه إلى اتخاذ واحد من أهم القرارات العسكرية فى مجرى الحرب وهو قرار سحب مجموعة القوات الرئيسية التى تقدمت إلى سيناء بعد أن تدخلت اسرائيل بدورها فى التواطؤ على حدود مصر ، وذلك حتى لا ينقسم الجيش المصرى إلى قسمين ـ واحد يواجه اسرائيل فى سيناء وآخر يواجه بريطانيا وفرنسا خلفه على القناة أو فى الدلتا ، وإنما رأى تجميع قواته والدخول فى معركة أساسية واحدة . ولقد قاتل فى سيناء بالقدر اللازم لحماية الانسحاب ، وقاتل فى بورسعيد بالقدر اللازم لوقف تقدم قوات الغزو ، واختار سلامة الطيارين على سلامة الطائرات أمام تفوق جوى بريطانى ـ فرنسى لكى يصون قواه لمرحلة أخرى من المعركة رآها فى انتظاره إذا لم تخرج اسرائيل من سيناء وقطاع غزة .

وبعد انتهاء المعارك لم يكن لديه ما يعطيه فى شأن قناة السويس غير إعلان مصرى من طرف واحد بـ « ضمان حرية الملاحة فى قناة السويس » . ولم يستطع طرف أن يجادله .

ثم إنه وجد الفرصة ملائمة ومهيأة لإلغاء كل اتفاقية سنة ١٩٥٤ مع بريطانيا من أساسها دون انتظار ست سنوات أو سبع كما كانت تقضى نصوصها .

وفى النهاية فإن الجائزة الاستراتيجية للحرب كلها ـ وهى المرادف الفعلى للنصر ـ قناة السويس فى هذه الحالة ـ ظلت ملكية كاملة لمصر بأهميتها وبدورها وبدخلها .

* * *

يبقى فى النهاية عنصر الإدراك الواعى للمناخ الوطنى والإقليمى والدولى .

وبالنسبة للمناخ الوطنى فلقد وضع ثقته منذ اللحظة الأولى للأزمة فى الشعب المصرى ، وجرى توزيع السلاح بمئات الآلاف من القطع على أفراد الشعب وأحس الناس أنهم فى المعركة شركاء فى المصير ـ بل هم أصحابه .

وكان واثقا أن مجمل الأحداث منذ قيام الثورة قد خلق حالة من الوعى والتأهب وصلت إلى أرقى درجاتها ، وحين أطلق صيحة القتال دفاعا عن الوطن لم تسمع فى مصر على مستوى الجماهير صيحة غيرها وإلى النهاية .

وبالنسبة للمناخ العربى فلقد أدرك أن شعوب الأمة العربية كلها وصلت إلى درجة عالية من التعبئة خلال مواجهة ممتدة ضد الأحلاف وضد احتكار السلاح وضد مخططات سيطرة القوى الكبرى .

ولم ينتظر طويلا فإن ضغط الشارع العربى المندفع على القصور العربية المترددة ولد طاقات لا حدود لها فى المنطقة وخارجها من « داكا » إلى « داكار » وأصبحت لندن بالفعل والواقع عاصمة تحت الحصار من الخارج وحتى من

الداخل ، وتصدع « حلف بغداد » ، بل وكاد « الكومنولث » نفسه أن يتصدع تحت وطأة الأحداث .

ولقد كان يرى أبعاد التناقض الداخلي بين بريطانيا والولايات المتحدة ويعى أنه تناقض فى الوسائل وليس فى الأهداف ، ومع ذلك فقد بدا له تناقض الوسائل مما يمكن استغلاله ، واستغله إلى درجة أنه رضى أن يدلى بتصريح على يقول فيه إنه كان يفكر فى تأميم شركة قناة السويس منذ سنين وأن قراره بتأميمها لم يأت كرد على « دالاس » ـ وكان مقصده أن يرفع عن وزير الخارجية الأمريكية ضغط الذين ألقوا باللوم كله عليه ـ لأن « جمال عبد الناصر » كان يريد للتناقض الأمريكى ـ البريطانى فى الوسائل أن يتحرر حتى من لوم الحلفاء !

كذلك رأى أن الاتحاد السوفيتى أمام منعطف هام فإما أن يخرج نهائيا من عزلته التى أطل منها مجرد إطلال بعد صفقة السلاح ، وإما أن يعود إلى العزلة القديمة . وقدر أن القيادة السوفيتية الجديدة بعد « ستالين » لن تترك الفرصة تفلت لتقفز فوق الحزام الشمالى وتدخل إلى تأييد حركة التحرر القومى فى العالم العربى .

ولم يحاول تعجل موقف السوفيت ، فلو أنه حاول تعجله لكانت تلك مقدمة لالتزام من جانبه ، وكان يدرك أن قوته الحقيقية هى تحرره من أى التزام مسبق فى المواجهة الدولية على القمة .

هكذا قدر موقف الاتحاد السوفيتى . وفى يوم ٦ نوفمبر عرف أن تقديره كان الأقرب إلى الصواب حينما صدر الإنذار السوفيتى .

ولقد وجد لديه رصيدا هائلا من صداقات أنشأها من قبل بحرص ودأب مع عمالقة من طراز « نهرو » و « تيتو » .

ثم إنه اكتشف بسرعة فائقة أهمية الأمم المتحدة فى لحظة خاصة من تاريخها ، فإن توافق القوتين الأعظم ظاهريا على الأقل فى تحركات الأزمة أعطى

للمنظمة الدولية ولأمينها العام بشخصيته المتميزة فى ذلك الوقت دورا استثنائيا سواء كأداة فعل أو أداة تعبئة ، ومشى « جمال عبد الناصر » بهذا الدور إلى مداه .

كذلك وجد طاقات هائلة جرى كبتها من تأثير محاولات سابقة لم تنجح فى مواجهة السيطرة والاحتكار ، وأبرزها فى تلك الأيام تجربة ايران مع شركة البترول البريطانية الايرانية وتجربة جواتيمالا مع شركة الفواكه المتحدة .

ولقد كان هذا الكبت فى جانب منه طاقة محبوسة بالقهر ، وحينما واتتها الفرصة لترى مواجهة ناجحة ومنتصرة فإن طاقتها المحبوسة بالقهر تحولت إلى إضافة لا يستهان بها فى المناخ الدولى خصوصا فى العالم الثالث .

* * *

كانت تلك لمحة عن إدارة « جمال عبد الناصر » لأزمة السويس ، واضطرت قوات العدوان إلى الانسحاب تحت ضغوط هائلة وبعد عناد عقيم شبهه « راندولف تشرشل » - ابن « ونستون تشرشل » - بأنه كان أشبه ما يكون بعناد « هتلر » فى سحب قواته من « ستالنجراد » حتى فات الأوان !

والآن - قرب النهاية - نعود إلى الأهداف الاستراتيجية الأساسية فى الأزمة لكى نرى من ؟ حقق ماذا ؟

كانت بريطانيا تريد القناة وإخضاع مصر - وأرغمت بريطانيا على الانسحاب من بورسعيد .

وكانت فرنسا تريد ضرب قاعدة الثورة الجزائرية - قبل شركة القناة - وأرغمت فرنسا على الانسحاب من بورسعيد بعد ثلاثة شهور من العدوان ومن الجزائر أيضا بعد ثلاث سنوات !

وكانت اسرائيل تريد ضرب مصر - وما تمثله فى ذلك الوقت - وأرغمت

اسرائيل على الانسحاب فى إثر انسحاب حلفائها ــ وقد ازدادت قوة مصر وازدادت أهمية ما تمثله .

وأرادت الولايات المتحدة فى الساعات الأخيرة من الأزمة ــ واسرائيل معها ــ نزع سلاح سيناء وتدويل قطاع غزة على الأقل ــ وعادت القوات المصرية إلى سيناء وإلى قطاع غزة .

كانت هذه أهدافهم الاستراتيجية فى الأزمة ... ولم يتحقق واحد منها .

وأما الهدف الاستراتيجى المصرى ــ السويس ــ ليس فقط القناة ولكن الرمز قبل القناة ــ فقد بقيت جميعا للأمة العربية .

هكذا فنحن أمام مثال نموذجى فى إدارة أزمة :

إدارة تحقق أهدافها .

وتمنع أعداءها من تحقيق أهدافهم .

* * *

وفى النهاية فلقد يثور تساؤل : الآن وبأثر رجعى : نتحدث عن ذلك كله وقد بانت الصورة كاملة . فهل كان ذلك بتفاصيله ودقائقه ــ فى حسابات « جمال عبدالناصر » وهو يواجه الأزمة ويمسك فى يده بزمام إدارتها ؟

وهذا سؤال فى مكانه وفى أوانه بالتأكيد .

وردى بأمانة : بالطبع أن لدينا الآن فرصة الحكم بأثر رجعى .

لكننا نستطيع أن نجزم بأن « جمال عبد الناصر » كان فى ذروة الأزمة يملك مقدرة الاستيعاب الكلى لحقائق وعناصر الموقف بصرف النظر عن التفاصيل المتناثرة فى كل زاوية وركن ، وهذا الاستيعاب الكلى ــ حتى من غير زحام التفاصيل ــ هو أهم عناصر القيادة التاريخية .

الجلسة الأولى :

القسم الثانى :

تعليقات ومناقشات واستيضاحات حول كلمتى

أنتونى ناتنج ومحمد حسنين هيكل

شارك فيها :

محمود رياض ــ أحمد صدقى الدجانى ــ أنور عبد الملك ــ سعيد كمال ــ
محمد لطفى الصباحى ــ سعد زهران ــ على فهمى ــ هدى بدران ــ
مصطفى كامل السيد ــ د . حسن نافعة .

ــ هل كسبت إسرائيل فى معركة السويس حق المرور من المضايق ؟
ــ رئيس هيئة القناة هل كان من أهل الثقة أم من أهل الخبرة ؟
ــ « رأيى أن تشرشل كان صهيونى العقيدة وكان يحاول أن يفرض علينا التشاور مع إسرائيل حول اتفاقية الجلاء » « ناتنج »
ــ « كان تقدير إيدن للشعب المصرى هو أنه لدى سماع الإنذار سيثور فى القاهرة ضد حكومته ويسقطها » .
من كتاب عن سيرة إيدن الشخصية يصدر قريبا

الاستاذ أحمد حمروش : شكرا للأستاذ الكبير محمد حسنين هيكل على كلمته القيمة التى أضاءت لنا جوانب مشرقة من شخصية زعيمنا الفذ جمال عبد الناصر وإدارته لمعركة وطنية وقومية غيرت كثيرا من صور الحياة فى تلك الفترة تأثيرها حتى تلك اللحظة .

الباب الآن مفتوح للأسئلة والتعقيبات ..

الجلسة الأولى/ القسم الثانى :

سؤال من ممثل مجلس السلم والتضامن اليمنى فى جمهورية اليمن العربية يقول : مع الشكر الجزيل .. نسأل الأستاذ هيكل ملتمسين التوضيح عن العدول عن عنوان البرنامج المطبوع :

« إدارة المعركة » إلى إدارة الأزمة .. هل لفظ « أزمة » عند الأستاذ مرادف لكلمة « معركة » لأن المفهوم اللغوى المتبادر للذهن بديهية أن المعنى الحقيقى بينهما مختلف .. كما أن ما حصل كان معركة لا أزمة .. مع الشكر الجزيل .. السؤال من محمد لطفى الصباحى ..

الأستاذ محمد حسنين هيكل : العنوان المقرر لموضوعى هو كيف أدار جمال عبد الناصر الأزمة .. نتكلم عن المعركة مثلا قد يفهم أنها المعركة العسكرية .. لكنه تصور أن الأزمة هى كل المناخ السائد فى وقت معين فى مواجهة حدث معين .. وأن المعركة العسكرية جزء منها .. تصور أنى تكلمت عن إدارة الأزمة كلها بمفهومها الكامل .. ممكن الحقيقة السؤال يعنى .. المفهوم المتبادر للذهن وأهل الثقة وأهل الخبرة هو أن ما حصل كان معركة .. هو المعركة فى جو أزمة ..

الأستاذ أحمد حمروش : إنشاء سؤال من الدكتورة هدى بدران أستاذ فى جامعة حلوان .. لقد ذكرت فى حديثك أن جمال عبد الناصر ركز على عنصر الإدارة القادرة ودورها عند القرار الخاص بتأميم القناة .. هل كان التركيز هنا على الإدارة المتمتعة بالخبرة الفنية أم المتمتعة بالثقة أم الإثنين معا ؟ فإذا كان التركيز على الأمر الأخير.. لماذا لم يطبق ذلك عند تأميم مرافق أخرى ؟

الأستاذ محمد حسنين هيكل : الأستاذة تسمح لى أرد .. لست أدرى ما إذا كنا بصدد العودة لمعركة مفتعلة بين أهل الثقة وأهل الخبرة .. لكننا ننسى أحيانا من وقع عليه اختيار جمال عبد الناصر لدى تأمين قناة السويس .. من ؟.. يذكر الناس باستمرار اسم محمود يونس باعتباره أنه كان مهندسا وأنه أشرف على عملية التسيير.. نحن ننسى أن أول رئيس للإدارة المصرية لهيئة قناة السويس هو الدكتور حلمى بهجت بدوى .. الذى كان رئيس الهيئة وهو أكبر أساتذة القانون الدولى فى مصر لم يكن محمود يونس ما كانش مجرد أنه واحد من أهل الثقة .. يعنى مجرد أنه ضابط .. لقد كان يدرس إدارة فيما أعلم .. إدارة عسكرية وعنده فكرة عن التحركات واختير فى البترول .

نحن ننوى مرات انقساما لامبرر له .. انفصاما بين أهل الثقة وأهل الخبرة كما لو كان من غير الممكن يبقى أحد من أهل الثقة لديه خبرة .. ولا يمكن أن يكون لديه خبرة بينما هو أهل الثقة .. طيب .. ؟ أنا الـعندما آخذ مثلا .. حلمى بهجت بدوى أكبر أساتذة القانون فى مصر وهو رئيس مجلس إدارة الشركة وأخلى المدير العام التنفيذى لها رجلا لديه خبرة ضخمة جدا بالتحركات العسكرية .. لديه خبرة ضخمة جدا بالإدارة لأنه كان يدرسها فى كلية أركان حرب ..

من هنا بقى أهل الخبرة وأهل الثقة .. نرجع به لحكاية الشركات لماذا لم يطبق .. أنا أعتقد أنه طبق .. لكن هذا ليس مجاله الآن .. هذا البلد ــ لكيلا ننسى ــ حتى هذه اللحظة إذا كان يقال إن القطاع العام هو أهل الخبرة .. ولا

أدرى ماذا عملوا فى التجربة فأنا أقول إن هذا البلد .. حتى هذه اللحظة .. يعيش على القطاع العام .. ولو أنه بلا قطاع عام إذن لواجه مشكلة لاحدود لها .. حينما يقول لى أحد إن أكبر مشروع نفذ فى أفريقيا كلها وفى العالم العربى : السد العالى .. ماذا تقول عن صدقى سليمان أهل خبرة أو أهل ثقة .. لقد دخلنا فى معركة مفتعلة .. وأنا أعتقد أنه آن الأوان لكى ننظر للموضوع نظرة فيها تجرد .. وبعيدا عن حملات مقصودة وموجهة ومطلوب مكسب إسرائيل من ورائها فعلا أن تحدث نوعا من الانفصام فى البلد ..

الأستاذ أحمد حمروش : شكرا للأستاذ هيكل .. سؤالين فى مضمون واحد من الدكتور على فهمى ومن الأستاذ سعد زهران .. يقولون فيه إنهم يختلفون مع الأستاذ هيكل فى جزئية واحدة وهى أن إسرائيل قد كسبت جزئيا من معركة السويس بأن سمح لها بالمرور من مضايق تيران ولم يعلن عن ذلك .. وكذلك أنها استطاعت أن تقيم ميناء إيلات .

الأستاذ محمد حسنين هيكل : أولا لا .. هذه الإضافة الأخيرة عن حكاية ميناء إيلات .. مع تقديرى الشديد ، ميناء إيلات أقيم والسيد محمود رياض موجود أمامنا ، وكاتب هذا الكلام فى كتابه الأخير.. أقيم من قبل معركة ٥٦ .. أقيم من سنة ٥١/٥٠ .

الأستاذ محمود رياض : من ١٩٤٩ .

الأستاذ محمد حسنين هيكل : من ٤٩ طيب .. أقيم من ٤٩ وكان موجودا ، وليس صحيحا أن ميناء إيلات أقيم .. أنا هذا هو السؤال الذى أنا كنت متوقعه .. وأن أناسا من أصحابنا سوف يركزون عليه .. وأنا موافق على التركيز عليه .. أريد أن أقول إنه أولا ليس صحيحا أن موضوع مرور إسرائيل من خليج العقبة أخفى عن الناس .. موضوع حدث وعندما جاءت قوات الطوارئ الدولية ودخلت فى سيناء .. وكانت موجودة .. لم يقل أحد إطلاقا أن مصر سترجع تمارس ذات قوتها إللى كانت تمارسها مرة أخرى .. ومع ذلك

أنا لا أريد أن أسبق الكتاب .. ولا بأس من اضطرارى لسبق الكتاب .. خيرا أن لا يكون أحد من الأهرام هنا .. ولا أحد من الذين عندهم حق الكتاب .. لكن أنا ناشر فى الكتاب مجموعة من الوثائق توضح أو ترد.. بين توضح تماما حقائق هذه النقطة ..

أولا : هناك تركيز شديد جدا على أهمية حكاية خليج العقبة ولى رجاء عند أناس كثيرة جدا ممن بيركزون عليها .. أن إسرائيل أحيانا تركز على أمور ، ويبقى الهدف معنويا لا أكثر.. ليس مهما جدا إلى هذه الدرجة ، فتح خليج العقبة حيث حدث فى السنوات العشر السابقة لـ ٦٧ يعنى منذ وقت فتح الخليج حتى وقعت حرب ٦٧ كان عدد السفن الاسرائيلية التى مرت فى خليج العقبة اثنين فقط ، وهذا واضح فى برقية يوثانت سنة ٦٧ .. مايو ٦٧ ولو هذه قضية ثانية .

خليج العقبة حينما انتهت الحرب وبدأ يحدث الضغط على الجلاء ، وأمريكا تضغط على اسرائيل لأجل الجلاء .. وداخلة بعد هذا بخطط أخر .. بمشروع ايزنهاور .. أفرحتهم .. وانسحبوا ... الانجليز رحلوا .. الاسرائيليون خرجوا من سينا .. الإدارة المصرية عادت لغزة .. بقى موضوع خليج العقبة .

وقتها رحبت مصر.. إن المملكة السعودية تحاول أن تدخل معنا بكل الوسائل فى موضوع إخراج .. فى موضوع خليج العقبة .. وموجودة فى الكتاب القادم رسالة من الملك سعود يرجو الرئيس جمال عبد الناصر ألا يؤزم الموقف لأنه .. الأمريكان وصلوا إلى آخر الشوط .. ولأن جزيرة صنافير وتيران جزر سعودية فى الأصل .. هذا ماقيل وقتها وكانت حجة معقولة جدا .. أنه والله طيب السعودية .. لقد استفدنا .. أنا أريد أن أفهم حينما يصل أحد إلى .. وقف العدوان الانجليزى الفرنسى ويوقف اسرائيل .. ويرجع فيدخل سيناء .. ويرجع بالإدارة المصرية لغزة .. ويلغى معاهدة سنة ١٩٥٤ .. ويلغى أى حجة فى قناة السويس إلا إعلان من طرف واحد .. فيكون قد حقق ٩٩٪ من أهدافه .. فى هذا الجو المشحون كله .. وفيه خطط أمريكية مقبلة فى المنطقة خليج العقبة ..

طيب إن خليج العقبة ليس بهذه الأهمية إلى هذه الدرجة التى تتناول الحديث عنه .. إننا أحيانا نسير وراء إسرائيل لا أريد أن أقول إنها أحيانا تخطط لنا .. وإنى على سبيل المثال أطرح نموذجا .. إن إسرائيل اليوم تقيم الدينا لكى تعترف بها منظمة التحرير الفلسطينية .. إليكم دولة نووية .. قوة عظمى محلية ، تطلب من فريق من اللاجئين المشردين .. وتقول لهم اعترفوا بى .. ماذا هو المطلوب ؟.. مطلوب الاعتراف ؟.. إن اسرائيل تجد تكئات .. أو تجد حاجات لقضايا معنوية .. أما الأهمية الخطيرة الخرافية .. فيه مهمة جدا .. طبعا الفريق فوزى ممكن يصحح لى ويقول الإطلال على البحر الأحمر .. نعم الإطلال على البحر الأحمر .. لكنك وقد حققت ٩٩٪ مما كنت تريد .. ثم واحد فى المايه جاء رجاء من أكبر حلفائك وهم السوريون وغيرهم .. والسعوديون .. وقالوا ألا تؤزم الموقف أكثر من هذا .. لم يعد فى المستطاع أن يتحمل الموقف أكثر من هذا .. وبعث إليك الملك سعود رسالة بتوقعيه .. يقول لك وهذه جزر سعودية تيران وصنافير .. دعونا نحاول مع الأمريكان فى جو أقل توترا وحدة .. نستعيدهم .. فأنت إزاء كل ما أخذته قبلت هذا .. وعندما نظرت لحركة الملاحة فى خليج العقبة .. كما أقول .. نعم كانت هناك سفن أخرى تمر .. والمراكب الاسرائيلية اللى فاتت التى مرت فى عشر سنين اثنان ..

هل كان الأمر يستحق أن آخذ موقفا أبدد فيه ٩٩٪ من المعركة .. وأسير وراء قضية لا لزوم لها .. فضلا عن أن هناك طرفا آخر .. ومن سوء الحظ ، ومع الأسف الشديد .. أن بعض الذين تعهدوا .. والذين كان فى مقدورهم .. والذين كان فى إمكانهم يكملوا هذا .. لم يكملوه .. وبالعكس بدأوا يهاجمون يقولون أه خايفين .. قوات الطوارئ موجودة فى خليج العقبة .. ثم إن هذا الموضوع لم يحدث إخفاؤه .. كان موضوعا قائما .. ظاهرا للعيان .. معروفا .. ومع الأسف الشديد لست أدرى من أين جاءت أسطورة أن أحدا أخفى هذا الموضوع .. لم يقم أحد بإخفائه .. هذا موضوع أعلن فى الأمم المتحدة ونشر فى الجرائد المصرية .. وفى كل الجرايد ..

نعم لم يحدث تركيز عليه .. لن تقول كل يوم ان الاسرائيليين يمرون فى خليج العقبة .. لكن سفينتين اثنتين مرتا .. فى عشر سنين.. إذا ماذا تعنى هذه القصة ..

الأستاذ أحمد حمروش : أرجو الأستاذ محمود رياض يتفضل ..

الأستاذ محمود رياض : هو الأخ هيكل الحقيقة أدى وصف كامل للجو فى ذلك الوقت يعنى أثناء المعركة بتحسب الخسارة والمكسب فالمكسب اللى وصلنا له كان مكسب .. إذا كان ذكر ٩٩٪ .. ممكن الإنسان يقول ٩٩,٩٪ .. كانُ أكبر من هذا بكثير جدا .

كان مكسب مصر فى ذلك الوقت كنا نواجه أكبر امبراطوريتين كما شرح ومعهم إسرائيل وإضافة قصيرة .. بالنسبة للمعلومات ، أقولها للإخوان الذين توجهوا بالسؤال .. إنه كان من ضمن قرار الأمم المتحدة الخاص بالانسحاب .. ، ما تدخل الأمم المتحدة .. وكما ماشرح السير أنتونى ناتنج دور الولايات المتحدة .. فإن دور الولايات المتحدة كان أساسيا .. والأمم المتحدة فى ذلك الوقت كانت تسيطر عليها .. الولايات المتحدة .. كانت نظرية إيزنهاور أن يستخدم الأمم المتحدة وهى الجهاز الدولى لخدمة المصالح الأمريكية .. ومن هنا استطاع أن يضغط على انجلترا وعلى فرنسا .. صحيح انجلترا عن طريق الدولار — كما ذكر السير أنتونى ناتنج — ولكن عن طريق جهاز مشروع اللى هو جهاز الأمم المتحدة .. من ضمن الشروط الخاصة بعملية الانسحاب عن طريق الأمم المتحدة .. ترجع تقول إنه قرار من الأمم المتحدة .. إصرار ايزنهاور على أن هذا القرار ينفذ دون قيد أو شرط .. ومن هنا استغل عبد الناصر هذا القرار بأنه أرسل القوات .. والحاكم العام المصرى لقطاع غزة .. أرسله لغزة ، وكانت .. اسرائيل بترفض .. وإذا كانت انجلترا وفرنسا انسحبوا سنة ٥٦ .. فاسرائيل بقيت موجودة فى غزة لغاية مارس ١٩٥٧ .. بقيت تحاول الضغط على ايزنهاور حتى تبقى فى غزة .. الخلاصة أن عملية الانسحاب كانت تتم .. بناء على قرار الأمم

المتحدة وتحت إشراف الأمم المتحدة ، ووجود قوات من الأمم المتحدة .. فبالتالى قوات الأمم المتحدة كانت بتمشى وراء القوات الاسرائيلية .. ومن ضمن وجودها طبعا تواجدت فى غزة .. ومن هنا فوجئت قوات الأمم المتحدة بدخول الحاكم فى ذلك الوقت ومعاه الإدارة المصرية .. ولكن قوات الأمم المتحدة بقيت فى شرم الشيخ .. فكان لايمكن فى الواقع لمصر النهارده أن تعيد الوضع إلى ماكان عليه عندما صدر قرار إغلاق شرم الشيخ سنة ١٩٥٠ وقد شارك فى هذا القرار .. أستاذنا الكبير وحيد رأفت .. وقد كان هذا سنة ١٩٥٠ كان لايمكن لمصر فى ذلك الوقت ، الحقيقة أن تعيد الوضع إلى ماكان عليه سنة ١٩٥٠ إلا بأن تستخدم القوة ضد قوات الأمم المتحدة .. وتطردها من شرم الشيخ ، وهذا معناه أننا نتجاوز حدود قوتنا .. ويجب ألا ننسى أن الانتصار كان انتصارا سياسيا ، ولم يكن انتصارا عسكريا .. صحيح وراه مقاومة الشعب التى ساعدت على كسب الوقت .. وتكوين الرأى العام الدولى كما أشار الأستاذ هيكل بجانب العملية المصرية .. ولكن كان هناك استحالة مادية أن تقوم أيضا بطرد قوات الأمم المتحدة التى وقفت بجانبك وسكرتيرها الذى كان فعلا يقف بقوة بجانب الانسحاب الإسرائيلى دون قيد أو شرط ..

وأكتفى بهذا ، فقد أطلت .

الملك حسين .. والمعركة .

الأستاذ أحمد حمروش : شكرا للأستاذ محمود رياض على كلمته التوضيحية القيمة وسؤال إلى الأستاذ هيكل من الأستاذ سعيد كمال عضو المجلس الوطنى الفلسطينى بيسأل بيقول :

حتى الآن أفهم وفى إطار حديثك عن إدارة الأزمة .. لماذا طلب الزعيم جمال عبد الناصر من الملك حسين عدم دخول المعركة .. بعد أن استعد الملك للدخول .. ولماذا استجاب لنفس الطلب فى عدوان ١٩٦٧ .

الأستاذ محمد حسنين هيكل : أستأذن الأخ سعيد .. هذا سؤال واحد يعرف كل

حاجة عارف التفاصيل : فقط أنا لا أسايرك.. لو سمحتلى لن أستطرد معك.. سأتحدث عن الجزء الخاص بـ ٥٦ .. فلنترك ٦٧ وسوف أكمل فيما بعد ١٩٥٦ لو نذكر.. أولا لم يكن هناك تنسيق مع الأردن .. ولم يكن هناك نوع من التنسيق الكافى مع الأردن.. ولو أن القائد العام للجيش المصرى كان موجودا فى الأردن قبلها .. ولو أن كنا بنساعد الأردن قبلها .. ولو أنه كنا نعطى طائرات للأردن .. وقد بعث الملك حسين بخطاب للرئيس جمال عبد الناصر يشكره على هذه الطائرات قبل المعركة بثلاثة أيام .. لكن فعلا لم يكن هناك تنسيق كامل .. كان عندك سلاح سوفيتى لم تستوعبه وكنت تحاول أن تجهز نفسك عليه.. لكن جمال عبد الناصر كان مدركا باستمرار سواء فى ٥٦ وفى ٦٧ .. لن أتكلم فى ٦٧ ، حيث ستجىء ظروفه .. ٥٦ مدركا .. أمر الضفة الغربية .. والقدس لها وضع خاص .. وأن اسرائيل إذ دخلت فلن تخرج .. وبالتالى فإن الملك حسين لما كلمه فى التليفون .. وكلمه وقد بدأ .. يعرف أننا .. الأخ محمود رياض أشار لمسألة مهمة جدا وهى أنها لم تكن حربا عسكرية .. إن الأمر لم يكن انتصارا عسكريا .. أنا قد أختلف مع هذا . لا أقول إنه كان انتصارا عسكريا .. لكن أنا لا أفرق بين ماهو سياسى وما هو عسكرى .. أنا أقول إن الحرب كلها عمل سياسى كامل تدخل فيه القوة المسلحة كإحدى عناصره .. فى مرحلة من المراحل ..

حينما تقول إن الملك حسين اتكلم فى التليفون ١٩٥٦ .. اتكلم امتى .. لقد تكلم بعدما تدخل الاسرائيليون .. الاسرائيليون تدخلوا .. ولايصح أن تفوتنا نقطة مهمة جدا .. وهى واضحة فى تقرير جنرال لاسكوف .. وهذا التقرير كل واحد يقرأه .. جنرال لاسكوف.. ماذا يقول فى تقريره .. إنه يجرى نقدا للجيش الاسرائيلى فى معركة سيناء .. رغم كل الضجة اللى أثارها ديان فماذا قال .. قال إنه بادئ ذى بدء ، أن قائد الجيش الاسرائيلى كانت لديه معلومات مسبقة بأنه بعد ٤٨ ساعة سوف يتدخل الإنجليز والفرنساويون فى القناة .. وبالتالى لم يكن راغبا فى دفع أية قوات لأى معارك حقيقية قبل أن يتدخل الانجليز

والفرنساويون .. وبالتالى عندما هجم اللواء السابع بقيادة سمحون على مواقع الكونتيلا ، ولقت به خسائر فى هذه المعركة .. خسائر شديدة جدا .. راح ديان وأوقفه .. وقال لماذا تدخل بجيش تلحق به خسائر ، إذا كنت تعرف أن هناك قوة أخرى ستدخل وراءك .. وأن دورك هو دور المناورة السياسية لكى تخلق .. ذريعة لقوات الغزو التى ستدخل بعد ٤٨ ساعة .. وإلى حين أن يدمروا الطيران .. فلماذا تفسد خطتنا .. ولكن يبدو أن القائد المحلى للواء السابع لم يكن يعرف المؤامرة .. الترتيب .. لكن الذى حدث أن اللواء السابع فى معارك الكونتيلا قد عزل قائده ، وكانت عنده خسائر كبيرة جدا .. ذات الشيء .. حيث فى كل مرة كان فيها صدام حقيقى .. سواء على الحدود .. على خط الحدود .. أو سواء فى معركة ممر متلا .. فى كل مرة فى هذه المناطق تكبدت القوات الاسرائيلية خسائر لا بأس بها جدا .. إنك تقول إننا فى الآخر انسحبنا .. أنت انسحبت وفقا لخطه أنت قررتها ، وإلا كان الجيش يتعزل .. ويتقطع نصفين ..

أرجع لسؤالك مرة أخرى .. وبالتالى أنا .. لاأعتبر أن مصر قد هزمت أو أنه لم يكن هناك انتصار عسكرى .. الدور العسكرى كله .. الدور العالمى والدولى والاستراتيجى فى الأزمة أخذ كل حاجة ولم يترك أى شيء .. الذى حدث فى الرملة .. معركة سينا كلها لغاية مادخل الانجليز والفرنساويون .. كانت كلها عمليات ناس يتعثرون فى الرمل وأنا أذكر أنه لما لقيت الرئيس مباشرة بعد الدخول الاسرائيلى .. كان بيستغرب .. ماذا يفعل هؤلاء الجماعة فى الرمل .. ولماذا لايتقدمون.. إنهم لايفعلون شيئا.. لكن واضح أنهم يريدون الإشارة لحلفائهم بأنهم بدأوا .. فأوجدوا العذر .. والثانى سيدخلون .. نعود بعد ذلك للملك حسين .

فى هذا المناخ .. حينما تكلم الملك حسين فى التليفون .. أولا يتحدث التليفون .. على التليفون المفتوح .. يقول : سيادة الرئيس نحن تحت أمرك

وجاهزون .. وهو عارف ، زى حد عارف أنه لم يكن أحد جاهزا .. فقال له فى التليفون ـ والمكالمة موجودة ومسجلة ـ يا أخ حسين .. أنا مش هامنى .. احنا حنحارب معركة والمعركة طويلة .. وواضح أن فيه وراها قصد .. وأنا أخاف أنك لو أنت تدخلت .. الضفة الغربية والقدس قد تكون معرضة .. وإذا دخلوا فلن يخرجوا وبالتالى ده كان موضوع ٥٦ ..

٦٧ قضية أخرى نرجئ الحديث عنها .. بإذنك .. والغريب أنك تعرف من تفاصيلها زى ما أعرف .. لكن أنت تستدرجنى فى نزاعك مع الملك حسين .. لن أدخل معك فى هذا المضمار ..

الأستاذ أحمد حمروش :سؤال من الدكتور مصطفى كامل السيد : لماذا فى تقديرك وافقت الحكومة على فكرة هيئة المنتفعين فى أواخر أكتوبر ١٩٥٦ هل كان ذلك علامة على تراجع فى الموقف المصرى من التأميم الكامل لشركة قناة السويس ..

الأستاذ محمد حسنين هيكل: بادئ ذى بدء ، ليس فى علمى أن مصر تراجعت وقبلت هيئة المنتفعين .. إن الذى أعرفه أمران :

الأول : أنه حتى محادثات نيويورك : الدكتور فوزى ـ همرشولد ـ بينو .. وصلت إلى تقريبا طريق مسدود .. ثم تقدم همرشولد بمذكرة رأى فيها أن يلخص مواقف جميع الأطراف وبعث بها لجميعهم على أساس أنه سوف يقابلهم بعد ذلك فى جنيف ، وتبقى هذه المذكرة أساسا للمحادثات .

مصر قبلت.. فى بادى الأمر.. من أول يوم.. بأن المنتفعين إذا أرادوا.. أن يبقوا لجنة استشارية تكون منهم لجنة استشارية تبدى رغبات المنتفعين لهيئة القناة .. سواء فيما يتعلق بمشروعات التوسيع .. أو خطط المستقبل ..

لكن ليس فى علمى أنه رأى فى وقت من أوقات الأزمة.. ليس هناك مايدل على هذا إطلاقا .. إنى أتحدث عن ورق الأزمة ومستنداتها وما أعلمه والواقع .. أن مصر لم تقبل بهيئة المنتفعين إلا أنه يمكن أن يعملوا منهم لجنة

استشارية تسمع منهم الهيئة المصرية لقناة السويس ماقد يعن لها بشأن التجديد أو التوسيع أو مشروعات المستقبل .

موقف الشعب :

الأستاذ أحمد حمروش : سؤال من الأستاذ الدكتور أنور عبد الملك : هو سؤال مشترك للأستاذ هيكل والسير أنتونى نانتج : يقول بصراحة ماذا كان تقدير كل من :

١ ـ الحكومة البريطانية .

٢ ـ قيادة الثورة المصرية (وليس فقط الرئيس جمال عبد الناصر) .

أولا : لموقف الشعب المصرى .. وفى حالة حدوث عدوان عسكرى إسرائيلى غربى ضد مصر ردا على تأميم قناة السويس .

ثانيا ـ تأثير هذا الموقف على تطور المعركة .

الأستاذ محمد حسنين هيكل : تقدير قادة الثورة المصرية وليس فقط الرئيس جمال عبد الناصر :

أولا : لموقف الشعب المصرى فى حالة حدوث عدوان عسكرى إسرائيلى غربى ضد مصر ردا على تأميم قناة السويس .

موقف الشعب المصرى بالنسبة للرئيس عبد الناصر لم يكن إطلاقا موضع شك .. كل القيادة المصرية فيما أعلم وباستثناءات قليلة لاتكاد تذكر .. كما يحدث فى أى مناقشة موجودة ، بين أطراف متساوين يبحثون موضوعا معينا .. اختلفت اتجاهاتهم .. لكن الرأى الغالب ورأى جمال عبد الناصر على وجه التحديد : أن مصر لم تكن تملك بديلا غير رفض الإنذار والاستعداد للقتال ..

وقد ضربت محطات الاذاعة أول يوم وثانى يوم وحينما نزل فى الشارع وقال حنقاتل .. كل الناس وراءه قالت حنقاتل .. وكان هو الشعار الوحيد ..

كانت هناك مجموعة من السياسيين القدامى مثلا .. وحدث فى وقتها .. اجتمعوا وقالوا لهم يلقون بالبلد فى داهية وكذا وكذا ويعملون حكومة استسلام.. هذا له لايقاس عليه .. وهذا ليس قيادة الثورة ما أعرفش الأستاذ أنور فين ؟

الدكتور أنور عبد الملك : أهوه ..

الأستاذ محمد حسنين هيكل : آه ...

لكن الشعب المصرى وجمال عبد الناصر .. والقيادة على ما أعتقد .. أو الجزء الأكبر من القيادة لم يكن لديه مجال آخر .. وأذكر وقتها أن الرئيس جاء وسأل كل الذين يشتغلون معه ، عما إذا كانوا مستعدين لأى معركة نظامية .. ولمعركة غير نظامية .. وسأل أناسا كثيرين .. أنا منهم .. عما إذا كنا مستعدين نكمل حرب تحرير شعبه حتى بالنزول تحت الأرض .. وأنا أتصور أن هذا كان فى ذهنه .. احتمال الاستسلام لم يكن واردا على الإطلاق .. وكان تصوره أنها معركة ممتدة ومستمرة .. نظامية وشعبية لآخر مدى ..

وبالتالى فإن الشعب المصرى لم يكن .. بالنسبة لتقدير جمال عبد الناصر أو بالنسبة للقيادة المصرية .. موضع شك ..

ومن أوضح الدلائل أنه حدث فى أول يومين أو ثلاثة ، أن وزعت فى الشارع المصرى مائة وخمسين ألف قطعة سلاح .. هذا كان أولا دليل على ثقة فى الشعب المصرى .. ودليل على الرغبة فى المقاومة والاستمرار فيها لآخر مدى ..

الأستاذ أمين هويدى : بدون كشوفات ..

الأستاذ محمد حسنين هيكل : نعم ؟.. آه .. بدون كشوفات .. أهو السيد أمين هويدى حتى بيقول كمان بدون كشوفات .

سير أنتونى ناتنج : إنى على ثقة أكيدة بأن الحكومة البريطانية لم تكن تتوقع أن تكون المقاومة المصرية بهذا القدر من القوة الذى ووجهت به وخاصة فى بورسعيد .. بل إنى أعتقد أن الحكومة بل والشعب البريطانى قد استقبلوا بالذعر

الأفلام الإخبارية التى حملت صور الدمار الذى حدث فى بورسعيد فى سبيل إخضاع تلك المدينة للسيطرة البريطانية .. للسيطرة الانجلوفرنسية .

وأنا أعتقد أنه ربما الخطأ الذى ارتكبناه أننا لم نقدر هذا الموقف بل إن عنف المقاومة المصرية وفعاليتها كان أمرا غير مفهوم لنا بتاتا.. لم نأخذ فى اعتبارنا مشاعر الشعب المصرى .. ومشاعر الجيش المصرى ..

لقد كانت الروح المعنوية للجيش المصرى والروح المعنوية للشعب المصرى ـ بعد ظهور عبد الناصر مختلفة تماما عما كانت عليه فى حملات سابقة .. وبالذات الحملة ضد إسرائيل عامى ٤٩/٤٨ .. ومن ثم فقد كانت بمثابة صدمة غير متوقعة للحكومة البريطانية أن تكون المقاومة المصرية من القوة بهذه الدرجة التى واجهناها ..

وبالطبع فقد أخطأنا التقدير أيضا فى حساباتنا حيال ما كنا نتصور أننا سنواجه من مقاومة على طول العالم وعرضه .. وربما ـ من هذه الناحية ـ كنت أنا إلى حد ما أبعد نظرا عندما رجوت ـ أنتونى ناتنج ـ إيدن أن يفكر مليا يفكر قبل أن يورط نفسه فى هذه المغامرة .. قلت له « لا أظن أنك تستطيع أن تواجه الأمم المتحدة والولايات المتحدة والعالم العربى والكومنولث البريطانى وحزب العمال .. قد تستطيع أن تواجه واحدا أو اثنين من هذه القوى ولكنك لن تستطيع مواجهة الخمسة كلهم فى وقت واحد .. » ولقد ثبت بالطبع أن هذه القوى التى كانت ضدنا .. كانت أقوى بكثير جدا .. ومن ثم فقد كان تقدير إيدن علينا أن ننسحب حتى من قبل أن نبدأ فى إتمام العملية .

الأستاذ محمد حسنين هيكل : أنا حاسمح لنفسى بتعليق سريع على الكلام ده .. إن من الكتب الهامة جدا .. التى تنشر هذا العام عن السويس فى اعتقادى .. الكتاب الصادر عن « سيرة إيدن الشخصية » والذى أعطت إيدى ايدين لكاتبه جميع الأوراق الخاصة بزوجها .. لأنها كانت راغبة جدا فى الدفاع عن سمعته ..

إن الأوراق تتضمن أشياء مهمة جدا .. بما فيها محاضر الوزراء البريطانى ..

وبما فيها محاضر اللجنة الخاصة بالسويس التى كانت مشكلة لإدارة الأزمة يوما بيوم .. وفى هذه الأوراق تتضح أن تقدير إيدن للشعب المصرى ، هو أنه لدى الإنذار .. لدى سماع الإنذار .. سيثور فى القاهرة ضد حكومته ويسقطها .. فإذا فاتت هذه الفرصة .. ففور بدء الضرب الجوى .. فإن الشعب المصرى سينهار ويخرج إلى الشوارع يكسر وينهب .. وأنه لن تمضى ساعات إلا وتكون حكومة القاهرة فى الخارج .. « برة » ..

ومن ضمن الأمور التى قالها للجنرال كيتلى .. لما بدأ هو يضغط جدا .. وهذا واضح فى الورق .. فى ورقه الخاص .. لما بدأ جنرال كيتلى يضغط من أجل زيادة الاستعداد .. واحتياجه لمزيد من الوقت يقول مثلا القيادة العسكرية فى خطة موسكاتير.. وبعدها فى هامل كار.. بدأ القواد العسكريون يطلبون أسبوعا كاملا للضرب الجوى .. وكانوا يقولون إنه .. يستعجلهم باستمرار .. فكان هو يرد عليهم بأنهم يبالغون كثيرا فى الطلبات العسكرية .. وأنهم يريدون قوات أكثر من اللازم .. وبأن العسكريين جميعا عادة قبل ما تبتدى معركة يريدون السماء والأرض تحت تصرفهم .. فضلا عن أنهم قد لايخوضون هذه المعركة أصلا.. لأنه اللحظة .. ثلاث لحظات مهمة قوى :

لحظة توجيه الإنذار .. لحظة بداية الضرب .. لحظة ظهور الأساطيل أمام بورسعيد ولن تبقى مقاومة مصرية ..

أما الذى حدث فكان العكس تماما .. ولكن هكذا كان تقديرهم للشعب المصرى .

وعندى سؤال من الدكتور بلتاجى :

ذكرتم أن جميع عناصر الموقف كانت واضحة تماما وبدقة مذهلة .. لدى جمال عبد الناصر.. عند اتخاذه قرار التأميم .. ما عدا عنصر واحد : التدخل العسكرى الاسرائيلى .. هل يعكس ذلك فى تقديركم نوعا من الإقلال من أهمية دور اسرائيل بصفة عامة فى فكر جمال عبد الناصر؟ ـ لأ .. لكن هو .. نحن فيما

قبل لو تذكرون .. الموضوع كان موضوع اسرائيل .. قوات الجيش الرئيسية كلها كانت موجودة فى إسرائيل .. أنا قد أختلف مع سير انتونى فى أن ظهور التواطؤ مع إسرائيل بدأ بتأميم قناة السويس .. أنا أرى أمامى شواهد تدل على أن استعمال بريطانيا لاسرائيل كان موجودا ووارداً فى الفكر الانجليزى باستمرار ..

إلى درجة .. أن فيه هناك تأشيرة أرسلت إليه هو .. سير انتونى إيدن .. وقت الاشكالات التى حدثت قبل توقيع اتفاقية الجلاء مباشرة .. هناك تأشيرة من .. سير ونستون تشرشل على ورق .. على ورقه هو .. أرسلها جون كولين سكرتيره إلى سكرتير إيدن .. نص .. صورة من التأشيرة .. وجدت .. بالتأكيد السير أنتونى ناتنج لأنه كان موجودا ..

ماذا قال فيها ؟.. تقريبا معناه : كونوا متشددين مع المصريين ولاتستمعوا لهذا الهراء وأفهموهم أننا فى أى لحظة .

هذا كلام موجود .. كاتبه سير ونستون تشرشل فى تأشيرة رسمية على ورقه.

فى سنة ١٩٥٤ .. وكررها مرة أخرى سنة ١٩٥٥ .. وأمورا من هذا القبيل ..

الدور العسكرى الاسرائيلى .. منذ نشأة اسرائيل .. واضح فى ذهن كل واضعى السياسة المصرية .. فى الواقع يعنى ..

ماذا كان التصور فى قناة السويس .. فى أزمة قناة السويس ؟ فيما قبل أزمة قناة السويس سحبنا قوات الجيش التى كانت فى سينا تتمرن تتدرب .

فيه ورقة من مدير المخابرات العسكرية المختص بالشرق الأوسط .. كولونيل راب .. يقول فيها : ياالله؟.. المواقع المصرية خالية .. لماذا لا نلفت نظر الاسرائيليين لكى يعملوا فيها شيئا .. وقتها كتب خبراء وزارة الخارجية وكتب سير وليم سترانج .. وسير انتونى من المؤكد أنه متابع هذا .. قال هذه لعبة خطرة ولا داعى لها الآن .. وبعد ذلك جاءت إشارات ونستون تشرشل ..

فى سنة ١٩٥٥ .. كانت سينا خالية .. فى الواقع .. لأن كان قوات الجيش الرئيسية كلها كانت قد رجعت .. لتدرب على السلاح السوفيتى .. وفيما بعد بدأت توترات الحدود بغارة غزة .. ثم جاءت صفقة السلاح .. ومضى جزء من فترة التمرين .. كانت القوات ترجع بشكل معين ..

حينما بدأت أزمة قناة السويس .. كان موجودا فى سينا مثلا ـ لا يصح لى الحديث بينما الفريق فوزى موجود ـ كان موجودا فى سينا زهاء ثلاثة ألوية .. هذه الثلاثة الألوية سحبت لأنه لم يكن يخطر ببال أحد أن اسرائيل سوف تلعب هذه اللعبة .. لماذا ؟.. إن إسرائيل :

١ ـ كانت تحاول تقدم نفسها لأفريقيا ولأسيا باعتبارها دولة أفريقية أسيوية .. فكان هناك تصور بأنها لن تقبل بهذه البساطة أن تلعب دور « مخلب القط » بالنسبة للقوى الاستعمارية .

٢ ـ أنه بدا أن الانجليز والفرنسيين سوف يترددون مائة مرة فى استعمال إسرائيل ..

لأن هذا سوف يؤدى إلى انهيار كامل لمواقعهم بالنسبة لأصدقائهم .. سواء فى حلف بغداد .. أو سواء من منتجى البترول ، حتى الذين لم يضمهم حلف بغداد .. وبالتالى الخطر الاسرائيلى كان موجودا وماثلا .. لكن التصور الذى حدث خطأ فى هذه المناسبة ، هو أنه لم يخطر ببال أحد .. أو على الأقل جمال عبد الناصر .. أنه لا إسرائيل يستهويها لعب هذا الدور أمام أفريقيا وأسيا .. ولا أن الانجليز والفرنسيين يرضون أن يلعبوا بها فى هذا الوقت .. أمام حلف بغداد .. وأمام منتجى البترول العرب من أصدقائهم ..

لكن لم يكن هناك تهاون فى هذا الشأن بمعنى .. إغفال للعنصر الاسرائيلى فى هذه الأزمة .. لأنه عنصر أساسى وموجود يؤدى مهمة منذ اليوم الأول وحتى اليوم الأخير ..

رياح التغير

الأستاذ أحمد حمروش : شكرا للأستاذ هيكل ..

فيه سؤالين من الدكتور أحمد صدقى الدجانى واحد موجه للسير أنتونى ناتنج والثانى موجه للأستاذ هيكل .. فإذا سمح لى الأستاذ هيكل فـ ..أه ..

الأستاذ محمد حسنين هيكل : أرجوك ..

الأستاذ أحمد حمروش : سؤال إلى السير أنتونى ناتنج : واجهت بريطانيا فى أعقاب الحرب العالمية الثانية عالما جديدا برزت فيه قوى جديدة وتزايد فيه اهتمام الولايات المتحدة الأمريكية بمنطقة الوطن العربى .. وتدفقت فيه ثورة التحرير فى أسيا وأفريقيا وأقيمت فيه إسرائيل ..

هل أعادت بريطانيا النظر فى سياستها تجاه المنطقة ؟

ماهى المعادلة التى حكمت العلاقة بين السياستين البريطانية والأمريكية فى منطقة الوطن العربى قبل السويس ؟

السير أنتونى ناتنج : أعتقد أن الأمريكيين من بعض النواحى كانوا متقدمين على البريطانيين فى السنوات التالية للحرب العالمية فى تقبل واقعية ما أسماه هارولد ماكميلان « رياح التغير فى العالم » وذلك فى كتابه الذى أصدره فيما بعد ..

لقد اتخذنا بالطبع ــ وذلك فى ظل حكومة حزب العمال ــ ماتصورناه وقتها أنها خطوة واسعة .. فقد منحنا الاستقلال للهند وباكستان .. ولكن عند هذه النقطة لم يبد لنا وقتها أنه قد يكون أى داع لأن نذهب إلى أبعد من ذلك فى اتجاه تحرير المستعمرات .. مثلا فى أفريقيا السوداء أو فى بقاع أخرى من أسيا ..

وهكذا تجمدت بعد ذلك فى بريطانيا عملية تسريح المستعمرات سواء فى ظل إدارة العمال أو المحافظين ..

وأعتقد ــ وأكبر اللوم فى هذا يقع على كاهل حكومة المحافظين ــ أننا فشلنا فى

أن نفهم إلى أى مدى كانت تعنى الموجة الجديدة للقومية العربية بالنسبة للعالم العربى ككل . وكيف أن وكيف أن عبد الناصر كان ينظر إليه على أنه الزعيم بل نبى هذه الموجه من الوطنية ــ وقد كان بالفعل كذلك ــ كنتيجة لنجاحه فى إزاحة القوات البريطانية من مصر وتحرير التراب المصرى من الاحتلال البريطانى ..

وأعتقد أننا كنا متخلفين إذ لم نستوعب هذه الحقيقة ، وكان يجب أن نكون متفهمين أكثر مما كنا ، وأستطيع أن أدعى أنه كان لدى بعض التفهم لما يجرى لأنه أتيح لى أن أقضى بعض الوقت هنا فى القاهرة متفاوضا مع عبد الناصر ومع وزرائه وقد كنت آمل أننى عندما أعود إلى لندن فقد أكون قادرا على إقناع بعض الناس هناك .. أقصد فى مجلس الوزراء .. بأننا يجب أن نأخذ هذه الموجة الجديدة للقومية العربية مأخذا أكثر جدية .

وعلى أية حال وكما قلت فى كلمتى الافتتاحية فإنى أعتقدت أن أنتونى إيدن قد تقبل هذا الرأى ـ كبداية على الأقل ـ ولكن من المؤكد أن تشرشل لم يقبله .. وبالطبع فقد كان هناك تيار من الرأى قوى فى مجلس الوزراء .. وتيار من الرأى فى حزب المحافظين .. يرفض ببساطة أن يعترف إطلاقا بحقائق الأمور .

والآن أعود إلى موضوع هذا الخطاب من ونستون تشرشل .. أنا آسف لم أفهم هل يمكنك يامحمد أن تشرحه لى ..

الأستاذ محمد حسنين هيكل : لم يكن خطابا ولكنه كان مذكرة .. أنا أتكلم عن المذكرة الموجودة بين الوثائق البريطانية وأيضا فى ذلك الكتاب الذى يعد عن سيرة أنتونى إيدن الذاتية .. كانت مذكرة وجهها سير ونستون تشرشل إليك وإلى وزير الخارجية والتى يقول فيها : أرجو أن تفهموا المصريين .. أن تقفوا بحزم أمامهم فإذا لم يرعووا .. فإننا يمكن أن نطلق عليهم .. يجب أن يفهموا أننا يمكن أن نطلق عليهم اليهود .

سير أنتونى ناتنج : ضاحكا .. حسنا

الأستاذ محمد حسنين هيكل : هل تذكر هذا ..

سير أنتونى ناتنج : لا أتذكر ذلك ..

الأستاذ محمد حسنين هيكل : لا تتذكره ..

سير أنتونى ناتنج : لا . لا ... لا أتذكره إطلاقا ..

الأستاذ محمد حسنين هيكل : سأطلعك عليها ..

سير أنتونى ناتنج : لا علم لى بأنها كانت موجهة .. هل أنت متأكد أنها كانت موجهة لى ؟ لا يمكن أن تكون موجهة لى ..

الأستاذ محمد حسنين هيكل : لا .. لا .. لست متأكدا أنها كانت موجهة لك . فأنا أعلم أن المذكرات التى كانت موجهة لك كانت متعلقة بالمقابلة التى أجريتها مع السفير الاسرائيلى عندما ذهب إليك ليطلب منك التشاور معهم قبل توقيع أى اتفاق مع مصر .. وأنه عليكم قبل أن تتركوا مصر أن تحصلوا على كل الضمانات التى يجب أن تقدمها مصر لهم ..

ثم كتبت أنت مذكرة بهذا .. وكان أن وجه سير ونستون تشرشل مذكرتين إحداهما موجهة إليك والثانية كان توزيعها عاما وأتصور أنك اطلعت عليها ..

فى المذكرة الموجهة إليك قال ونستون تشرشل : يجب أن تكون فى منتهى الحزم مع المصريين ويجب أن تقول لهم بكل الوضوح إننا لن نخفى تعاطفنا مع إسرائيل وأنه يجب أن يعلموا بوضوح وبدون أى ظل من الشك أننا سوف نؤيد إسرائيل .. ثم يطلب إليك ونستون تشرشل أن تحاول أن تكون رقيقا فى مقابلاتك المقبلة مع السفير الاسرائيلى ويقول لك : ليست بنا حاجة إلى اللف والدوران هكذا .. قل له إننا نساندهم وأننا سنقول ذلك للمصريين فليس هناك ما نخجل منه ..

تشـرشـل وإسـرائيـل

سير أنتونى ناتنج : نعم .. فأنا أذكر عددا من المجادلات مع ونستون تشرشل حول موضوع إسرائيل .. فقد كان بالطبع صهيونى العقيدة .. ولم يكن لى من سبيل لمحاولة صرفه عن عقيدته .. بل على العكس فقد كان يحاول جاهدا أن يحاصر وزير خارجيته وأن يحاصرنى شخصيا ليفرض علينا التشاور مع إسرائيل حول اتفاقية الجلاء مع ناصر.. ورغم ذلك فإنه لم يحقق شيئا من وراء إلحاحه هذا .. رغم أن ذلك قد يبدو مستغربا .. ولكن حقيقة إن ونستون تشرشل أخفق فى ضغطه علينا.. ونحن لم نجر أى تشاور مع إسرائيل بخصوص اتفاقية الجلاء .. ولا ينفى ذلك بالطبع أن الإسرائيليين كانوا يحومون حولنا يطالبون بمعلومات.. ويريدون بين الحين والحين أن يعلموا إلى أى مدى تتقدم المباحثات .. ولكننا .. وزير الخارجية وأنا .. لم نر أن هناك أى داع بالمرة ولا أى مبرر لكى نحيط الإسرائيليين علما مسبقا بمسار المحادثات بأكثر مما نطلع عليه أية دولة أجنبية أخرى عن الموضوع .. وهكذا بقيت إسرائيل على البعد اللازم مما يجرى .. ولكننى لا أذكر هذه المسألة .. مسألة إطلاق قوة إسرائيل .. إطلاق اليهود ضدكم ..

الأستاذ محمد حسنين هيكل : سأريك إياها ..

سير أنتونى ناتنج : ولكننى أذكر أنه فى عديد من المناسبات الأخرى .. عندما كنا نختلف .. ونستون تشرشل وأنا .. حول المدى الذى يجب أن نذهب إليه فى إطلاع السفير الإسرائيلى على محادثاتنا مع مصر.. وعما إذا كان يجب علىّ أن أكون رقيقا مع السفير الإسرائيلى أو غير رقيق معه ..

وأذكر مرة أننى كنت سعيدا جدا بأن ونستون تشرشل لم يكن حاضرا معنا عندما قابلت السفير الإسرائيلى فى أعقاب الغارة الإسرائيلية على غزة .. وقلت له إن صفقة الدبابات السنتوريون القديمة التى كانت مخصصة لاسرائيل لن

يمكن إرسالها فى هذه الظروف .. الباهرة ؟ كان السفير رجلا معتدلا هو ايلافو رجلا رقيقا .

وعندما سمعنى السفير الإسرائيلى أقول هذا هب واقفا واندفع خارج الغرفة وهو يصفق الباب وراءه .. وعندما تصفق الباب فى واحد من هذه المكاتب العتيقة الواسعة يخيل إليك أن المبنى كله سوف ينهار .. وإننى لسعيد حقا بأن ونستون تشرشل لم يكن حاضرا فى تلك المناسبة ..

أرجو يا محمد ألا تعتقد أنه بسبب أن تشرشل كانت له نظرة خاصة للإسرائيليين أو أن كوننا متعاطفين أو غير متعاطفين معهم فتظن أنه ـ على أى وجه ـ كان هناك أرضية للتواطؤ معهم قبل لقاء . جازت وشال فى بريطانيا فى ١٤ أكتوبر .. لم يكن هناك أدنى معرفة لدينا قبل هذا اللقاء بأن الإسرائيليين سيكون لهم دور أنهم سيستخدمون ذريعة فى العملية على الأقل لأنه لو كان لدى إيدن مجرد هاجس عن ذلك لما ظل يعانى حالة الإحباط والحيرة التى لازمته حتى تلك اللحظة التى تلقفت يديه هذا الاقتراح ..

إننى أذكر تلك اللحظة .. وأستطيع أن أقول إننى راقبت وجهه وهو ينصت إلى شرح الجنرال شال للخطوط العامة للخطة .. أقصد اسقاط مظليين فوق القنال للفصل بين المتحاربين .. أستطيع أن أقول إننى رأيت وجه إيدن يشرق بالفرحة وكأنه فجأة قد وجد حلا لكل شىء .. وأصبح كل شىء فى مكانه الصحيح .. وكأنه قد وجد فجأة الفرصة السانحة حتى للتخلص من ناصر هنا .. هاقد وجد الفرصة للحرب .. وللنصر أيضا كما كان يعتقد ..

الأستاذ محمد حسنين هيكل :

على أية حال .. أنا لن أحاول أن أضرب الجسد الميت .. ولكننى أعتقد أن ما بدا على سير أنتونى إيدن عندئذ كان بسبب الخطة .. بسبب أنه فى النهاية جاء الفرنسيون والاسرائيليون يقصدونه .. أو أن الفرنسيين عن أنفسهم ونيابة

عن إسرائيل قد جاءوه بذريعة قابلة للتطبيق .. ومع ذلك فأنا أعتقد أنه كان على علم مسبق بالتنسيق الذى كان يجرى بين الفرنسيين والإسرائيليين .

وأنا لست راجما بالغيب .. قد رأيت ذلك واضحا فى الوثائق البريطانية كما رأيته واضحا فى أوراق السير أنتونى إيدن .. حيث إن عائلته سلمت أوراقه إلى كاتب يتولى إصدار كتاب عن سيرة أنتونى إيدن .. وكان ذلك واضحا فى الوثائق .. فهل اطلعت على ذلك الكتاب .. كتاب سيرة إيدن .

سير أنتونى ناتنج :

لم أطلع عليه بعد ..

الأستاذ هيكل :

يجب أن تراه لأنى أعتقد أن أولئك الذين أعطوا الوثائق لكاتبه كان لديهم الكثير ليقولونه عنك .. لذا من الأفضل أن تقرأه ..

سير أنتونى ناتنج :

وأغلب ظنى أن ما قالوه ليس فى غالبيته إطراء لى .

الانسحاب من غـزة

الأستاذ أحمد حمـروش :

السؤال الموجه للأستاذ هيكل من الدكتور الدجانى بيقول ليه تأخر الانسحاب الإسرائيلى من قطاع غزة حتى مارس ١٩٥٧ بعد أكثر من شهرين من الانسحاب الإسرائيلى من سيناء ..

كيف أدار الزعيم الراحل معركة فرض هذا الانسحاب ؟ وتحديد ماذا كان موقف مصر المبدئى من قطاع غزة ؟ وأخيرا ما هو دور شعب فلسطين فى القطاع فى إفشال تدويل القطاع ؟

الأستاذ هيكل :

تأخر الانسحاب هذا صحيح .. لأن إسرائيل كانت تتلكأ بشدة فى الانسحاب .. كيف أدار الرئيس عبدالناصر معركة فرض هذا الانسحاب ؟ أريد أن أقول إنه تأخر أسابيع بعد خروج الإنجليز هم والفرنسيون من بور سعيد .. أنا أعتقد أن المعركة الحقيقية للسويس كانت موجودة لأن إسرائيل كانت مصممة على أن لا تخرج ، إلا وقد حصلت على ضمانات على الأقل كافية سواء بالنسبة لنزع السلاح سينا ، لتدويل قطاع غزة ، أو بالنسبة للمرور فى قناة السويس ، بالإضافة بالطبع إلى خليج العقبة .. وقد كانت هذه أصعب فترة من فترات المحادثات .. وكان همرشولد قد جاء هنا .. فى إجازة عيد الميلاد .. ليقضيها هو مع قوات الطوارئ .. وقال للرئيس عبدالناصر إن الجزء المعقول من المعركة انتهى ، لكن الجزء التالى هو أصعب المراحل ، ثم قدم له افتتاحية فى الجيروزاليم بوست مكتوب فيها أنه .. إذا لم تمر إسرائيل من قناة السويس فعلى همرشولد أن يستقيل .. لأن الناس انسحبوا .. انجلترا وفرنسا انسحبوا على أساس أن فيه تسوية كاملة للمنطقة .. وأنا فاكر أن الرئيس جمال عبدالناصر أمسك بالافتتاحية التى بعث همرشولد بمن يحضرها من سيادته حيث كانت فى حقيبة السيارة خارج مكان الاجتماع .. أما إذا مروا فسوف أستقيل أنا ، والآن فالحالة بين إما أنت تستقيل ، أو أنا أستقيل .. همرشولد بدأ يدرك أنه لا فائدة فى أن إسرائيل تمر من قناة السويس ولا فى حكاية أن ينزع سلاح سيناء .. ولا فى تأخير العودة إلى غزة .. ورغم أنه حاول ، والأمريكان حاولوا .. عايشها أن إيزنهاور أدلى بتصريح علنى وأعطى تأكيدات مباشرة لأبا إيبان وجولدا مائير بأن أمريكا سوف تنزل كل وسعها لمنع عودة المصريين إلى سيناء بقوة مسلحة كافية .. وإلى قطاع غزة على الاطلاق .. وأن الأمم المتحدة ستعقد الأمور .. رغم هذا كله .. فإن عبدالناصر أدار هذه المسألة فى اعتقادى بطريقة فى منتهى الهدوء وفى نفس منتهى البراعة وفى منتهى الدقة ، أما إن الفلسطينيين فى قطاع غزة كان لهم دور فأنا أقول إن دورهم كان حيويا

لأن موضوع الدخول كان تحديا مباشرا لتعهدات بذلها الرئيس الأمريكى أولا للانجليز والفرنسيين كما أبداها لغيرهم من خلفاء أمريكا وبالتحديد لإسرائيل .. الذى حدث هو أن الشعب.. الفلسطينى فى غزة حينما دخلت قوات الطوارئ ، بدأ هو يتظاهر فى الشوارع ضد قوات الأمم المتحدة ، لأنه بدأ يطالب بعودة القوات المصرية ، وبدأت المظاهرات فى الشوارع .. الحاكم المصرى العام الذى ذهب إلى غزة فجأة دون أن يشعر أحد .. فماذا حدث فى ذلك الصباح.. يومها حدثت مظاهرات فى غزة.. كانت قوات الأمم المتحدة هناك .. وقد عجزت عن صدها .. الشعب الفلسطينى فى غزة كان فى منتهى الروعة حتى الظهر وقد حدث أن أحد جنود قوات الطوارئ أطلق النار .. وبعث جمال عبد الناصر برقية لهمرشولد .. قال فيها هل تقوم قوات الأمم المتحدة بحماية السكان أو تقتلهم .. دون أن يشعر أحد دخل الحاكم المصرى العام إلى غزة .. وراح مقر الحاكم العام وإذا بالشعب الفلسطينى كله فى غزة يحيط بقصر الحاكم.. إذ مبنى الحاكم العام المصرى هناك أصبحت قوات الأمم المتحدة فى وضع صعب جدا ، خصوصا أن الكتيبة اليوغوسلافية فيها بعدت .. وبعد اتصالات بين القاهرة وبلجراد أصدرت الكتيبة اليوغوسلافية بيانا عن طريق متحدث رسمى باسمها قال فيه إن الكتيبة اليوغوسلافية لن تشترك فى إطلاق النار .. وبعدت الكتيبة اليوغوسلافية ، وقد وجدت بقية قوات الأمم المتحدة التى كانت قد دخلت نفسها فى موقف حرج لا تستطيع معه إخضاع هذا البحر الهادر من البشر ، وفى هذه اللحظة والناس يحيطون بالمبنى .. دخلت طلائع أولها كان الحرس الوطنى الفلسطينى ، وبعد ذلك دخلت القوات المصرية لكن الشعب الفلسطينى لعب الدور الأساسى الذى مكن من عودة الإدارة المصرية ، ومن عودة الجيش المصرى إلى غزة .

الأخ دجانى الشعب الفلسطينى دوره محفوظ ولا أحد إطلاقا يتصور أنه قصر أو.. نعم يا أستاذ دجانى تفضل نريد أن نعرف..

الدكتور دجانى :

سلام الله عليكم .. سآخذ دقيقتين فقط .

الأستاذ هيكل : ثلاثة ..

الدكتور الدجانى :

وأخشى أن القصد من السؤال بأن الأستاذ هيكل يعطى الشعب الفلسطينى دائما حقه وتحية له ، ولكنى فعلا أردت أن أستزيد واحنا فى الصفر على ما تفضل به هو والذى يسجل فى تاريخ شعبنا ، إن علم الأمم المتحدة ، رفع فى ذلك اليوم ، وإذا بفتى شاب من أبناء قطاع غزة يتسلق السارية وينزل العلم بيده وتكون تلك الإشارة إيذانا لهبة شعبية تستمر حتى يعود الحاكم العام ، ومن ثم يعود الحرس الوطنى ومن ثم تعود القوة والإدارة المصرية .. ما أردته حقيقة بالسؤال هو أن أشير إلى ما أبرزه الأستاذ هيكل فى حديثه الأول ، فى مثل هذه اللحظات للجماهير دور خاص يجب أن يدرس والجماهير حين تتحرك تستطيع بالتلاحم مع القيادة أن تفعل المعجزات ، وهذا ما حدث فى ذلك اليوم وشكرا ...

الرئيس : رجاء بالنسبة للزميل الأستاذ الجنيدى خليفة ممثل جبهة التحرير الجزائرية أننا نؤجل التساؤل بتاعه لأن هو نفسه متحدث فى إحدى الجلسات الهامة فى هذه الندوة وفاضل سؤالين علشان الأستاذ هيكل يطمئن .. سؤالين واحد من الدكتور حسن نافعة الأستاذ بجامعة الأزهر ، بيقول ماذا كان الموقف فيما لو انتظر جمال عبد الناصر بضع سنوات بانتهاء عقد قناة السويس وتجنب عناء الأزمة !

الأستاذ هيكل : أول حاجة ورجائى لو أن الدكتور حسن نافعة كان اطلع على الوثائق البريطانية والفرنسية والامريكية أنه ابتداء من عام ١٩٥٠ و ١٩٥١ كانت هناك اتصالات وخطط توضع لكى يقوم نظام إدارة دولية لقناة السويس سنة ١٩٦٨ .. وإذن فالمعركة التى أنت واجهتها سنة ١٩٥٦ ، كنت

سوف تخوضها بالضبط سنة ١٩٦٨ ويضيع عليك ١٢ سنة وليس مضمونا وعلى وجه الاطلاق لو أن تسليم القناة سيتم بدون معركة. موضوع هيئة المنتفعين وموضوع إدارة دولية لقناة السويس مطروح منذ الوقت الذى قررت فيه بريطانيا وفرنسا وأمريكا وتركيا قيام حلف الدفاع عن الشرق الأوسط .. مصر تأخذ دورا فيه فإذا لم تأخذ دورا فيه فلتكن هناك قوات دولية بما فيها قوات مصرية على قناة السويس .. إن قناة السويس لم تكن عائدة لمصر لا سنة ١٩٥٦ ولا سنة ١٩٦٨ والمعركة التى خاضتها ٥٦ كانت ستخوضها فى ١٩٦٨ ، وفى ظروف أكثر صعوبة ، فضلا عن هذا تعالوا إلى جو الأزمة الذى كنت بصدد الحديث عنها ، وجو التحدى وأنت مطالب بالرد ، وتريد بناء السد العالى .. أنا أعتقد أنه فيما يتعلق بقناة السويس فإن الانتظار غير مطروح ، لأن معركة ٥٦ كانت ستكون معركة ٦٨ وضياع ١٢ سنة ولن يتم تفادى نشوب معركة.. لقد خضت أنت المعركة فى أكثر الظروف ملاءمة لك ، والعالم العربى كله معبأ لفترة طويلة جدا على مدى سنوات ست فى جو تعبئة عامة قائم فى العالم العربى بسبب صفقة السلاح ، بسبب رفض الأحلاف .. إلخ .. وإذن ليس صحيحا أن مصر كانت سوف تتسلم قناة السويس سنة ١٩٦٨ .. إذن .. فالانتظار فى اعتقادى انتظار وهم لن يتحقق .

والخطط موجودة وجاهزة بما فيها وصف هيئة المنتفعين ..

عبد الناصر وأمريكا

الرئيس : السؤال الأخير .. أرجو من الأستاذ هيكل أن يوضح لنا بالتفصيل تقدير الرئيس عبد الناصر للموقف الأمريكى قبل الأزمة وأثناءها .. الدكتور حسن نافعة .

الأستاذ هيكل : الدكتور حسن نافعة باستمرار عنده أسئلة صعبة جدا .. يا دكتور حسن إن هذا موضوع تستغرق فى الحديث عنه إلى صباح الغد .. فلنتحدث باختصار عن الظروف اللى قامت .. إنه لا يفوتك أن أزمة قناة

السويس سبقتها أزمات كثيرة جدا ، رفض مصر أن تنضم إلى أحلاف ، وهذا بطبيعة الحال خلق مشكلة كبيرة جدا .. ثم كانت أزمة التسليح السوفيتى وهذه طبعا كانت مشكلة كبيرة جدا ، وبعدئذ كان واضحا لجمال عبد الناصر وضوحا كاملا بالنسبة له ـ وأنا هنا لا أريد أن أبين بوضوح كامل برضه أسبق الكتاب لكنك سوف ترى فيه لأول مرة فيما أعتقد وأنا لست بصدد الدعاية لكى تشترى الكتاب فسوف أعطيه لك ، وسوف تطلع فيه على ما يمكن من وثائق هامة .. إن اندرسون إذ سحب قرض السد العالى فإن ذلك فى الواقع جاء ردا على رفض جمال عبد الناصر أن يوقع مشروع معاهدة صلح مع إسرائيل قدمت له باسم الرئيس ايزنهاور . وإذن فالوثيقة ستجدها فى الكتاب وستجد فيه الجواب الذى كان مفروضا أن يرسله جمال عبد الناصر إن هذا الأسلوب جرى اتباعه كثيرا للأسف فيما بعد .. يرسلون إلينا جوابات ونمضيها يعنى .. لكن وقتها بعثوا إلينا بخطاب واحد ، هو مشروع معاهدة مع إسرائيل .. ثانيا : مشروع خطاب يبعث به جمال عبد الناصر إلى ايزنهاور ، يقول له فيه إننا جاهزون وكذا وكذا إلى آخره . وإذن فجمال عبد الناصر كان مدركا خلال أزمة السويس فيما قبلها وفيما بعدها أن الخلاف الأمريكى البريطانى إنما هو خلاف على الأساليب وليس خلافا على الأهداف وكان هذا شأنه طوال معركته .. ومن الممكن أن أضيف شيئا فأقوله إنه لو أن أحدا سيحضر محاضر مجلس الوزراء ولست أدرى هل كل الحاضرين هنا وزراء لاحقين فيهم أنا يعنى ولكن الوزراء السابقين الذين كانوا موجودين فى الأيام الأولى للثورة يذكرون أنه حدث فى جلسة من مجالس الوزراء ، بعد أن جاء دالاس ومضى فى ١٩٥٣ ، أن جمال عبد الناصر دخل المجلس فماذا قال بالحرف تقريبا قال من الظاهر إننا سوف نخلص من «الرايحين وبعدين نتعامل مع الجايين» تعبير الرايحين والجايين كان باستمرار بيستعمل عن الانجليز والأمريكان مع اختلاف الأهداف والأساليب واعتقاده باتفاق الأهداف ، ولو أن أحدا يطلع على أوراق ايزنهاور .. إن مجموعة أوراق ايزنهاور ؟ موجودة كاملة فى مكتبة ابيلين ولست أدرى لماذا لا يحضرها إخواننا المهتمون بالدراسات لماذا لا يذهبون لإحضارها فهذا واجب ..

سوف تقول لهم الأوراق إلى أى مدى كان ايزنهاور متورطا أو كان داخلا فى خطط قلب جمال عبد الناصر ولكن بوسائل أخرى « يعنى كان عايز يأخذه من وسط العالم العربى لقد أخذه أولا بإحداث الوقيعة بينه وبين السعودية ، وبعدئذ أخذ سوريا منه .. ثم عزله وحده وبعدئذ ضربه وحده وهذا لم يكن خافيا على أحد . وكانت خطابات اندرسون التى رفض توقيعها كافية جدا فى هذا الشأن ولم يكن هناك خلاف ذلك وفى ظنى أننا فرغنا من حديثنا » ..

الرئيس: لا لسه الأستاذ هيكل خلص إجابة فعلا ولكن إن شاء الله بكره الصبح حايلتقى معكم رئيسا لجلسة الصباح فى العاشرة صباح الغد جلسة اليوم لو إذ نتولى ويمكن ده برضه بيرضى الأستاذ هيكل شوية حانخليها الساعة الخامسة بدلا من الساعة الرابعة وهى عن موقف الاتحاد السوفيتى من أزمة السويس يقدمها الكاتب الكبير ديميتشنكو عضو رئاسة تحرير البرافدا و الكاتب الأمريكى الشهير ستيفين جرين وتبدأ فى الخامسة مساء وجلسة الغد يرأسها الأستاذ هيكل غدا فى العاشرة صباحا . شكرا جزيلا على إصغائكم ،،،

الجلسة الثانية :

رئيس الجلسة : الدكتور حلمى الحديدى

القسم الأول : كلمة ديمتشنكو وكلمة ستيفن جرين

موقف الاتحاد السوفيتى من تأميم القناة ومعركة السويس

ب . ديمتشنكو

ليس من قبيل الصدفة أن عام ٥٦ الذى اندلعت فيه هذه الأزمة يشغل مكانا خاصا ، سواء فى التاريخ المصرى أو التاريخ العالمى . ويعتبر هذا العام فى الكتب والمقالات الصحفية حتى الآن ، مرحلة تاريخية مهمة ، ويمكن أن نرى عند وصف هذه الأحداث تعابير مثل هذا قبل السويس وبعد السويس

ـ دالاس يسأل من المستشفى سلوين لويد : لماذا توقفتم ولم تواصلوا الحرب وتقضوا على جمال عبد الناصر؟
ـ ماهو الدور الذى لعبه الإنذار السوفيتى فى وقف العمليات الحربية ؟

عقدت الجلسة بعد ظهر يوم ٣٠ أكتوبر وكانت برئاسة الدكتور حلمى الحديدى.

الدكتور حلمى الحديدى:

بسم الله الرحمن الرحيم

يسرنا أن نبدأ الجلسة الثانية اليوم فى هذه الندوة القيمة التى تعالج مشكلة تاريخية أصيلة.. بمناسبة الاحتفال بمرور ثلاثين عاما على حرب السويس.. ويسرنى فى هذه الجلسة أن أقدم لكم المتحدثين:

السيد / ديمتشنكو: وهو قد عمل فى مصر من قبل مرتين.. فى فترة حكم الرئيس الراحل عبد الناصر.. مرة كان مراسلا لجريدة البرافدا.. وفى المرة الثانية كان مراسلا لجريدة أزفستيا.. وهو الآن عضو مجلس التحرير لجريدة برافدا.. وسيتكلم فى هذا اللقاء عن وجهة النظر السوفييتية فى هذا الموضوع.

ثم المستر ستيفن جرين: وهو كاتب أمريكى كتب عدة كتب فى موضوعات تخص الشرق الأوسط أهمها كتاب يتناول العلاقات الأمريكية الإسرائيلية من (وجهة نظره).. كذلك كانت له مقالات عديدة متعلقة بالمنطقة.

نسيت أن أذكر أن المستر ديمتشنكو له كتب عدة تتعلق بقضية الشرق الأوسط والعالم العربى وحرب الأيام الستة والوضع فى العراق وفى اليمن.. وسيبدأ المستر ديمتشنكو حديثه إلينا...

السيد ديمتشنكو: مساء الخير أولا.. من الصعب عند بحث هذه المشكلة

الاقتصار على قطر زمانية ضيقة لأن أزمة السويس لم تكن ظاهرة منفصلة عن الحياة الدولية ولم تكن سببا بل نتيجة لعملية تاريخية معينة أثرت فى الوقت نفسه تأثيرا كبيرا فى تطور هذه العملية لاحقا وأصبحت عاملا مساعدا خاصا للعديد والعديد من الأحداث فى الشرق الأوسط وبعيدا منه ولهذا ليس من قبيل الصدفة أن عام ١٩٥٦ الذى اندلعت فيه هذه الأزمة يشغل مكانا خاصا سواء فى التاريخ المصرى أو التاريخ العالمى ويعتبر هذا العام فى الكتب والمقالات الصحفية حتى الآن مرحلة تاريخية مهمة ويمكن أن نرى عند وصف الأحداث التعابير التالية .. حدث هذا قبل حرب السويس وبعدها ولكن أزمة السويس ليست مجرد حرب استمرت عدة أيام إنها أحداث عديدة سبقتها وتلتها وسوف أحاول أن أعيد إلى الأذهان موقف الاتحاد السوفييتى فى ذلك العام المأساوى ابتداء ولو من يوليو أى منذ أن أعلن الرئيس جمال عبد الناصر تأميم الشركة العامة لقناة السويس وللتأكد من ذلك تصفحت أعداد جريدة برافدا السوفييتية خلال ذلك العام التى أولت اهتماما كبيرا آنذاك لكل مايجرى فى مصر..

هاهو أول رد فعل على كلمة الرئيس جمال عبدالناصر فى الإسكندرية : يرحب وزير الخارجية السوفييتى شيبيلوف بقرار الحكومة المصرية ويعلن أن سيادة الدولة المصرية على القناة لا يمكن أن تثير أية شكوك . وفى التاسع من أغسطس أعلنت الحكومة السوفييتية بيانا خاصا حول قضية قناة السويس وجاء فيه أن قرار مصر حول التأميم هو عمل شرعى ينبع من الحقوق الشرعية لدولة مستقلة وأن محاولة تغيير هذا القرار بهذا الشكل أو ذلك ستكون تدخلا سافرا فى شئون مصر الداخلية . ومن المعروف أن صراعا حادا كان يجرى فى تلك الفترة حول قناة السويس وسعت مصر إلى عدم التراجع عن القرار الذى اتخذته وتنظيم عمل القناة بصورة طبيعية. ووضع حملة الأسهم الغربيين للشركة المؤممة وحكومات انجلترا وفرنسا والولايات المتحدة نصب أعينهم مهمة الاحتفاظ بالإشراف على القناة ولو بشكل متغير والبرهنة لمصر وللبلدان العربية الأخرى معها على أن سيادتها تحمل طابعا محدودا وليس بإمكان هذه البلدان أن تتصرف كما تتطلب

ذلك مصالحها الوطنية أى أن الغرب حاول فى تلك الفترة العمل وفقا للصيغ التقليدية لأزمنة الاستعمار ونظام الاستسلام.

سنواتها الأخيرة

إن الدبلوماسية السوفييتية عملت فى اتجاه معاكس تماما فى كافة الصيغ التى جرت آنذاك ودافعت فى مؤتمر لندن وفى مجلس الأمن وغيرها من المحافل الدولية عن واقع أن التأميم أولا هو حق مصر الشرعى وثانيا أن بإمكان مصر نفسها أن تضمن حرية الملاحة فى القناة كما تتطلب ذلك مصلحة التجارة الدولية وبهذه الصورة دافع الاتحاد السوفييتى عن حق مصر فى الاستقلال الحقيقى والسيادة رافضا الشكوك فى عدم مقدرته على تنفيذ تعهداتها الدولية. لقد دافع الاتحاد السوفييتى عن مبدأ المساواة بين الأطراف، وتجدر الإشارة إلى أن النزاعات السابقة لوجهة النظر البائدة حول بلدان العالم الثالث تظهر الآن أيضا ويحاولون أن يفرضوا عليها بين فترة وأخرى كيف يجب عليها أن تتصرف فى هذه الحالة أو تلك وكان الاستعمار آنذاك مازال حيا وبدا أنه قوى وإن كان فى بداية انهياره وكانت الشخصيات المحافظة فى انجلترا وفرنسا والولايات المتحدة وبلجيكا والبرتغال تعتقد بشكل جاد أن الامبراطورية الاستعمارية ستظل إلى الأبد ولم يكن بإمكانهم أن يتصوروا أن هذه الامبراطوريات محكوم عليها بالزوال من قبل التاريخ وتعيش سنواتها الأخيرة وكان المحافظون يأملون حتى أن يروا فى البلدان المستقلة المنضمة إلى الأمم المتحدة وحكومات مطيعة لها فقط، وفجأة تحدت الحكومة المصرية برئاسة الرئيس جمال عبد الناصر بشكل صريح منطق التفكير الاستعمارى وبدا هذا على نطاق واضح الصدام للاستعمار المحتضر مع التيار التقدمى للتحرر الوطنى الذى يزداد قوة، ومن الطبيعى جدا أن الاتحاد السوفييتى كان مع الجانب الأخير وبدأ الغرب الضغط العسكرى والأعمال التعسفية استدعاء مرشدى السفن ورفض دفع الرسوم للمرور بالقناة وغير ذلك واقترح الاتحاد السوفييتى على مصر تقديم الدعم لها وتوجهت إلى قناة السويس مجموعة من القباطنة السوفيت محنكين فى أعالى

البحار للعمل كمرشدين للسفن واستمر توريد الأسلحة وأسرع فى إرسال شحنات كبيرة من الحبوب إلى ميناء الإسكندرية .

إنــذار بولـجانيـن

إن الاتحاد السوفييتى الذى قدم الدعم الحقيقى لمصر فى ذلك الوقت عمل على الصعيد الدولى من أجل تفادى اندلاع الحرب وفضح الاستعداد للقيام بعدوان على مصر ، فمثلا بذل وزير الخارجية السوفييتى شيبيلوف جهودا كبيرة من أجل حل النزاع القائم فى إطار مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة وأعلن أن أسلوب المباحثات هو الطريق الصحيح الوحيد لتسوية قضية قناة السويس ولقى هذا الموقف أكبر استحسان فى القاهرة . هذه مقتطفاتٌ من الصحف المصرية خلال يوم واحد من أيام أكتوبر عام ١٩٥٦ كتبت جريدة الجمهورية تقول : إننا لا نرفض المباحثات ولكننا نرفض التحكم والمندوب السوفييتى فى الأمم المتحدة متضامن مع هذا الموقف وقالت اجيبشيان جازيت : إننا سعداء لأن المقترحات المصرية تلقت دعما من الاتحاد السوفييتى . لقد أوردت هذه الحقائق لكى أعيد إلى الأذهان ظرفا مهما جدا وهو أن البيانات السياسية للحكومة السوفييتية والصراع الديبلوماسى كانت مصحوبة بأعمال معينة فى العلاقات الثنائية ولهذا عندما اتخذت الأحداث طابع أكثر مأساوية اكتسبت كل كلمة فى البيانات السوفييتية وزنا خاصا وفى الحادى والثلاثين من أكتوبر صدر بيان الحكومة السوفييتية الذى وصفت فيه أعمال إسرائيل وانجلترا وفرنسا بأنها عدوان وجاء فى البيان أن الحكومة السوفيتية ترى أن على مجلس الأمن للأمم المتحدة من أجل الحفاظ والهدوء فى منطقة الشرق الأوسط أن يتخذ تدابير فورية لوقف الأعمال العدوانية لانجلترا وفرنسا وإسرائيل تجاه مصر والانسحاب الفورى للقوات المحتلة من أراضى مصر ولكن عطل مجلس الأمن لأسباب معروفة واستمر العدوان ودعيت آنذاك الدورة الطارئة للجمعية العامة للأمم المتحدة للانعقاد ولم تتمكن قراراتها أيضا من وقف المعتدين وفى الخامس من نوفمبر اتخذت الحكومة السوفييتية

قراراً حاسما فقد بعث برسائل إلى الرئيس أيزنهاور ورؤساء الوزراء إيدن وجى موليه وبن جوريون ووصفت الصحافة العالمية هذه الوثيقة بإنذار بولجانين النهائى إليكم مما جاء مثلا فى الرسالة إلى إيدن : إننا نرى بسبب قلقنا البالغ من تطور الأحداث فى الشرق الأوسط وانطلاقا من مصالح الحفاظ على السلام العام أن على حكومة انجلترا أن تستمع إلى صوت العقل وتوقف الحرب فى مصر وجاء فيها أيضا : إننا عازمون كل العزم على استخدام القوة لسحق المعتدين وإحلال السلام فى الشرق الأوسط .

•

بعد الانتصار

لقد قرأت مؤخرا كتاب وزير الخارجية البريطانى الأسبق لويد « السويس عام ١٩٥٦ » ويذكر المؤلف من بين الأسباب التى أدت بالعدوان إلى نهايته الحزينة عددا من العوامل بما فيها تردد ايزنهاور عشية انتخابات الرئاسة ولكن لعل أفضل ما يدل على موقف واشنطن ما قاله جون فوستر دالاس الذى زاره الوزير البريطانى فى المستشفى وسأل دالاس لماذا توقفتم لماذا لم تواصلوا الحرب وتقضوا على جمال عبد الناصر . إذن هذا ما كانت تريده واشنطن . لويد سكت عمليا عن التحذير السوفييتى علما بأنه لعب دوره فبعد ٢٥ ساعة من تسليم سفيرا الاتحاد السوفييتى رسالتى الحكومة السوفييتية فى لندن وباريس توقفت العمليات الحربية وانتهت مغامرة السويس بالفشل ليس بالنسبة لانجلترا وفرنسا وإسرائيل فحسب بل للامبريالية بشكل عام وحدث هذا لأن توازن القوى قد تغير على الصعيد العالمى وتحولت حركة التحرر الوطنية والبلدان المتحررة إلى عنصر مهم للسياسة العالمية وأظهرت هذه القوة الجديدة بالذات أن بإمكانها وهى تعتمد على دعم البلدان الاشتراكية أن تلحق الهزائم بالامبريالية وأنه لا عودة بعد الآن للاستعمار القديم ومن لا يرغب فى أخذ ذلك بعين الاعتبار ينتظره فشل ذريع وبعد أن انتزعت الهند استقلالها كان انتصار مصر فى سنة ١٩٥٦ حدثا عظيما فى العالم الثالث وأثر تأثيرا كبيرا على مجرى الأحداث فى الشرق الأوسط بشكل خاص وبدأت

الامبريالية على أثر ذلك تفقد مواقعها فى المنطقة وحصلت البلدان العربية الكثيرة على استقلالها وتمت تصفية القواعد العسكرية الأجنبية على أراضيها. وانتشرت هذه الموجة فى القارة الأفريقية وبدأت عملية إزالة المستعمرات بدرجة كبيرة على أثر فشل مغامرة السويس وطبعا لا نشير إلى دور الاتحاد السوفييتى الذى ساند بنشاط هذه المستعمرات على انتزاع استقلالها السياسى وبدء تطوير اقتصادها القومى ويوجد مثلا بين أزمة قناة السويس والسد العالى ارتباط مباشر وإذا نظرنا إلى وضعنا اليوم يمكن القول أن سياسة الاتحاد السوفييتى لم تتغير ويساند الاتحاد السوفيتى شعوب الشرق الأوسط وأمريكا الوسطى وآسيا وجنوب أفريقيا فى صد الهجمات العدوانية التى تشنها الامبريالية ونضالها من أجل الاستقلال والمثال لذلك أحداث نيكاراجوا وأنجولا وسوريا والدول الأخرى وتأييد بلادنا لبرنامج لنظام اقتصادى جديد يعتبر أيضا مساهمة فى قضية العالم الثالث، وأخيرا لا يمكن فى عصرنا المعقد أن نضع خطا فاصلا بين الأحداث فى آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية والنضال من أجل منع الحرب النووية العالمية. لا تعرف الأسلحة النووية حدود الانهزام وتهدد وجود البشرية نفسها وهذا هو سبب الاهتمام الكبير الذى ناله النشاط الفعال الذى يقوم به زعيمنا جورباتشوف والذى أعلن عن برنامج تصفية كافة أنواع الأسلحة النووية حتى عام ألفين وأوشك لقاء ريكيافيك على الاتفاق ولكن إصرار ريجان على تنفيذ برنامجه الخاص بحرب النجوم حال دون ذلك ومع ذلك تستمر جهود بلادنا السلمية انطلاقا من أن البشرية ستكسب إذا تمت تصفية وسائل التدمير الشامل وخفض الميزانيات العسكرية خير فى حد ذاته، مثلا يكفى ٥٪ من الميزانيات العسكرية للدول الخمس النووية لإطعام كافة الجياع فى أفريقيا ومن المعروف أن الفترة السلمية التى تلت سنة ١٩٥٦ سمحت لمصر إنشاء السد العالى والمصانع فى حلوان ونجع حمادى وأمكنتها من حل المسائل الاجتماعية ولذلك إذا انتصرت البشرية فى نضالها من أجل السلام فستحل الكثير من مشاكلها وهذا هو أساس موقف الاتحاد السوفييتى. وشكرا لحسن الانتباه.

الرئيس : شكرا للسيد ديمتشنكو وأتصور وأقترح عليكم أن نستكمل المتحدث الثانى ونترك الفرصة بعد ذلك للحوار والأسئلة ولهذا إذا أذنتم يتفضل مستر جرين ليلقى حديثه .

حكومة الرئيس أيزنهاور والعدوان على مصر

ستيفن جرين

من الأسباب الرئيسية للتخبط الذى سيطر على مواقف ايزنهاور ودالاس حيال الشرق الأوسط . كان الجهل بحقيقة الواقع السائد فى ذلك الوقت . لم يستطع الاثنان أن يتفهما المنطقة ومشاكلها وعلى الأخص لم يستطيعا تفهم مصر ومشاكلها وتفهم ناصر ومشاكله

- ماذا قال عبد الناصر للسفير الأمريكى بايرود عن العلاقة بين قوة مصر العسكرية والسلام مع إسرائيل .
- نجاح المصريين فى تسيير حركة الملاحة بنجاح بعد التأميم كان صدمة لأيزنهاور .
- ماذا فعل الطابور الخامس لإسرائيل فى المخابرات المركزية أثناء عدوان ١٩٥٦ .

مستر ستيفن جرين : أشكر الدكتور الحديدى والأستاذ حمروش .. وأنا سعيد لكونى هنا .. وأعتقد أن حديثى سيبدو غريبا إلى حد ما إذ يجيء عقب الكلمة التى سمعتموها للتو.. وليس لى حيلة فى ذلك فأنا ـ كما لابد أن كثيرا منكم يعرف عنى ـ ناقد لتورط بلادى فى الشرق الأوسط.. وسأستمر على موقفى من انتقادها حتى ولو بعد أن أسمع أن شخصا آخر عليه أن يقف مؤيدا الأحمر والأبيض والأزرق فى هذه الليلة.

لقد كانت هناك مناسبات عديدة فى الماضى .. مناسبات كثيرة تحدثت فيها إلى مجموعات من الناس بإحساس عميق فى أعماق بعدم كفاءتى . ذلك أنى ـ كما يعرف البعض منكم ـ لست خبيرا بشئون الشرق الأوسط ولكننى اليوم أحس بالرهبة تجاه المهامة المطلوبة منى . وأتلفت حولى فى هذه القاعة فأرى أناسا كانوا هناك فى المواقع أثناء ذلك الحدث .. ولعبوا أدوارا هامة لبلادهم فى الأحداث التى نجتمع اليوم بصدد الاحتفال بذكراها ..

لقد قرأت أعمالكم ودرست خلال الأعوام الراهنة بل وكتبت عن بعض مهامكم ولكن الأمانة تقتضينى أن أقول لكم منذ البداية إن اهتمامى الأول فى البداية فى صيف عام ١٩٥٦ ونهايتها عندما كان العالم يتحرك حثيثا نحو حرب لا مدعاة لها بالمرة فى الشرق الأوسط .. كان اهتمامى الملح وقتها منصبا على تكوين الفريق الرياضى فى المدرسة الثانوية ..

واليوم ومع غيرى من الصحفيين والمؤرخين فى أمريكا قد أصبح لدينا مزيد من أدوات البحث والاستقصاء القوية لتساعدنا على أن نلقى من جديد النظرة

على دور الولايات المتحدة فى أزمة السويس .

إن حرية انسياب المعلومات وأحقية الكل فى الحصول عليها الأمر الذى أفخر به .. إلى جانب التنظيمات للأرشيفات الوطنية ومكتبات الرئاسة قد يسرت لنا حديثا الحصول على مصادر ممتازة للمواد التى يمكن معها دراسة أحداث أزمة السويس وفترة رئاسة ايزنهاور فضلا عن إمكانية الوصول إلى أدق التفاصيل .. وكيف تشابكت الخيوط وتلاقت لصنع قرار الحكومة الأمريكية حيال الأحداث الدولية الهامة لتلك الفترة .. يحرك هذا كله الإفراج عن الوثائق التى كانت محتفظا بها فى سرية بعد مرور ثلاثين عاما عليها .. لدرجة أنه فى الأعوام الثلاثة أو الأربعة الفائتة مكنتنا من الحصول على كيان ضخم ومذهل من المعلومات عن فترة رئاسة الرئيس ايزنهاور .

والتعليقات التى سأدلى الآن بها مستمدة فى أكثرها من تلك المواد . إنه من السهل الآن أن نرى على ضوء تلك المستندات أنه فى عام ١٩٥٦ أن الحكومات الأوربية وحكومات الشرق الأوسط كانت حائرة فقد كان من الصعب عليها أن تحدد هوية السياسة الأمريكية فى الشرق الأوسط .

وكما كتب هنرى كابود لودج ـ المندوب الأمريكى لدى الأمم المتحدة ـ كما كتب إلى جون فوستر دالاس فى مارس ١٩٥٦ من ذلك العام قائلا إن أمريكا ينقصها وجود سياسة «متفهمة» و «واقعية» حيال القضية الفلسطينية وبالتالى نتيجة لهذا النقص فإنه ينقصها هذه السياسة المتفهمة الواقعية للصراع فى الشرق الأوسط ككل ..

تخبط أيزنهاور ودالاس :

وفى الشهر التالى (إبريل ١٩٥٦) اعترف جون فوستر دالاس نفسه إلى أحد معاونيه الرئيسيين أن الإدارة قد أرسلت «إشارات» متعارضة ومتناقضة إلى جمال عبدالناصر حول عديد من المواضيع بما فيها صفقة الأسلحة المصرية التشيكية وقضية السلام مع إسرائيل .

وعلى أية صورة فقد كان تقدير دالاس للحالة أقل بكثير من حقيقتها .. وخلال أشهر طويلة مريرة .. كانت الإدارة الأمريكية مزعزعة متأرجحة حيال مسألة تمويل السد العالى .. وحيال صفقة الأسلحة .

كانت الحكومة الأمريكية تقف بشدة ضد تطور ونمو العلاقة بين مصر والاتحاد السوفيتى .. ولكنها لم تعدم أى بديل بناء يصرف مصر عن الاتجاه لتنمية هذه العلاقة فى وقت تدافعت فيه التصرفات العدوانية الإسرائيلية .. مع فقدان مصر لأى أمل فى الحصول على السلاح من أمريكا ..

وكان ناصر يعرف بالطبع أن إدارة ايزنهاور كانت تيسر إمداد إسرائيل بالسلاح من أوربا .. وأيضا كان يعرف أن هذه الإدارة ـ من تحت لتحت ـ كانت تسمح بل وتشجع تمويل هذه الصفقات من مصادر خاصة أهلية فى أمريكا ..

واليوم وبعد أن انقضت سنوات .. يتضح لنا أن من الأسباب الرئيسية لهذا التخبط والتناقض الذى سيطر على مواقف ايزنهاور ودالاس حيال الشرق الأوسط .. كان ببساطة هو الجهل بحقيقة الواقع السائد فى ذلك الوقت .. لم يستطع الاثنان أن يتفهما المنطقة ومشاكلها .. بل وعلى الأخص أنهما لم يستطيعا تفهم مصر ومشاكلها وتفهم ناصر ومشاكله .

مثلا بعد أن انقضى عام كامل على قيام ثورة يوليو ١٩٥٢ .. كان جون فوستر دالاس ما يزال يكتب لسفيره فى القاهرة ـ جيفرسون كافرى ـ ليسأله عما إذا كان ناصر أم نجيب أى منهما بيده الأمور فى مصر..

مثل آخر .. إننى لم أعثر فى الأوراق والوثائق على أى دليل أو إشارة تدلنى على أن واحدا من وزارة الخارجية أو البيت الأبيض قد علم بأى شىء عن المباحثات السرية التى جرت خلال السنة التالية بين الممثلين الشخصيين لناصر وموسى شاريت .. ولم تكشف الوثائق عن أية إشارة تدل على تقدير واشنطن

لتصميم كل من الرجلين على القيام بمواجهة بناءة للمشاكل التى خلفتها بغير حل اتفاقية الهدنة عام ٤٨ / ١٩٤٩ .

شىء آخر .. أنه لا ايزنهاور ولا دالاس كان متفهما للاختلافات الأساسية بين موسى شاريت وبين بن جوريون حول مسألة السلام فى الشرق الأوسط .. وكان هذا الجهل مأساة بالنسبة للفرص الضائعة .. وكان الثمن الذى كلفه هذا الجهل هو ذلك الفشل الذى منيت به مهمة اندرسون الساذجة فى أواخر عام ١٩٥٤ وأوائل عام ١٩٥٥ .. كان الوقت قد فات لأى جهد من هذا القبيل .. فقد كانت الأبواب قد أوصدت ..

أمريكا والغارة على غزة

فعندما وقعت الغارة على غزة فى فبراير ١٩٥٥ .. لم تتنبه الإدارة الأمريكية إطلاقا لأهمية هذه الغارة .. وهذا واضح تماما وإلا لما كان ايزنهاور ودالاس قد فوجئا وصدما عندما علما فى مايو ذلك العام بأمر الاتصالات المصرية السوفييتية التى أدت إلى صفقة الأسلحة التشيكوسلوفاكية المشهورة ..

وفى المناسبات التى كانت الإدارة تتلقى فيها معلومات قيمة وتحليلات صادقة عن الأزمة التى لاحت فى الأفق .. فإن هذه المعلومات كان يساء تقديرها أو يجرى تجاهلها فى البيت الأبيض وفى مجلس الأمن القومى .

وكان هذا هو ما حدث بالضبط فى أغسطس ١٩٥٦ ، ففى اجتماع المجموعة المشتركة بين البنتاجون والمخابرات المركزية جرى التنبؤ بأن إسرائيل سوف تشن حربا قصيرة خاطفة ذات طابع مفاجئ وكاسح قبل نوفمبر ١٩٥٦ بأيام .. ولقد بنى هذا التنبؤ على أساس تقدير إسرائيل للمدة اللازمة للجيش المصرى لكى يستوعب أنظمة الأسلحة السوفييتية التى تسلمها .

وكان تنبؤ البنتاجون صادقا بالطبع .. ففى عام ١٩٥٦ أكدت إسرائيل سمعتها

وجدارتها فى الابتكار فى مجال الحرب بأن أعطت تعبير «الحرب الوقائية» معنى جديدا .

كان توقيت الغزو الإسرائيلى عام ١٩٥٦ يدل على أن هذه الحرب لم تكن للحيلولة دون صراعات مستقبلية .. ولكنها كانت حربا شنتها إسرائيل – من وجهة نظرها – بقصد منع مصر من تطوير وسائل دفاعها عن نفسها .

عامل آخر من العوامل التى شوهت نظرة الإدارة الأمريكية فى عهد ايزنهاور تجاه أزمة الشرق الأوسط والمنطقة عموما .. هذا العامل هو تواجد أفراد وعناصر فى المراكز العليا للمخابرات المركزية والمجموعات الدبلوماسية .. تعمدت عن قصد إساءة عرض المعلومات المتوافرة على رؤسائهم .

طابور خامس لإسرائيل :

والمثل البارز على هذا الطابور الخامس فى واشنطن كان جيمس جيسيوس انجلتون.. خبير الشئون الإسرائيلية فى المخابرات المركزية الأمريكية – الذى أكد بإصرار فى ٢٦ أكتوبر ١٩٥٦ – أى ثلاثة أيام قبل الغزو – أن التعبئة العامة فى إسرائيل ما هى إلا مناورة لتهديد الأردنيين .. أكد هذا الزعم وبين يديه الصور التى التقطتها طائرة التجسس التابعة للمخابرات المركزية الأمريكية .. وعنده أيضا كم هائل من الدلائل أولا بأول عن الاستعدادات البريطانية والفرنسية فوق جزيرة قبرص ومن حولها . ولا يمكن لأحد أن يفسر ذلك إلا بأن انجلتون قد كذب عامدا بقصد إعطاء إسرائيل الوقت لكى تستطيع أن تشن هجومها ..

والشىء المثير للدهشة أنه على الرغم من وقوع الهجوم على السويس فقد سمح لانجلتون هذا بأن يظل فى موقعه يسمم سياسة الولايات المتحدة فى الشرق الأوسط زهاء ١٩ عاما .

ولقد كان تخبط إدارة ايزنهاور وسذاجتها فى مواجهة مسائل الشرق الأوسط هو السبب الأساسى لحساباتها الخاطئة حيال عبد الناصر وحيال مصر.

ولقد سبق أن أشرت إلى فشل الحكومة الأمريكية فى تفهم أهمية الإغارة على غزة .. كما أشرت إلى المفاجأة التى واجهتها واشنطن عندما كشف النقاب عن صفقة الأسلحة التشيكية .

ولم تكن هذه المفاجأة أمرا غير عادى فقد تعود ايزنهاور ودالاس على تلقى المفاجآت بصفة مستمرة من عبد الناصر .. لقد أصابهما الذهول لرفضه العنيف لنظام الدفاع عن الشرق الأوسط الذى عرض عليه .. كما كان تأميم شركة قناة السويس وتوقيتها صدمة أخرى لهما .. ثم صدما من جديد عندما تمكنت السلطة الجديدة لهيئة القناة من تسيير حركة الملاحة فى القناة بيسر ونجاح ..

ولست أظن أننى آت بجديد لكم عندما أقول إن سوء التقدير والخلط فى الحسابات فى واشنطن حيال بعض الأحداث كانت جذوره الأساسية فى سوء فهم ما كان يجرى فى مصر فى ذلك الوقت .. كان ايزنهاور ودالاس يعيشان فى وهم الاعتقاد بأن الحكومة المصرية ليست مستقرة .. وأن شعبية عبد الناصر بين الجماهير كانت محدودة وقابلة للانهيار .. ولم يكن ايزنهاور وحده هو الذى استسلم نهائيا لهذا الاعتقاد الخاطئ .. فقد كان الرؤساء الأمريكيون لا يقدرون حق التقدير حجم ناصر السياسى حتى ذلك اليوم الذى اندفع فيه الملايين من المصريين إلى الشوارع يوم جنازته ..

وكذلك فإنه لا إيزنهاور ولا دالاس قدر حق التقدير عمق ارتباط ناصر بعدم الانحياز .. ولم يتورع كلاهما من أن يتخذ من عدم رضائهما على علاقة عبد الناصر بالكتلة الشرقية العذر لتغطية تصرفات سياسية .. كان من الصعب الدفاع عنها بدون ذلك المبرر .. وعلى سبيل المثال فى مايو ١٩٥٦ عندما أقامت مصر علاقات ديبلوماسية مع الصين الشعبية استدعى دالاس بفظاظة سفير مصر فى واشنطن أحمد حسين وهدده بسحب مساندة الولايات المتحدة لبناء السد العالى ..

وتتكشف الحقيقة عن أن سحب تمويل السد العالى لم يكن وليد تلك

اللحظة وإنما كان القرار بسحب تمويل السد العالى قد اتخذ قبل ذلك بأشهر عديدة .. اتفق عليه ايزنهاور ودالاس استجابة منهما للضغوط الهائلة التى مارسها عليهما أصدقاء إسرائيل فى الكونجرس ..

انجلترا وفرنسا وإخفاء المعلومات :

كذلك كان هناك كثير من المعتقدات الخاطئة تبنتها الإدارة الأمريكية تجاه حقيقة ما يهدد مصر .. فلم يكف الرئيس الأمريكى ولا وزير خارجيته حتى وأثناء اللقاء الوحيد التى تم مواجهة بين ناصر وايزنهاور .. فى سبتمبر ١٩٦٠ فى نيويورك ، لم يكف الرئيس ولا وزير خارجيته عن محاولة حمل ناصر على الاقتناع بالأهمية العسكرية لما أسماه التهديد السوفييتى .. ومن العجيب أن دالاس بالذات لم يكن قادرا على أن يستوعب فى مفهومه الأمر البسيط جدا وهو أن التهديد الذى يعنى ناصر ويعنى مصر فى الوقت الراهن يتمثل فى وجود تلك القوات البريطانية المعسكرة فى القنال وتلك الطائرات الإسرائيلية الرابضة على أرض النقب .. هذا الوجود الذى يشكل تهديدا حقيقيا وواقعيا ويشغل اهتمام ناصر والشعب المصرى ..

وبدون جدال فإن الحيرة والتخبط الذى اعترى الدول الأوربية والمفهومة أسبابها .. وقد استعصى عليها فهم أبعاد السياسة الأمريكية فى الشرق الأوسط .. هذه الحيرة وهذا التخبط قد ساهما فى تجرؤ فرنسا وبريطانيا على الانضمام إلى إسرائيل للقيام بمجهود مشترك لخداع أمريكا وتضليلها فى الأسابيع والأيام السابقة على الغزو ..

فنى ٢٢ سبتمبر ١٩٥٦ أسدلت بريطانيا ستارا من الصمت وأوقفت حركة تبادل المعلومات حتى الروتينية منها والتى كانت تتم عادة بين الأجهزة الدبلوماسية وكذلك تلك التى كانت تتبادل بين أجهزة المخابرات المختلفة .. بينما حرصت فرنسا على إضفاء سرية كاملة على شحنات الأسلحة والطائرات خلال

شهر أكتوبر ثم فى النهاية على الاستعدادات المتزايدة للغزو نفسه دون أى تشاور مع واشنطن .

هذه التعمية على واشنطن يمكن إرجاعها إلى سياق التخبط والقلقلة الذى ساد سياسة واشنطن أشهرا قبل تأميم القنال وبعدها .

وعندما أقول هذا لا أقصد أن أنحاز إلى جانب فى الجدال السائد حول ما إذا كانت إدارة ايزنهاور على علم بأمر الغزو قبل وقوعه أو لم تكن تعلم .. وكذلك حول مقابلة دالاس لإيدن فى أغسطس والتى قيل إن إيدن عرض فى هذه المقابلة خطط الهجوم أو أنه أبدى .. استعداده لعرضها .. واضح جدا أن ايزنهاور علم أن هجوما كان على وشك الوقوع وأن خيبة أمله كانت فى إخفاء أمر هذا الهجوم عنه وتزايد إحباطه عندما وقع الهجوم بالفعل .

ولكن لابد أن ينظر المرء بسخرية إلى مشهد زيارة السفير الإسرائيلى ــ أبا ايبان وقتها ــ لجون فوستر دالاس يوم الأحد ٢٨ أكتوبر .. وكانت إسرائيل قد أعلنت التعبئة العامة منذ أيام .. واحتشد ٤٥ ألفا من القوات الاسرائيلية على مشارف سيناء .. وبدأت مائة وثلاثين قطعة بحرية إسرائيلية تبحر تجاه المياه المصرية .. وطائرات مقاتلة وضعت على أهبة الاستعداد للقتال فى عدد يبلغ ستة أو سبعة أضعاف طائرات العملية الحربية المصرية بشتى أنواعها مجتمعة .. بينما فى تلك اللحظة كان أبا ايبان قد تلقى تعليمات من بن جوريون بأن يجلس مع جون فوستر دالاس وأن يؤكد له فى ثقة ورزانة أن إسرائيل لديها دلائل لا تقبل المجادلة .. بأن مصر على وشك أن تهاجمها .

عندئذ .. يصبح هذا المنظر مادة لعمل مسرحى حقيقى .. ولا أتصور أن جيلبرت وسوليفان قد استطاعا أن يحيكا كوميديا أكثر طرافة من هذا .. أبا إيبان بعظمته وخيلائه ورسميته المبالغ فيها وبلكنته الانجليزية المتقنة .. وجديته العميقة .. وأمامه دالاس لا يقل عنه مهابة وجلالة .. على مكتبه الذى اكتظت

أدراجه بالصور الملتقطة من الجو عن أدوات الغزو الإسرائيلى الذى يوشك أن ينطلق على مصر.

إنه مشهد ما من أحد يستطيع أن يوفيه حقه سوى مونتى بايثون فهو أكثر مناغاة للعقل والطبيعة من أن يتولاه أندرو لويد ويبر.

كذلك لست أقصد أن أظهر أن ايزنهاور ودالاس كانا مجرد متفرجين أو ضحايا سيئى الحظ فى الأيام الأخيرة السابقة على العدوان .. فقد كان لديهما معلومات وثيقة ومخابرات متدفقة عن كمية ونوعية المساعدات من المصادر الأمريكية الخاصة لتسليح إسرائيل .. وعن متى وكيف نقلت إليها .. وأنا أقصد هنا الأسلحة التى أرسلت إلى إسرائيل خصيصا من أجل هذا الغزو.

كذلك كانا يعلمان بالتأكيد أن الأسلحة الأمريكية ـ وأنا أقصد أسلحة حكومية ـ فى فرنسا قد سمح لها أن تستخدم فى هذا الهجوم. وأن البريطانيين والإسرائيليين قد تلقوا من المخابرات المركزية الأمريكية صورا للمواقع الدفاعية فى مصر.. لاستخدامها فى الهجوم.

تفسير لموقف أيزنهاور

ولسنا فى حاجة لأن نخمن أو نتساءل إلى أى جانب كان دالاس فى هذا الصراع .. وكما أشار أنتونى ناتنج فى كتابه الرائع عن الرئيس ناصر فقد أسر دالاس فيما بعد لسلوين لويد أن المرض الذى أصيب به وأقعده أثناء الأزمة كان هو السبب الوحيد الذى منعه من أن يهدئ من موقف ايزنهاور وغلوائه فى الإصرار على انسحاب القوات الأجنبية من مصر فور توقف القتال.

وكان الموقف الحازم الذى اتخذه ايزنهاور فى هذه القضية أمام الأمم المتحدة متسقا مع موقف الاتحاد السوفييتى وتقريبا مع موقف كل الدول الأعضاء فى الأمم المتحدة فيما عدا استراليا ونيوزيلندا والأطراف المشتركة فى العدوان .. ولقد اكتسب ايزنهاور من موقفه هذا رصيدا من الإعجاب فى العالم العربى أكثر بكثير مما يتصور.

ولقد حدث أنه عندما تواجد ايزنهاور وعبد الناصر فى نيويورك عام ١٩٦٠ فإن عبد الناصر خرج عن برنامجه ليعبر عن امتنانه لايزنهاور للمساندة التى أبداها فى انسحاب بريطانيا وفرنسا ومن بعدهما إسرائيل.

ولقد اعتبر البعض ـ واعترف بأننى فعلت هذا فى كتابى الراهن ـ بأن وقفة ايزنهاور كانت تعكس اهتماما رئيسيا بسلامة الأراضى ووحدتها داخل الحدود كما نص على ذلك فى الإعلان الثلاثى الصادر عام ١٩٥٠.

وجلى أن الغزو كان خرقا صارخا لهذا الاتفاق .. ومن ثم فقد تناول ايزنهاور المسألة بأقصى قدر من الجدية.

كذلك يمكن أن يقال بأن الإدارة الأمريكية ـ سواء اعترفت بهذا أم أنكرته ـ قد أخذت بجدية متناهية التهديدات التى وردت فى رسائل رئيس الوزراء السوفييتى نيكولاى بولجانين فى نوفمبر إلى بريطانيا وفرنسا وإسرائيل ..

وربما أخيرا أن ايزنهاور قد أغضبه أن حلفاءه تجاهلوا التشاور معه حول خطط الغزو.

وعلى أية حال فإن هذه الأسباب التى ذكرتها ليست بالضرورة أن تكون كلها أو بعضها سببا لموقف ايزنهاور فهى كلها موضع نظر ومطروحة للدراسة .. ولكن يبقى فى النهاية أن ايزنهاور ـ من وجهة نظرى ـ قد تصرف التصرف السليم.

ولكن النقطة التى يجب أن نصل إليها هى أنه أيا كانت الأسباب التى حدت بأيزنهاور لاتخاذ هذا الموقف الحازم من ضرورة الانسحاب .. فإنه من الخطأ أن ينسب الفضل إلى إدارة إيزنهاور ـ بسبب هذا الموقف ـ بأنها اتخذت موقفا سويا من جمال عبد الناصر أو من الصراع العربى الإسرائيلى.

ذلك لم يحدث والوثائق تثبت عكس ذلك .. تثبت أن نظرة ايزنهاور ودالاس إلى عبد الناصر يمكن أن تكون أى شىء إلا أن تكون نظرة سوية .. وعلى سبيل المثال فإنه بعد تأميم القناة بفترة قصيرة فإن ايزنهاور فى لقاء له فى

البيت الأبيض مع مجموعة من رجال الكونجرس قال إن خطب عبد الناصر تذكره بخطب هتلر.. وقال دالاس فى نفس اللقاء قارن بين كتاب عبد الناصر: «فلسفة الثورة» بكتاب «كفاحى» الذى كتبه هتلر.

وكثير من المذكرات الداخلية للبيت الأبيض ومذكرات وزارة الخارجية الأمريكية أثناء أزمة السويس كانت تعكس هذا النوع من اللغة المتهورة الطائشة.

وفى أواخر عام ١٩٥٧ وأوائل ١٩٥٨ أصبح ايزنهاور مقتنعا بأن ناصر والذى كان كثيرا ما يشير إليه بلقب «الدكتاتور» كان يتآمر على العالم العربى بأن يستولى بطريقة ما على موارد البترول فى الشرق الأوسط.

وأقل ما أستطيع أن أقوله إن هذه خيالات رجل أبسط ما يمكن أن يوصف به هو أنه فقد القدرة على التحليل الموضوعى للأحداث والاتجاهات فى مصر وباقى الدول العربية.

عبد الناصر وصورتان

واسمحوا لى أن أبدى لكم بعض الأفكار التى عنت لى أثناء قراءاتى للاستعداد لهذه الندوة.. لقد كنت باستمرار مشدوها للتناقض الغريب بين صورة عبد الناصر كما وردت ووصفت فى المكاتبات والاتصالات الداخلية للأجهزة الأمريكية وبين عبد الناصر الذى جازف بالمخاطرة أكثر من مرة ليتحسس الطريق إلى السلام مع إسرائيل.. عبد الناصر هذا الذى انشغل بكليته فى مشروع السد العالى وكل ما يعنيه هذا المشروع لشعبه.. عبد الناصر الذى تحمل الكثير من الإهانات الشخصية من البيت الأبيض وتقبلها على مضض لأنه كان حقيقة يعتقد ـ على الأقل فى مرحلة ما ـ أن الولايات المتحدة كانت القوة الأمثل لكى يصبح حلم إقامة السد حقيقة.

قد يكون دوايت دافيد ايزنهاور وجون فوستر دالاس من أعاظم رجال

الدولة فى قضايا أخرى وممارسات أخرى .. فلست هنا لأجادل فى ذلك ـ ولكنهما كانا على درجة من الغباء وضيق الأفق والعجرفة والتظاهر فى كل معاملاتهما مع جمال عبد الناصر.

ولم يكن موقف الولايات المتحدة من أزمة السويس صادرا عن كيان مركزى متناسق الرأى موحد الهدف .. ولكنه كان موقفا يعكس التناقضات العديدة بين الجماعات والوكالات والأشخاص والولاءات والتحاملات التى شكلت فى النهاية حكومة الولايات المتحدة الأمريكية على اتساعها .. هذه هى الصورة التى كانت سائدة وقتها ومازالت سائدة حتى الآن.

ولكننى أود أن أركز على حقيقة واضحة : وهى أنه لو كان النزاع العربى الإسرائيلى أو أن القضية الفلسطينية أو أن رخاء الشعب المصرى لو أن شيئا من هذا كان مهما وله اعتبار فى الهيكل العام لأغراض السياسة الخارجية الأمريكية .. إذن لما كان رد فعل الولايات المتحدة مترددا ومشوشا حيال الغارة الإسرائيلية على غزة وحيال صفقة الأسلحة التشيكية وحيال مشروع السد العالى وحيال تأميم القنال وأخيرا حيال الغزو.

لو أن الولايات المتحدة الأمريكية مهتمة بتفهم مصالح هذه المنطقة وسلوكياتها لما كانت الإدارة الأمريكية قد أرسلت «إشارات متناقضة» كما أسماها دالاس بنفسه واعترف بها بل كانت أعطت أذنا صاغية وكرست وقتا معقولا ومصادر أمينة لتستطيع أن تستخلص فى النهاية مواقف واضحة ومحددة حيال كل من هذه القضايا بمجرد بروزها .. بل ولربما استطاعت بالتصرف السريع المحكم أن تسبق هذه الأحداث قبل وقوعها وأن تمتصها أو تحول دون وقوعها.

ولكن شيئا من ذلك لم يحدث .. ربما لأنه كان لدى الإدارة الأمريكية ترتيب آخر للأولويات وكان اهتمامها منصبا على مواقع أخرى مثل الثورة فى المجر أو التصاعد النووى أو حملة جوزيف ماكارثى وقضايا أخرى داخلية فى البلاد ..

وبعد أيزنهاور

ولم يقتصر هذا الحال على إدارة ايزنهاور وحدها .. استمرت الإدارات التالية للرؤساء الذين جاءوا بعده فى إرسال «الإشارات المتناقضة» عن مسائل الشرق الأوسط وقضاياه .

وبعد ايزنهاور .. تنامت قوة «اللوبى الإسرائيلى» فى أمريكا الأمر الذى أكد بالقطع أن أزمة الشرق الأوسط سوف ينظر إليها فى أمريكا من خلال مدرسة مزيفة مشوشة .

وها نحن اليوم مازلنا على هذا الحال .. لم نتطور إلى حال أحسن ويكفى أن نستقرئ الحوادث فى مصر .

- أظهرت الوثائق الأمريكية التى أفرج عنها أخيرا أن إدارة جونسون كانت متأكدة من سقوط عبد الناصر فى أعقاب حرب الأيام الستة عام ١٩٦٧ .
- إن إدارة نيكسون كانت واثقة من أن السوفييت فى مطلع عام ١٩٧٠ قد تغلغلوا فى مصر إلى درجة لن يتمكن معها أنور السادات من أن يتخلص منهم .

ثم مؤخرا كانت إدارة نيكسون متأكدة من أن القوات المصرية لن تستطيع عبور قناة السويس أو اختراق خط بارليف .

- فى إدارة كارتر فوجئت تماما عندما أخذ زعيم مصرى على عاتقه أن يذهب إلى القدس عام ١٩٧٧ .

وفى الحقيقة فإن اتجاهات السياسة الأمريكية فى الشرق الأوسط منذ ا سويس حتى الآن لا تبشر بأهليتها للقيام بدور بناء وفعال فى الأزمات المتوقعة القادمة .

وهذا يقودنى فى النهاية - إذا ماكان لى الحق فى الإستقراء والتنبؤ - إلى ما أعتقد أنه الدرس الأكثر أهمية الذى يمكن أن نستوعبه من أحداث السويس

للاستفادة به فى الحاضر.. وعلى أية حال فهذه وجهة نظرى الشخصية .

فى مساء ٢٢ أكتوبر ١٩٥٦ .. اجتمع فى سيفرجى موليه رئيس وزراء فرنسا ودافيد بن جوريون رئيس وزراء إسرائيل ومع كل منهما مساعديه ـ مع سلوين لويد وزير الخارجية البريطانى .. كان من الواضح أن الاستعدادات من أجل الغزو قد وصلت فى ذلك الوقت إلى مرحلة متقدمة وقبل أن ينتهى المساء كان بن جوريون قد وضعها بجلاء أمام المجتمعين إنه يخشى أن يجند كل عناصر القوات الجويه الإسرائيلية فى العمليات الجوية لمساندة الغزو الإسرائيلى لسيناء فى الوقت الذى تكون فيه طائرات الأليوشن المصرية قادرة على ضرب العمق الإسرائيلى .

وظلت هذه العقبة قائمة خلال الجدل الذى طال خلال الأيام التالية حتى أمكن فى النهاية الوصول إلى اتفاق بأن تقدم القوات الجوية الفرنسية غطاء جويا للمدن الإسرائيلية .. وبعدها فقط أصبحت حرب السويس على وشك الوقوع .

كانت حجة بن جوريون التى صمم عليها أنه لن يكون رئيس الوزراء الإسرائيلى الذى يجلب الدمار للمدن الإسرائيلية وللتجمعات السكانية المدنية .. ووصل إصراره إلى الحد الذى كان مستعدا فيه أن ينسحب من خطط العدوان على مصر حتى لا يتعرض لهذه المجازفة .. حتى وإن كانت هذه الخطط قد بلغت مرحلة متقدمة من الإعداد .

هذه الواقعة يمكن أن نستدل منها على حقيقة هامة .. أن تصرف بن جوريون وتردده فى القيام بالهجوم لوجود رادع مصرى هو الأليوشن .. هذا الموقف الذى جرى ولو لساعات محدودة وفى محيط ضيق .. يمكن أن يكون نموذجا ممتازا لمفهوم «الردع» فى عالم صغير.

فنى مجال الشرق الأوسط .. وفى هذه الأيام بالذات .. فقد يكون فى وجود نوع من «الردع» دعامة طبيعية ومفيدة لسياسة مصر طويلة المدى .. أن توفر قوة ذاتية قادرة يرهب جانبها هو السند القوى لمصر فى تفاوضها حول القضايا الهامة التى مازالت باقية من صراع الشرق الأوسط .

وليس هذا الرأى باختراع جديد .. لقد أدركه عبد الناصر فى مطلع عام ١٩٥٥ .. ففى فبراير من ذلك العام ـ بعد الإغارة على غزة بفترة قصيرة ـ قدم إلى مصر سفير أمريكى جديد هو هنرى بايرود .. وبعد أن قدم أوراق اعتماده إلى الرئيس ناصر.. دار بين الرجلين حديث صريح طال فى ذلك المساء ..

كانت الإغارة على غزة مازالت تثقل بالقلق بال الرئيس المصرى .. وردا على بايرود .. تكلم طويلا عن العلاقة بين قوة مصر العسكرية وبين قدرتها على تحقيق السلام مع إسرائيل .. وقال إنه لكى تجازف مصر بالجلوس مع إسرائيل للكلام عن السلام فإن ذلك لن يكون إلا إذا كانت مصر قوية ..

وأعتقد أن كلمات عبد الناصر كانت صادقة وواقعية فى ذلك الحين مثلما ما هى صادقة وواقعية ومطابقة للحال الآن .. حتى من بعد كامب ديفيد .

وشكرا ،،،،

الجلسة الثانية

القسم الثانى :

مناقشات حول الموقف السوفيتى والأمريكى من أزمة السويس

شارك فى المناقشة :

محمد حسنين هيكل ـ أنتونى ناتنج ـ ستيفن جرين ـ د. إبراهيم صقر ـ ديمتشنكو

هيكل :

لا أعتقد أن مصر أجرت فى ذلك الوقت ـ ١٩٥٤ ـ أى نوع من المفوضات السرية أو العلنية مع إسرائيل .

جرين :

أعرف جيدا أن هناك اتصالات مباشرة اشترك فيها واحد من موظفى إدارة الرئيس عبد الناصر وجدعون روفائيل نائب الخارجية الإسرائيلية .

د. إبراهيم صقر :

ليس المهم الاتصال بالعدد ولكن المهم ماهو هدف الاتصال ولماذا ولأية غاية .

ـ ماذا جرى فى الكرملين قبل الإنذار السوفيتى بثلاثة أيام ؟

ـ عندما كتبت النيويورك تايمز بعد سحب تمويل السد العالى :

على الشعب المصرى أن يختار بين عبد الناصر وبين الخبز

الدكتور الحديدى : شكرا والآن نبدأ الحوار .. فإذا كانت هناك أسئلة نرجو تقديمها . وإذا لم تكن هناك أسئلة فإنى أقترح على الأستاذ هيكل أن يعلق على الرأيين اللذين سمعناهما الآن ، تعبيرا عن وجهة النظر الروسية ووجهة النظر الأمريكية .

الأستاذ هيكل : سيادة الرئيس .. لم أكن أفهم أن هناك توريطا على هذا النحو .. وأنا أريد فقط أن أسجل احتجاجى أولا ، على هذا التوريط ، لكن بعد هذا .

الدكتور الحديدى : الاحتجاج مرفوض .

الخطـة الأمريكيـة

الأستاذ هيكل : بعد هذا .. ليس عندى حقيقة الكثير من التعليقات .. بمعنى فيما يتعلق بما قاله ستيفن جرين فى اعتقادى أنى قد أختلف معه فى بعض الأمور .. إنه يظن أن السياسة الأمريكية فوجئت بأمور كثيرة ، ولكن مع الأسف الشديد .. أنا ممن يعتقدون ـ وما أراه فى الوثائق يدعونى إلى هذا الاعتقاد وهو ـ أن فكرة الخلاص من مصر. كانت موجودة وملحة وثابتة فى التفكير الأمريكى ، وعلى وجه الدقة .. قد يكون ذلك من أول ١٩٥٥ ، ومصر ترفض سياسية الأحلاف .. بطريقة قاطعة .. ويتفصل بينها وبين موضوع الجلاء .. فى ذلك الوقت كانت الولايات المتحدة الأمريكية . مصممة بشكل

أو بآخر على أن تتخلص من نظام الحكم فى مصر.. ولكننى لا أعتقد أنهم فوجئوا بشيء ..

وإذا كانت قراءتى للوثائق صحيحة .. بما فيها على وجه التحديد مذكرات ايزنهاور التى كان بيكتبها يوميا .. فإن هذه المذكرات كانت تعرض رئيسا ممسكا تماما بمقاليد السياسة الأمريكية .. جميعها فى إيده .. وليس صحيحا كما كنا نتصور أحيانا كثيرة جدا أن دالاس هو الذى يوجهه .. بالعكس واضح جدا من قراءة الوثائق وأولها مذكراته ويومياته التى كان بيكتبها كل يوم .. واضح جدا أنه كان لديه هدف واحد ومحدد .. أهداف واضحة ومحددة .. هدفه الأول أن يسهل خروج الانجليز.. وليس عنده مانع ولو مؤقتا من ممارسة ضغوط على السياسة البريطانية .. ولكن لديه خطة واضحة .

وثمة جوانب محددة على سبيل المثال تؤيد ما أعتقد .. فإذا لم تكن الذاكرة قد خانتنى .. أعتقد يقول فى حوالى إبريل : أنا لا أقر اندفاعكم بهذه الطريقة ضد مصر وأن هذا الجو من الهستيريا لا يؤدى إلى شيء .. وفى تصورى أن هناك الوسيلة الوحيدة لمواجهة عبد الناصر وفى الجو المشحون تتمثل فى البدء أولا بفصله عن السعودية .. لأنه هى الممول للعمليات الدعائية والعمليات التخريبية ـ حيثما كانوا يصفون جنود لجمال عبد الناصر أن الحل الوحيد والسياسة المنطقية والمعقولة أن نبدأ بعزل السعودية عنه ، ثم نبدأ بأحداث فى سوريا والاعداد لهذا الانقلاب فى سوريا بدأ من سنة ١٩٥٥ .. وإذا ماضاعت منه سوريا ..

ونحن لو نتذكر هو أن مصر وسوريا والسعودية كانوا يمثلون محورا . كله لأسبابه الخاصة لأن السعودية كانت .. واقفة فى هذا الوقت ضد الهاشميين فى بغداد وعمان .. وسوريا كانت واقفة بطريقة طبيعية مع مصر ، فكان الرأى فى خطة ايزنهاور التى لم يتزحزح عنها أن ينتزع السعودية أولا من مصر ثم يحدث انقلابا فى سوريا أقرب للهاشميين وبعد هذا يبقى جمال عبد الناصر فى عزلة .. وهو حسب حديث ايزنهاور سوف يتحول إلى شبح تدفعه فيقع . وبالتالى فأنا

لا أتصور أننى قد أختلف مع ستيفن جرين .. وأنا أعرف مواقفه .. وأعرف حجم ما قرأ .. وإلى أى حدد دقق لكنى قد أختلف معه فى هذه النقطة ولا أعتقد أنه كان مفاجأة .. لأحد .. وعلى سبيل المثال .. تجد أن فيه اجتماع مخابرات ، والغريبة أنه هو اجتماع المخابرات الوحيد الذى يمكن إثباته بوثيقة .. لأن الوثيقة تسربت .. وحدث فيه كلام الإنجليز والأمريكان .. كان فى الاجتماع ايكل برجر من الجانب الأمريكى وجورج يونج من الجانب الإنجليزى وحضر المناقشات بيرارشبلد سينكلير الذى كان مكلفا بالمخابرات فى الشرق الأوسط وأنهم اتفقوا على :

أولا : خطة عزل الملك سعود مهما اقتضى الأمر.

ثانيا : أنهم اتفقوا على خطة الانقلاب فى سوريا ، فيها اختيار الشخصية السياسية التى تتولى الحكم والضابط الذى يقوم بالانقلاب .

وهكذا اتفقوا على الهدف الواضح من هذا وهو عزل جمال عبد الناصر وبالتالى فأنا واحد من الناس الذين يعتقدون أن السياسة الأمريكية لم تكن بمثل هذه البراءة .. ولا هذه المفاجأة .. لم يكن فيها الكثير من المفاجآت .. ولكن الولايات المتحدة «كانت تسعى فى وقت واحد إلى هدفين طريقها خطان متوازيان :

بهما تبعد المساحة بينها وبين الاستعمار القديم بشكل أو بآخر ، لكى تمهد لدور أمريكى قادم فى المنطقة على هواها وطبقا لشروطها .

لا اتصالات مع إسرائيل

النقطة الثانية التى قد أختلف فيها مع صديقنا ستيفن جرين هو الحديث الذى يروى عن محادثات مصرية إسرائيلية فى هذا الوقت ..

هناك كلام كثير يقال بصدد هذا الموضوع وأنا أستطيع ولدى المقدرة على القول ، حيث أنا أدرى الصورة إلى حد كبير ... أقول إننى لا أعتقد أن مصر

أجرت فى ذلك الوقت المفاوضات .. لا سرية ولا علنية مع إسرائيل . وأقول إن قصارى ماحدث فى ذلك الوقت ، هو أنه وجد بعض المتطوعين بالخير كما تصوروا .. وكان أولهم ريتشارد كروسمان الذى حضر إلى مصر حيث قابله جمال عبد الناصر بصفته عضوا فى مجلس العموم البريطانى .. قابله كزعيم عمالى بارز.. قابله كوزير سابق جاء.. فى محاولة لاستطلاع أفكار ونوايا الثورة المصرية ..

وسافر ريتشارد كروسمان ـ وأنا أحد الذين رأوه فى ذلك الوقت وحضرت اجتماعه بالرئيس جمال عبد الناصر .

وقد عاد بعد أسبوعين حاملا مفاجأة تتمثل فى أنه حين عاد إلى لندن .. دعى إلى تل أبيب وهناك قابله بن جوريون وقال هل قابلت جمال عبد الناصر .. إننى أريد أن أعقد سلاما معه .. إليك رسالة منى له مؤداها كذا .. إن اسرائيل مستعدة للسلام وأننا لو جلسنا إلى مائدة المفاوضات سوف نجد مايقال.. وسنجد أمورا أخرى نتناولها .. وجاء ريتشارد كروسمان .: وجمال عبد الناصر قال له إن موضوع إسرائيل فى هذا الوقت لايشغله إطلاقا ، إنه يعتقد أن موضوع اسرائيل قضية داخلية مصرية . وهى متعلقة بتنمية وتطور مصر بالدرجة الأولى .. وأنه لايمكن فى ظنه ولاتصوره أن بلدا تعداده مليونان أو أقل يبقى خطرا على من حوله .. فإذا كان خطرا فإن العيب يكون من الآخرين وليس العيب منهم . ثم قال له إن اهتمامى فى الوقت الراهن هو تنمية مصر.

والغريب أن ريتشارد كروسمان كان قد سمع هذا الحديث من جمال عبد الناصر ، لأن كروسمان نفسه كان قد طرح هذا الموضوع .. موضوع العلاقات مع إسرائيل .. وحين رجع المرة الثانية قال لجمال عبد الناصر إنه نقل لدافيد بن جوريون الكلام الذى سمعه منه عن التنمية وعن مصر مستقلة ، ووحدة عالم عربى ، وإذا بن جوريون يقول له هذا أسوأ ماسمعت.. والمسألة تبدو لى أخطر مما كانت تبدو على السطح .

موضوع المفاوضات مع شاريت .. أنا أعرف شاريت .. وأى واحد بيتابع الوثائق حتى الوثائق الإسرائيلية نفسها .. يحس أن شاريت فى وقت من الأوقات راودته وبشدة فكرة مفادها أن السلام مع مصر ممكن وبالتأكيد كان مختلفا مع بن جوريون ومجموعة بن جوريون ، ولكن بالرغم من كل محاولات شاريت .. فإنى لا أعتقد أن مصر فى ذلك الحين كانت بتفكر فى هذا الموضوع صحيح أنا عارف أن الرئيس قال لبايرود الذى كان يتحدث عن الصلح .. إنه حينما نصبح مستقلين ويرحل الإنجليز .. وحينما نصبح أقوياء .. ويكون جيشنا قادرا وقتها تكون لك مسألة أخرى .

هذه فيما يتعلق بستيفن جرين ..

قبل الإنذار السوفيتى

إذ صح لى أن أعلق.. أما فيما يتعلق بالكلام الذى قاله صديقنا العزيز ديمتشينكو فالحقيقة أننى لست أدرى ماأقول .. حيث أنه لم يذكر لنا وقائع يمكن أن نناقشه فيها ، وإنما تكلم عن سياسة عامة .. تحدث عن سياسة الاتحاد السوفيتى بالطريقة الطبيعية اللى نعرفها جميعا .. وتحدث عن المواقف .. لكنه لم يتح لنا الفرصة .. أن تكون هذه هى براعة إخواننا السوفييت لكى نناقشهم فى تفاصيل مايقولونه .. حيث هم فى مرات كثيرة جدا يختارون أن يدلوا بآرائهم ويقولوا ماحدث ويعرضوا فى إطار السياسة العامة للاتحاد السوفيتى بوجه عام دون أن يتيحوا لأحد فرصة مناقشتهم .. وبالتالى فإنه فيما يتعلق بالأخ ديمتشينكو لست أدرى فى الحقيقة أن أعلق على إيه .. فيما يتعلق بالمبادئ فإن هذا موضوع نعرفه .. وكذلك الحال فيما يتعلق بالمواقف.. وبالمثل مايتعلق بالشخصيات .. لكنى كنت أتمنى فى الحقيقة أنه يقول شيئا .. ينفذ من السطح الظاهر لشكل الحوادث إلى ماجرى فى الاتحاد السوفيتى ، وكما روى فى الاتحاد السوفيتى .. مع تفاصيل أكثر عن الإدارة السوفيتية لأزمة قناة السويس .

وعلى سبيل المثال أنا كنت أتمنى أنه يحلل لنا أمورا متناقضة وهذا مهم

جدا .. فعلى سبيل المثال كان شكرى القوتلى فى موسكو يوم ٣٠ أكتوبر .. كان قد عقد الرئيس السورى اجتماعا مع القيادة السوفيتية وطلب منهم معرفة ماذا سيفعلون بالنسبة لمصر ؟ وكان الرد الذى تلقاه الرئيس السورى شكرى القوتلى إنه يصعب عليهم التفكير فى أى حاجة. وليس لديهم شىء فى الوقت الحالى .. وبعد ذلك راح السفير المصرى محمد القونى يسأل عن نوايا الاتحاد السوفيتى ماهى على وجه الدقة .. فى الموضوع .. طبقا لتقرير القونى أن الرئيس خروشوف فى ذلك الوقت قال « نحن نؤيدكم ونناصركم .. وكذا وكذا .. ولكن عليكم أن تعتمدوا على أنفسكم ؟؟ »

بعد ثلاثة أيام .. جاء الإنذار السوفيتى .. وأنا من الذين يعتقدون أنه كان بالغ الأثر .. لكن ماذا حدث فى هذه الأيام الثلاثة ؟؟ ..

كنت أتمنى بشدة لو أن صديقنا ديميتشنكو كان قد ألقى عليها بعض الضوء .. فقد كان يقال لنا فى يوم ، أن نعتمد على أنفسنا اعتمدوا على أنفسكم .. وبعد ذلك بثلاثة أيام كان هناك إنذار سوفيتى لاشك فى أثره ..

فأنا واحد من الناس الذين يعتقدون هذا فعلا .. وحين أطلع على محاضر مجلس الوزراء الإسرائيلى خلال هذه الفترة .. ولما أرى الاستطلاع الذى قام به رجل مثل البروفيسور مايكل بريشر .. فى دراسته لصنع القرار فى إسرائيل فأجده قد سأل حوالى عشرة من صناع القرار فى إسرائيل من بينهم بيريز وأبا ايبان وبن جوريون وجولدا مائير إلى آخره عن مدى تأثير إنذار الاتحاد السوفيتى ، وأخذ بالنسبة للكل ثمانى نقط على الأقل .. ثم أرى أن أبا ايبان يبعث برقية من واشنطن لكى يقول إنه تلقى معلومات .. تسربت إليه معلومات مفادها أنه إذا لم تذعن إسرائيل .. وتقبل وقف القتال فى اليوم التالى :

فإنها سوف تتحطم فى اليوم الذى بعده .

إنى أنظر إلى الإنذار السوفيتى نظرة جدية .. ولكن كنت شديد التمنى ونحن فى هذه الندوة نتناقش ونتكلم بصراحه .. أن يتوافر بعض الضوء على مجرى

الثلاثة أيام التى مضت .. مابين المقابلة التى أجراها السفير القونى .. ومابين صدور الانذار .

إن أول من أصيب بالدهشة كان السفير القونى نفسه .. حين قصد إلى وزارة الخارجية السوفيتية وهو شبه يائس .. قابله السفير زائيسيف على الباب .. على باب وزير الخارجية شبيلوف .. وقال له سوف تسمع أخبارا طيبة جدا .. قد كان السفير القونى يبعث رسائل كلها يأس ولما دخل لشبيلوف .. قرأ له نص الإنذار وقال له : مارأيك .. وكان القونى لا يكاد يصدق ماسمع .. فماذا جرى فى تلك الأيام الثلاثة ؟ ..

كنت أتمنى لو سمعنا مايلقى ضوءا أكثر على تلك الأيام .

على أى حال أنا إذا قد قلت حاجة خارج الحدود .. أو خارج الخطوط أو تنقصها اللياقة الدبلوماسية .. يبقى اللوم كله يقع على الرئيس – رئيس الجلسة – الذى ورطنى .. وثمة رجاء لى هو ألا يتورط الصحفيون ، حيث يحدث أحيانا أنهم يندفعون إلى حديث لا لزوم له ..

وشـــكرا ، ، ،

الدكتور الحديدى : واضح أن النقاط الموجهة لمستر جرين من الأستاذ هيكل هى وجهة نظر بيقول إنه لم تكن هناك مفاجآت .. أى لم يكن هناك من ناحية الإدارة الأمريكية بالواقع .. وعندها هدف وأمل لكى تحققه . وبالنسبة لى فقد فهمت من حديث مستر جرين ، أن الإدارة الأمريكية لم تكن مفاجأة وربما يكون الأمر ، هو فى تقييم المعلومات التى تصل ، وإنى أترك مستر جرين يعلق على هذه النقطة .

هناك اتصالات مصرية إسرائيلية

مستر جرين :

أشكر السيد الرئيس .. وفى الحقيقة لا أظن أننا مختلفون وربما كنت قد ثرثرت قليلا فى كلامى عن إدارة ايزنهاور على أساس ما كان لديهم من معلومات عن الهجوم المرتقب . ولا أتصور أن نكون مختلفين حول مسألة الاتصالات التى جرت بين الجانبين لتحقيق السلام .

لقد أصدرت كتابى « كلام بين الجانبين » وأعتقد أن البعض منكم قد قرأه فى الأجزاء التى نشرتها الأهرام منه وكل ما أعرفه أنها نشرتها فى عام ١٩٨٣ .

ولكننى أعرف جيدا أنه كانت هناك اتصالات مباشرة .. وأنا لم أكن أتكلم عن ريتشارد كروسمان أو غيره من الوسطاء الذين تطوعوا من تلقاء أنفسهم بما فيهم كثير من الأمريكيين بينهم الأب نلسون وآخرين من الذين ألفوا كتبا عن هذه الفترة .. وأنا أعتقد أنه كانت هناك أهمية خاصة لهذه الاتصالات المباشرة والتى جرت فى باريس فى صيف عام ١٩٥٤ واشترك فيها واحد من موظفى إدارة الرئيس جمال عبد الناصر وجدعون رفائيل نائب وزير الخارجية الإسرائيلية ..

وهذا المصرى الذى اشترك فى هذه المفاوضات حاليا فى القاهرة وقد تحادثت معه شخصيا ولكنى لم ألتق به إلا بعد أن أصدرت كتابى .. ولقد أكد لى بنفسه كل ما أوردته عن هذا الموضوع وأدلى إلى بتفاصيل اللقاءات والكيفية التى تلقى بها تفويض الرئيس عبد الناصر له للقيام بهذه المهمة وهو على أية حال يريد أن يؤلف كتابا عن هذا الموضوع فطلب منى ألا أقول المزيد عنه .. وما أستطيع أن أقوله عنه هو أن له علاقات معينة بالمجلس النيابى المصرى منذ ذلك الوقت وأنا متأكد تماما بأن معلوماتى تقوم على أسس متينة ..

الدكتور الحديدى : شكرا مستر ستيفن جرين .. فيه سؤال بيوجه مش عارف مين اللى كاتب الاسم لكن القضية : هل كان ايزنهاور ودالاس يريدان

القضاء على ايدن وعبد الناصر معا .. واستغلال أزمة السويس فى ذلك .

مستر جرين : لا علم لى بأى دليل عن أنهما أرادا التخلص من إيدن ..

وعلى أية حال كان هناك أكداس من الوثائق .. هو أن مكتبة ايزنهاور يجرى تنظيمها .. وأنا أعتقد أنهم فى كانساس كما يعرف البعض منكم فإنهم يوما بيوم .. يعيدون تبويب مافاتها ويضيفون إليها الجديد .. وأعتقد أن ملفات هويتمان بالذات هى الملفات الرئيسية والمصدر الرئيسى الذى استقينا منه ـ الأستاذ هيكل وأنا ـ المعلومات التى تحدثنا عنها هذه الليلة .. وهم فى كل يوم يفرجون عن الجديد من هذه المعلومات .

لذلك فإنى أعتقد أن هناك دلائل بينة وهامة بأن دالاس وايزنهاور كانا يحاولان بشكل ما أن يجدا طريقة لعزل عبد الناصر عن شعبيته السياسية هنا فى مصر .

وأنا أعتقد أن ما تقوله عن محاولة التخلص من عبد الناصر كان صحيحا .. كان هناك اتفاق عام على التخلص منه وأنا اتفق مع قولك بأن الاختلاف كان على وسيلة تحقيق هذا الهدف وليس على الهدف نفسه .. وهناك كثير من المكاتبات بهذا الخصوص فقط فى الكتابات المتبادلة مع بريطانيا وإنما أيضا فى الكتابات بين مختلف الجهات داخل الحكومة الأمريكية نفسها .

وأنا أتفق معك إلى أبعد مدى .

قبل الإنذار السوفيتى

الدكتور الحديدى : شكرا .

ننتقل الآن إلى التعليق الذى ذكره الأستاذ هيكل على ماجرى داخل الحكومة السوفيتية خلال الأيام الثلاثة التى سبقت الإنذار الروسى ..

ديمتشينكو : خلال السنوات الماضية صرفت كثيرا من الوقت لكى أدرس باهتمام بالغ المشكلة التى تطرق إليها الصديق محمد حسنين هيكل لما كنت أنا

أحضر نفسى لكى أكتب كتابا حول حرب الستة أيام المعروفة . أنا فى ذلك الوقت رجعت إلى المذكرات والوثائق وكنت أحاول أن أعرف ماحصل خلال الثلاثة أيام وما أدى إلى هذه النتيجة .

من فترة .. وليس ثلاثة أيام .. من ٣٠ أكتوبر وحتى ٥ نوفمبر ..

والكتاب مترجم إلى العربية وتسميته « الشرق العربى فى أيام الامتحان » .. وقد ترجم الكتاب فى سوريا والسودان ومصر وهو يحمل اسمان « الشرق العربى فى أيام الامتحان » .. « والشرق العربى فى أيام المحنة .. » فى السودان ومصر الاسم الأول وفى سوريا الاسم الثانى .

وأنا كتبت بالذات عن هذا الموضوع فى هذا الكتاب .. وفعلا شكرى القوتلى كان فى ذلك الوقت يقوم بزيارة موسكو .. ولقد أعاد السيد هيكل ذاكرتنا إلى هذا الموضوع .. تصور السيد محمد حسنين أن الموقف السوفيتى جرى فيه تحول حاسم مفاجئ وفى التصريح قرأته من قليل خلال كلمتى ، معناها أن كلمتنا كنا نؤيدها بالخطوات العملية .

وأنا عايز أقول إن علاقاتنا الطيبة والمتينة والوثيقة والكويسة .. الاتحاد السوفيتى مع الدول العربية آنذاك ولاسيما مع مصر وسوريا .. كان عمرها سنتين فقط .. مكانش فيه تجربة من الطرفين لمثل هذه الصداقات .. إحنا كنا فى بداية علاقاتنا تقريبا .

أنتم تذكرون طبعا أول زيارة لوزير خارجيتنا شبيلوف إلى مصر .. ولم يكن وقتها وزير الخارجية .. كان رئيس مجلس إدارة جريدة البرافدا .. رئيس التحرير .. ونحن نذكر جيدا هذه الزيارة إلى وادى النيل .. لقد كنا فى بداية طريقنا .. فى بداية علاقتنا مع مصر .. ولهذا لكى نتخذ القرار لمواجهة العدوان الثلاثى كان علينا أن ندرس هذا الموضوع من جميع جوانبه وبكل دقة .

أقول بصراحة أن إمكانيات الاتحاد السوفيتى وقتها لم تكن كبيرة فى هذا كنا نبنى علاقاتنا . كنا فى بداية علاقاتنا مع هذه المنطقة .. بالنسبة للسلاح كنا نرسل

السلاح يعنى من سنة واحدة كنا نتعامل فى موضوع السلاح .. وأنتم تعرفون أن موضوع السلاح مر بمراحل .. مرحلة أولى كان عن طريق تشيكوسلوفاكيا .. بس بعد كده الاليوشن ذكر الزميل الأمريكى اللى وصل مصر .

وفعلا كان فيه حاجة إلى ثلاثة أيام لندرس هذه المشكلة من جميع الجوانب وجميع الاحتمالات : سياسيا .. يعنى الرد السياسى والرد الاقتصادى والرد العسكرى .. وظهر أن هذه الإمكانيات كلها موجودة .. والإعلان الذى صدر فى ٥ نوفمبر كان يعبر عن هذه الحقيقة .. وهذه الجملة المشهورة من إعلان بولجانين الجميلة مغزاها أننا سوف نستخدم القوة لكى نعيد السلام إلى منطقة الشرق الأوسط كان لها أساس .. ولكن لكى نتخذ مثل هذا القرار كنا محتاجين لهذا الوقت فعلا .. هذا هو تفسيرى للموقف .

وبالمناسبة قابلت شكرى القوتلى أول ماسلم هذا الرد وتكلمت معه فى هذا الموضوع .. وأريد أن أقول إنه بعد هذه المقابلة تم لقاء شكرى القوتلى مع القيادة السوفيتية خروشوف قابله وباراشيلوف وبولجانين ومريشال جوكوف وشبيلوف .

يعنى القيادة السوفيتية بكاملها كانت فى مقابلة شكرى القوتلى وبعد كده هو سافر سوريا ومزاجه كان مرتفع يعنى كان كويس جدا ..

أنا كنت فى دمشق وقتها .. هو هبط فى حلب بدل دمشق لأنه كان خايف من الطائرات الإسرائيلية .. بعد كده ركب السيارة وجاء إلى دمشق وكان مبسوط قوى .

وده ردى على هذا التساؤل .

الدكتور حلمى الحديدى : عفوا متأسف معلش .. المستر جرين حيقول تعليق صغير قبل ما حاطلب من مستر مايكل فوت بعنيك .. يعنى اتفضل .

عصبـة الكابـال

مستر جرين :

لست أريد أن أبدو كمن يضرب فى حصان ميت يستحثه على النهوض ولكننى أرد لغرض واحد وهو أن أعبر عن تقديرى لزمالتكم ولمكانتكم من هذه القضية .

ولقد كان عندى دافع آخر ضاعف من ثقتى فى حقيقة الاتصالات المباشرة التى جرت فى ١٩٥٤ ولكننى فى كتابى لم أدخل فى كثير من تفاصيل ذلك الدافع .

عندما كنت أتحرى عن « قضية لافون » وهى المتعلقة بتفجير المركز الثقافى الأمريكى فى القاهرة وكذا المسرح البريطانى عام ١٩٥٤ .. وبعد كثير من الجهد استطعت أن أقتفى أثر قائد جماعة المخربين الذين كانوا فى مصر فى ذلك الوقت .. وكان هذا القائد أهم واحد فيهم وقد استطاع الخروج من مصر واسمه « عبرى العاد » وهو الآن رجل أعمال متقاعد يعيش فى كاليفورنيا .

كانت « الكابال » (تلك العصبة أو الحلقة العتيقة من كبار الإسرائيليين المتضامنين مثل دايان وبيريز وبن جوريون ـ الذى كان متقاعدا فى ذلك الوقت ـ) كانت هذه العصبة تعقد اجتماعات أسبوعية فى « سديبوكير » ـ المقر الريفى لبن جوريون ـ لتدارس التطورات العسكرية والأمنية والسياسية وكانوا على قناعة كافية بأهمية الاتصالات المباشرة التى جرت فى صيف ١٩٥٤ والمفترض أن أنباءها كانت تصلهم عن طريق جدعون رافائيل .

ويبدو أن اقتناع هذه المجموعة بأهمية الاتصالات الجارية قد نقله مودايين ضابط المخابرات العسكرية إلى « عبرى العاد » وهو يلخص له مهمته معتبرا أن هذا الموقف يعتبر دافعا أساسيا بتنفيذ العملية .. عملية لافون .

وكما قلت فى كتابى .. فإننى لا أعتقد أن هدف العملية كان تخريب العلاقات

المصرية الأمريكية .. المصرية البريطانية .. ذلك أننى أعتقد أن هدفها الأساسى كان التقليل من شأن المباحثات الدائرة بين الأطراف المصرية والإسرائيلية وإثارة حنق الرئيس ناصر.. لإيقاف المحادثات فى لحظة حساسة وحرجة ..

الدكتور حلمى الحديدى : سؤال آخر للمستر جرين قبل حديث المستر مايكل فوت .. السؤال يقول ماهى الدلائل التى لاحظتها على الشعب المصرى أو الظواهر التى أعطتكم فى الولايات المتحدة فكرة إمكانية أن يتخلى الشعب عن عبد الناصر فى تلك الفترة .

مستر ستيفن جرين : لا أظن ـ كما سبق أن أوضحت بصفة عامة ـ بصراحة لا أعتقد أنه كانت الولايات المتحدة بمخابرات متقدمة فى مصر تستطيع أن تنقل إليها معلومات صحيحة عن السياسات الداخلية فى مصر فى ذلك الوقت.. لا أعتقد أنه كان هناك أية استخبارات صحيحة حول السياسات الداخلية فى مصر تصل إلى الولايات المتحدة من سفارتها هنا.. وأظن أن كل ماكنا نعرفه كان يصل إلينا من البريطانيين .. وأعتقد أنه كان هناك ميل للاعتماد على تخمينات البريطانيين الشهيرة والتى كانت تؤكد إمكانية إسقاط الحكومة المصرية فى ذلك الوقت .

وفى وسط الأزمة.. كما هو معلوم.. تم استبدال سفيرنا فى القاهرة بسفير جديد .. ولقد تحدثت إلى كليهما السفير القديم والسفير الجديد .. وفى الحقيقة لم يكن لدى أى منهما أية تقارير أو معلومات يمكن أن تشجع دالاس على أن يتحرك إدراكه للتخلى عن حملته على مصر.. ولست واثقا من أننى أستطيع أن أوافق على أنه كانت هناك حملة على مصر.. ولكننى أعتقد أن الأمريكان مجرد موقف خاطئ ثابت كانت تفسر على أساسه تقريبا كل وقائع العلاقات المصرية الأمريكية .

كذلك لا أعتقد أنهم اتخذوا هذا الموقف على أساس التقارير التى كانت تخرج من سفارتنا بالقاهرة .. وإنى أعتقد أن موقفهم هذا كان مستمدا من البريطانيين .

شكرا ،،،

عبد الناصر .. رمـزا

الدكتور حلمى الحديدى : شكرا للمستر ستيفن .. وقد لاحظت أثناء حديثه أن المستر فوت كان يبتسم ضاحكا .. وأنا أود أن أسأله عن مبعث ابتسامه .

المستر مايكل فوت : غدا سأخبرك .

الدكتور حلمى الحديدى : ولكننا مشوقون للمعرفة ولانستطيع الانتظار للغد .. إذن فأنت تريد الانتظار للغد .. أفلا تريد التعليق على وجهة النظر الأمريكية أو على وجهة النظر السوفيتية وكيف واجهوا الأزمة فى حينها ..

المستر مايكل فوت : سأبقيك على تشوقك حتى يحين موعد كلمتى فى الغد ..

الدكتور حلمى الحديدى : إن إصرارك لشديد .. فى الحقيقة .

تعليق الدكتور إبراهيم صقر : لدى بعض التعليقات منذ جلسة الصباح ، ولن آخذ وقتا كثيرا ، إنى بأفضل تعبير تأميم شركة قناة السويس وليس تأميم قناة السويس وهذا له حكمة ..

أما مسألة أن يكون كلامنا عن شعب مصر عند الحديث عن الأزمة ، ولانلجأ للأشخاص القول بأن عبدالناصر وعبد الناصر.. وإنى فى الحقيقة أحب التركيز على دور الشعب أيضا لأنه مهم قوى دور الشعب المصرى .. وجماهيرية عبد الناصر.. من صفقة الأسلحة إلى التأميم حتى أزمة السويس .. وقد كانت هذه الشعبية فى إحدى ذراها الرهيبة .. وكان الشعب مستعدا لعمل أى شىء .. وطبعا الشعب العربى كان جاهزا من وقت ، من اقتلع القيادات العربية المضادة .. وعمل أثناء كثيرة جدا لم يكن سهلا القيام بها وأنا أنظر أيضا لعبد الناصر كرمز بلاشك وأنه تعبير رمز لأنه تعبير عن مصالح الشعب المصرى والشعب العربى فى كل مكان فى هذه المرحلة . ، ولأنه كان تعبيرا فقد نجح فى تعبئة هذا الشعب العربى وراءه وشكل مشكلة كبرى للقوى صاحبة المصلحة سواء كانت قوى فى الداخل وبلا أساس قوى فى الخارج ، وهذه هى النقطة الأساسية ، والحركة كانت حلقة فى سلسلة متصلة من الحلقات من الصراع بين

الاستعمار وبين حركة من حركات تحرير أصيلة ، تؤثر على المنطقة من حولها ، وتؤثر على ماوراءها حتى فى أفريقيا ، وكانت فى حرب السويس نقطة تحول فى هذه الناحية ، أنا لا أريد الدخول فى كثير من التفاصيل ، وإنما يكفى أن أشير إلى كلام سلوين لويد فى أيام أزمة السويس قال :

« إن أصدقاءنا فى الشرق الأوسط ينظرون إلينا ليروا ماذا نحن فاعلون فإذا تركناه ينفذ بجلده فى هذه العملية فإلى ماذا يكون مصير الشرق الأوسط .

فإما أن نخرجه أو نخرج منه الشعب » .

فعبد الناصر ليس رمزا فقط ، ولكن رمزا له معنى كبير ، وليس لشخصية ، ولابد أن تكون جادين فى هذه المسألة ،

وبعدين قال :

وأحب أن أركز على ماوراء عبد الناصر من معانى فهذا هو مايهم حركة الشعوب ، حركة التحرر من الاستعمار ومواجهة التحديات التى تواجهنا فى مثل هذه الحالات ، هذه مسألة أساسية لأن الاستعمار بيلعب أحيانا لعبة خطيرة جدا ، حيث يستعمل اسم شخص ، ويقول هذا هو أس البلاء ....

« خلصونا منه وبعدين كل حاجة حاتبقى عال » النيويورك تايمز كتبت فى هذه المرحلة بعد سحب معونة السد العالى أن يختار بين عبد الناصر وبين الخبز « وكأن عبد الناصر هو اللى حرمنا من الخبز» مع أن حركته وحركة القوى التى تؤيده كانت معبرة عن الشعب المصرى، غطاه خبزا اكتر مما كان عنده « واللى ماكانش عنده خبز لقى شوية خبز».. لاأريد أنه وجد كل شىء، ولكن وجد الكثير من المكاسب ، التى تدعوه إلى المحافظة عليها ويصر عليها إصرارا شديدا فى مقاومة صلبة لاتلين.. المستر جرين عرض عرضا وأنا أحييه على روحه الموضوعى ، ولكن اتفق مع الأستاذ هيكل اتفاقا شديدا فى أن المسألة ليست مسألة عدم إدراك مضبوط للواقع ، لا .. المسألة أكبر من .. حقيقى كان هناك خطأ فى معرفتهم للأمور.. وكان هناك خطأ فى الحسابات وتقدير الموقف .. من

ناحية السياسة الأمريكية ومن جانب القيادة الأمريكية وصناع القرار الأمريكى .. هذا جزء من المسألة لكن المسألة أكبر من هذا بكثير .. هناك نقطة تعارض فى المصالح .. بين الخط الذى ينشد مصلحة الشعب المصرى ومصلحة الشعب العربى على وجه العموم .. وبين الخط الذى يريد المحافظة على مصالحه الاستعمارية فى المنطقة .. وحتى الذى يريد الحلول محل المصالح الاستعمارية التقليدية زى الاستعمار الأمريكى الجديد .. نكون واضحين كده وبصراحة .

وهنا طبعا باتفق تماما معك أنهم كانوا يحسبون ويتركون ، وقادوا المعركة بعد تأميم القناة ، قادوا الحركة فى مؤتمرات لندن .. ودالاس كان الرأس الكبيرة فى لجنة الخمسة ، لجنة منزيس ، قال بشكل واضح وفى مؤتمر صحفى بعد سحب المرشدين وتكوين جمعية المنتفعين : ستجمع الرسوم .. ولو اتعرض أحد للسفن المارة والتى ترفض دفع الرسوم للهيئة ، فسيستعملون القوة .

ـ يعنى ده تصورى أما فى إدراكى أنا للموقف الشخصى جايز تختلف فيه أو قد ترى أنك توافقنى .. أو أن تصورى أن أمريكا التى قادت المعركة بين إيران وبين القوى صاحبة المصلحة فى معركة التأميم من ٥١ إلى ٥٣ .. ولم يكن لها أى كسب قبل هذا .. أو أى دور فى إيران من ناحية البترول .. قد خرجت بأربعين فى المائة من الامتياز .

والذى يدرس قرارات مؤتمر لندن سيرى ـ أن العملية كانت محاولة من الولايات المتحدة ، أن تنتهز هذه الفرصة وتقود الدول الغربية فى معركة ضد كل من يرفع رأسه فى هذه المنطقة ويقول حقوق الشعب .. وتضرب باختيارها وبقيادتها وفى الوقت الذى يناسبها وبالطريقة اللى تحقق لها المكسب .

وفى مؤتمر لندن كانت أمريكا هناك ، ودورها واضح .. وقد حللت أنا هذا فى تقرير سرى أيامها .. وبينت كيف أنها تفوز بنصيب . الغنائم التى ستنتجم فى حركة التأميم ونجاحها .

وهنا يمكن أشير إلى نقطة الاتصالات .. أنا الحقيقة لست حساسا لحكاية الاتصالات دفاعنا أحيانا عن مواقف عبد الناصر الفذة والبطولية .. يجعلنا حساسين فى هذه الاتصالات .

ليس المهم الاتصال بالعدد ، ولكن المهم ماغرض هذا الاتصال ، لماذا ؟ ولأى غاية ؟ المهم أن تكون هناك الرؤية الواضحة والاستراتيجية الواعية والتكتيك السليم .. وعبد الناصر .. من هذه الناحية لايعتبر شكلا آخر وبالنسبة حاجة الأخ الذى قال يمكن الانتظار حتى ينتهى عقد قناة السويس ، وإنى أتفق مع الأستاذ هيكل أن هم ورانا ورانا .. وماحدث كان حلقة من سلسلة متصلة الحلقات .. هو بيواجهنى وأنا باضطر أرد .. يتحدانى ويهددنى وأنا باضطر أعالج مشاكلى وألف حوالين العقبات التى يضعها فى طريقى .

الأخ الذى أبدى هذه الملاحظة صباحا لابد أن يعرف أن الصراع كان مستمرا وأنه ظل حتى وفاة عبد الناصر .. وأن وفاة عبد الناصر كانت جزءا من هذا الصراع .. ليكن هذا واضحا .. لأن الصراع استمر ومرة سقطه ومرة قومه .. ومرة غلبه ومرة انتصار .. لكن هو صراع مستمر لأنه إما انتصار وإما تحرر ولم يكن أمام عبد الناصر بديل لمعالجة موقفه .

لما النيويورك تايمز بتقول : على الشعب المصرى أن يختار بين عبد الناصر وبين الخبز .. يعنى حندهسكوا .. لما بيمنع تصدير الغذاء .. لما يجمد الأرصدة ..

لما بيمنع إرسال الأدوية .. لما .. لما .. بنشوف أنه كان ورانا عشان يقتلنا .. ولم يكن أمامنا من بديل إلا المواجهة الحقيقية .

وهنا مهارة عبد الناصر فى الحقيقة .. وأنا بأقول تأميم قناة السويس كان ضربة معلم .. إنه عمل ٣ عناصر أساسية ..

إنه أولا درس الموقف ، بتؤدة أنا شخصيا أنا أذكر أننى ساهمت وكنت شابا صغيرا ، .. كان هناك أساتذة وخبرات كثيرة .. كان فيه حلمى بهجت بدوى وغيره من الناس .

ساهمت فى هذه العملية من أول سنة ١٩٥٥ ولاتدرى .. فهناك دراسة جادة .. فيه توقيت عظيم جدا .. فيه تكتيك .. يعنى بارع غاية البراعة .. التكتيك فى عملية التأميم .. تركهم يمروا دون أن يدفعوا الرسوم .. مقابلته لمنزيس فى هدوء .. مواجهته لمؤتمر لندن بحكمة.. وبعد ذلك حتى فى خطوات الدفاع عن النفس بعد ٢٩ أكتوبر يعالج المسألة بلباقة وحكمة غير عادية وكانت تدل على قيادة عبقرية لامثيل لها نجحت مش فى تعبئة الشعب من قبلها ولكن زادت فى تعبئة الشعب بعد حركة التأميم ثم بعد قيام حرب السويس.

فهنا هو ويمكن الأستاذ فايق أشار لبعض البلاد الأفريقية بقى بعضهم عايز يؤمم زى ماحصل عندنا . وهو يقول لهم لأاستنى شوية خد وقتك وادرس .. وياما حاجات اندرست وياما حاجات ووجهت وياما حاجات أعد لها اعدادا دقيقا .

قد يخطئ القائد وقد يصيب وأنا لا أقول إن عبد الناصر كان نبيا ولكنى أقول إن عبد الناصر كان قائدا فذا .. أخطأ مرات ولكنه أصاب كثيرا .. وفى هذه المعركة بالذات كان قيادة عبقرية فذة سواء كان فى عملية التأميم أو فى إدارته لحرب السويس على وجه العموم وشكرا .

أيزنهاور غير دالاس

الدكتور حلمى الحديدى : شكرا للدكتور إبراهيم.. أرجو أن.. أعتقد أن السير أنتونى ناتنج ليس لديه الآن أية مشكلة للتعليق على هذا حيث أنه أدلى بكلمته فى الصباح .. ومن ثم فهو لايتعرض لمشكلة المستر مايكل فوت ..

أنتونى ناتنج : السيد الرئيس .. لدى أمرين أريد التحدث عنهما .. بيان المستر ستيفن جرين .. ثم المناظرة التى دارت بينه وبين صديق محمد هيكل ..

وفى البداية أود أن أقول دعونا نحدد بوضوح مسلك دالاس من عبد الناصر .. وأعتقد أن هذه القضية وضحت لى أكثر من أى شخص آخر .. فقد حدث أنى عندما كنت أعد كتابى عن السيرة الذاتية لعبد الناصر أن اتصلت

بيوجين بلاك ـ مدير البنك الدولى ـ لأستفسر منه عن علاقته الشخصية بدالاس وبالطبع سألته أيضا عن اتصالاته التى أجراها فى مصر فأجابنى يوجين بلاك بوضوح لايقبل أى شك .. إن جون فوستر دالاس كان يريد ويتوق إلى التخلص من عبد الناصر بنفس الدرجة من الحدة التى كانت لدى انتونى إيدن .. وكان الاختلاف بين الاثنين : أن جون فوستر دالاس كان يريد الخلاص من عبد الناصر عن طريق الضغط الاقتصادى .. بينما كان إيدن ـ ولأسباب تخصه ـ كان يريد الخلاص منه عن طريق نصر عسكرى ..

ومن ثم فليس هناك أدنى شك عن موقف دالاس فى هذه القضية ..

أما ايزنهاور فقد كان ـ فى اعتقادى ـ له موقف يختلف كل الاختلاف .. فايزنهاور كان إلى أبعد الحدود مجرد رجل بسيط .. بل يمكن أن نقول جندى بسيط .. كان يؤمن بأشياء محددة .. مثلا كان يؤمن بالأمم المتحدة .. ولا أعتقد أن الآخرين كانوا يؤمنون بها ..

وفى اعتقادى أن ايزنهاور حقيقة قد غضب بعنف لهذا الذى حدث فى السويس .. غضب قبل كل شيء للهجوم الإسرائيلى .. ثم ازداد غضبه أكثر للهجوم الانجلوفرنسى الذى أعقب ذلك .. وبالطبع أقصد غضبه للتعتيم الكامل للمعلومات عن هذه النية .. وللخديعة التى جوبهت بها الولايات المتحدة والتى وصلت مداها عندما أرسل سفيره فى اليوم السابق مباشرة على توجيه الانذار البريطانى إلى مصر فكان ردنا عليه أن كل مايعنينا هو ألا تهاجم اسرائيل الأردن .. وكانت الاهانة بالغة للسفير الأمريكى فى لندن عندما علم لأول مرة بالانذار البريطانى عن طريق نبأ عاجل فى الأجهزة الاعلامية .. انهم حتى لم يخطروه قبل إذاعة النبأ .. بما كنا ننوى أن نقوله لطرفى النزاع .. مصر وإسرائيل ..

ومن ثم كانت ثورة الغضب عند ايزنهاور بسبب هذا التجاهل ثم أيضا بسبب أن حلفاءه قد أهدروا ميثاق الأمم المتحدة .. اثنين من حلفائه فعلوا به هذا .. وبسبب هذا كان موقفه القوى الحازم فى الأمم المتحدة .. كان مصمما على

إدانتنا .. وعندما استخدمنا الفيتو لإيقاف فعالية مجلس الأمن .. أصر على عقد جلسة طارئة للجمعية العامة لكى يضع بريطانيا وفرنسا واسرائيل فى قفص الاتهام ..

عد إلينا يا أيزنهاور

وعلينا ألا ننسى أن الرئيس ايزنهاور .. مع كل أخطائه .. وعلى الرغم من كل العجز والفشل الذى أبداه فى فهم كل ما كان يدور فى ذهن الرئيس عبد الناصر.. علينا ألا ننسى أن الرئيس إيزنهاور هو الذى أخرج الإسرائيليين من الأراضى المصرية وأجبرهم على الذهاب .

والله وحده يعلم ماذا كان يمكننا أن نفعل لو أن ايزنهاور كان موجودا معنا فى أحداث عام ١٩٦٧ ..

وأحيانا .. يساورنى الخاطر بأن أقول « عد إلينا يا دوايت دافيد ايزنهاور .. فقد غفرنا لك كل شىء..» ليتنى أستطيع أن أقول لك لأنه من المحزن جدا أن الرؤساء الذين تعاقبوا علينا من بعده كانوا ضالعين مع إسرائيل .. وعلى قمتهم الرئيس الحالى الذى يبدو أنه أكثرهم ارتماء فى أحضانها .. وأكثر وأكثر تقبلا ورضا على أى شىء تفعله إسرائيل.. دونما أى اعتبار لأى حقوق أو قيم ..

إن السياسة السابقة لأيزنهاور فى محاولة الضغط من أجل اتخاذ موقف متوازن بين إسرائيل والدول العربية يبدو أنها ذهبت إلى الأبد.. وبغير رجعة ..

والآن فإن النقطة الثانية التى أريد التعليق عليها .. هى قضية لافون .. فى اعتقادى أنه كان هناك اتصالات بين الرئيس ناصر وموسى شاريت.. ولكن هذه الاتصالات كانت فى مرحلة مبكرة جدا .. أعتقد أن هذا حدث عام ١٩٥٣ .. وقضية لافون لا أعتقد أن لها أى شأن بهذه الاتصالات .

فإن مؤامرة لافون ــ كما أفهم ــ كان القصد منها .. إثارة الشقاق بين بريطانيا ومصر إلى أقصى حد.. وقطع المفاوضات بينهما نهائيا .. إذا كان ممكنا ..

وكان من بين تخطيطاتها تفجير واغتيال الجانب البريطانى فى المفاوضات فيهم أنا شخصيا ومن ثم فإنه لايبدو مستغربا منى أن أنظر إلى هذه المسألة نظرة سوداء .

إن هدف مؤامرة لافون كان وضع حد درامى للمفاوضات المصرية البريطانية والتى كنت أتولاها عندئذ .. وذلك بقصد إحداث صدع فى العلاقات بين بريطانيا ومصر حتى لانواصل التفاوض حول الإدارة المستقبلة لقاعدة قناة السويس على أساس جلاء القوات البريطانية عنها فقد كانت إسرائيل تريد بقاءنا وكانوا مستعدين فى سبيل تحقيق هذا الهدف أن يتخذوا أبشع الوسائل وحشية وان يسلكوا أى سبيل معقول أو غير معقول .. لإنجاز هذه المهمة ..

الدكتور حلمى الحديدى : مستر جرين حيعلق تعليق صغير على السير أنتونى ناتنج .

شاريت والعسكريون

مستر ستيفن جرين : لو لم أكن لحوحا لما وصلت إلى شىء .. ولدى القليل من الادلة ولكننى أعتقد أنها ستنفد لو أن البعض هنا أدلى بشىء مخالف عما قلته .. «عن اتصالات السلام » ..

أما فيما يتعلق بقضية لافون .. فإن ما أعرفه عنها لم أره رأى العين .. كما أنى لا أعرف العبرية ولكن تصورى عنها استمددته من البروفيسور آفى شليم وهو معروف فى الولايات المتحدة الأمريكية ومشهور عنه هناك أنه مؤرخ عسكرى معتدل وهو يعمل الآن فى جامعة ريدنج فى بريطانيا .

كانت عائلة موسى شاريت قد طلبت منه ترجمة مذكرات موسى شاريت . وهو لم يقرر بعد إذا ما كان سيقوم بهذا العمل لأنه مع ثقته بأهمية المذكرات من الناحية التاريخية إلا أنه غير واثق من نجاحها كمشروع للنشر .

ولقد فهمت منه بعد مراجعته لهذه المذكرات أن موشى شاريت على الأقل كان مقتنعا بأن عملية لافون كانت تستهدفه شخصيا .. وكلنا يذكر أنها كانت

عملية غير قانونية لأنها لم تحصل على موافقة اللجنة العسكرية لرئيس الوزراء كما أنها نفذت دون علمه شخصيا بصفته رئيسا للوزراء ..

وكان موسى شاريت مقتنعا بأن ما كان يحاول أن يحققه لم يتحقق بسبب اختلافه مع من أسماهم العسكريين .. وكان فى خلاف حاد معهم بسبب الاغارات التى شنت عبر عديد من الحدود .. ومدى فعالية هذه الاغارات وتناسبها مع الظروف .. ولقد سببت هذه الخلافات توترا شديدا فى العلاقات بينه وبين العسكريين .. ولعلها هى المرة الوحيدة فى تاريخ إسرائيل ـ على حد علمى ـ التى كانت فيها العلاقات متوترة إلى حد بعيد بين قوات الدفاع الإسرائيلية من جانب وهيئة رئاسة الوزراء من جانب آخر .. وكانت أيضا بالطبع المرة الوحيدة إلى وقت قريب التى لايجمع فيها رئيس الوزراء بين منصبه ومنصب وزير الدفاع ..

والآن سأتوقف عن هذا ..

الدكتور حلمى الحديدى : شكرا .. أمامى إعلان يقول إن هناك فيه حفل استقبال الساعة الثامنة فى نادى الجزيرة .

غدا الجلسة تبتدئ فى العاشرة ..

ورغم استعدادى للاستمرار فى الجلسة إلا أن هناك موعدا يجب مراعاته .. أشكر السادة الذين تحدثوا من كلا الجانبين المستر جرين والمستر ديتشينكو على العرض اللى قدموه .. وباشكر المعلقين الأستاذ هيكل .. سير أنتونى ناتنج .. مستر فوت .. والدكتور إبراهيم صقر وكل من تقدم بأسئلة وأعتقد أن هذه فرصة نادرة فقد يعز اللقاء فى وقت قريب لتجمع كل هذا القدر من المعلومات عن فترة من أغنى فترات مصر والتى لم ينته كتابة تاريخها بعد ..

أشكركم والسلام عليكم ورحمة الله ..

الجلسة الثالثة

رئيس الجلسة : محمد حسنين هيكل

القسم الأول : حديث مايكل فوت

حزب العمال البريطاني والعدوان على مصر

كلمة مستر مايكل فوث

« لست أسعى إلى القول ، بأن معارضة حزب العمال ، كانت السبب الوحيد لوقف العدوان ، لأنه لو لم يكن هناك تهديد أمريكى بسحب دعمها للاسترليني ، ولم يكن مسدس أمريكا قد صوب إلى صدغ إيدن ، فإنى أظن أنه كان يمكن أن تستمر الكارثة ، إلى درجة ، وإلى فترة قصيرة. ولكنى أعتقد جازما أنه ما كان ممكنا أن تستمر لفترة طويلة. وليس هناك أدنى شك بالمرة ، أن مقاومة الشعب المصرى لما حدث ، كانت على درجة ساطعة من القوة والعزم ، تحت قيادة رجل أثبت صلابة معدنه لأبناء وطنه ، ولا أشك لحظة أنه مع هذه القيادة ومع هذه المقاومة ، لو أن الحملة استمرت ، لكانت ستنتهى بأسوأ مهانة ومذلة واجهتها بريطانيا فى هذا القرن .

- كلمة « تواطؤ » تعنى أن هناك اتفاقا شريرا ومجرما بين بلدنا والبلاد الأخرى المشتركة فى هذا التواطؤ.
- من أول نطق بكلمة « التواطؤ » ، فى مجلس الوزراء البريطانى قبل العدوان بثلاثة أيام .
- دائما كانت لدينا معارضة بريطانية للمسلك الاستعمارى ..

الجلسة الثالثة

رأس الجلسة الأستاذ محمد حسنين هيكل ..

الأستاذ هيكل: بإذنكم نبدأ الآن الجلسة الثالثة من جلسات هذه الندوة ..

من دواعى اعتزازى أن أتشرف اليوم بأن أقدم لكم شخصية ـ فى اعتقادى ـ من أبرز الشخصيات البريطانية .. هو رجل لم أقابله إلا فى هذه الندوة ولو أنه كان لى الشرف أن أقابل وأن أعرف عن قرب اثنين ممن سبقوه فى رئاسة حزب العمال .. وهما هارولد ويلسون وجيمى كالاهان .. وعرفت مجموعة كبيرة جدا من أصدقائه والمحيطين به ، ومن أقطاب حزب العمال .. لكن هو بالذات لم تسنح لى الفرصة أن أقابله قبل الندوة .. وحقيقة كان من دواعى سعادتى أن أقابله .. فقد كنت أتابع باستمرار تاريخه .. ولفتت نظرى ظاهرة بالغة الأهمية فيه ..

كل واحد منا كما تعرفون له عدة أوجه فى شخصيته .. وحينما يكتب عنه أو حينما يؤرخ عنه أو حينما يعرف عنه .. يعرف بعدد من الوجوه . يعرف بالوجه الظاهر وهو أنه ولد سنة كذا .. ودخل كلية كذا .. وتولى مناصب كذا .. ويعرف بتاريخه الشخصى ..

الجزء الخاص بتاريخه العام والظاهر قاله الأخ عبد المجيد فريد .. الجزء الخاص بتاريخه الشخصى لن أخوض فيه ماذا عمل ومن تزوج .. ومن أحب ..

الجزء الثالث وهو الجزء الأهم وأعتبره الجزء الإنسانى الجزء التاريخى فى الإنسان وهو فكره وموقفه وبمقدار ما يؤثر ويحرك ..

مايكل فوت واحد من الناس الذين أحدثوا تأثير ضخما جدا فى الحياة السياسية فى انجلترا ليس فقط فى حزب العمال ولكن أيضا فيما هو خارج حزب العمال .. لأنه كانت لديه دائما قناعة مبادئه .. وعنده دائما شجاعة إبداء رأيه وفقا لمبادئه .. وكان عنده باستمرار الإيمان بأن الكلمة لها القدرة على الفعل ، وأن الحوار هو أكثر محرك .. الحوار الديموقراطى هو أكثر محرك للحوادث وللناس وللقضايا وللتاريخ .

وبالتالى فأنا أعتبر وجوده معنا شرف كبير جدا ..

لقد حاولنا أمس أن نستدرجه ليتكلم فكان باستمرار يقول : غدا .. غدا .. غدا .. أخيرا نحن أصبحنا غدا ..

مستر مايكل فوت : السيد الرئيس .. أيها الأصدقاء ..

اسمحوا لى قبل كل شىء أن انضم إلى السير أنتونى ناتنج فى شكرنا للجنة المصرية للتضامن وللأصدقاء من أعضاء اللجنة فى لندن الذين تكفلوا بدعوتنا .. كذلك أود أن أعبر عن امتنانى لهذه الضيافة الكريمة التى أحطنا بها .. والتى آمل أنها ستحيط بنا أكثر وأكثر بعد انتهائى من إلقاء كلمتى ..

حقيقة .. أشكركم من أعماق على هذه الدعوة .. وعلى إتاحتكم لى الفرصة لأن أتكلم عن هذا الموضوع وفى هذه المناسبة ..

لقد ألفت كتابا عن السويس ـ مثلما فعل سير أنتونى ـ ولست أحاول الدعاية لكتابى لأنه نفد فعلا من الأسواق .. وهذا أمر يجعلنى مدينا بالاحترام والتقدير لقرائى .. ولحسن تقديرهم .. ولكننى واثق أن كتابى لا يمكن أن يرتفع إلى مستوى المقارنة بكتاب السير أنتونى ناتنج ..

ولكننى على أية حال متأكد من أنه لا السير ناتنج ولا أنا قد استطعنا أن

نبلغ شأو رئيس جلستنا هذه .. عندما رتب الأمور بحيث يكون صدور كتابه متزامنا مع انعقاد هذه الندوة .. وبالطبع فهذا أقصى مايصبو إليه أى مؤلف .. وأنا أرجو أن ينال كتابه أقصى حد من النجاح وأثق أن سير أنتونى يشاركنى هذه التمنيات ..

كذلك أرجو أن تسمحوا لى بتعليق شخصى آخر .. قبل أن أغادر لندن اتصلت تليفونيا بأخى « هيوفوت » والذى قد يعرفه البعض منكم باسم لورد كارادون .. كان بالمستشفى – على وشك الخروج منها – وقلت له إننى ذاهب إلى القاهرة لكى ألقى كلمة عن دورنا فى السويس .. فتمنى لى التوفيق وقال لعلها تكون ندوة موفقة ..

أحكى لكم هذا لأننى وأنا هنا الآن أشعر على نحو ما بأننى أنوب عنه .. ذلك أن أول لقاء لى بهذا الجزء من العالم كان عام ١٩٣٣ عندما ذهبت إلى « نابلس » فى فلسطين – كما كانت تسمى آنذاك – حيث كان أخى يتولى أول مهامه فى الإدارة القديمة للانتداب على فلسطين .. وتعرفت لأول مرة على هذا الجزء من العالم عندما أخذونى إلى مدينة نابلس العربية .. ثم بعد ذلك بقليل إلى مدينة القدس العربية .. وبالطبع كان تعرفى على مشاكل المنطقة متأثرا بانطباعاتى فى تلك الفترة وبالتالى مختلفا عن مفهوم الآخرين عنها ..

وأستأذنكم فى أن أنقل إليكم مع تمنياتى تمنيات التوفيق فى مهمتكم من أخى الذى أثق فى أنه قد فعل منذ ذلك الحين كل ما بوسعه لمحاولة المساهمة فى إيجاد سلام مشرف وعادل فى الشرق الأوسط ..

والآن .. وقبل أن أبدأ المحاضرة المفروض أن ألقيها أمامكم أود أن أشير إلى دور حزب العمال ..

لقد كانت هناك فى بريطانيا خلال أعوام طويلة مضت تقاليد توارثتها الأجيال المتعاقبة .. وتمسك بها أناس وأحزاب رأوا عن عقيدة أنهم ملتزمون بالوقوف فى وجه المسلك الاستعمارى .. وهذه العقيدة عقيدة قديمة فى الحقيقة

وإن كان قد برز دورها فى عام ١٩٥٦ .. ولكنها تمتد إلى ماقبل ذلك بسنين طويلة .. وسأعود إلى الكلام عنها بعد لحظة .. لأشير إلى مايجرى اليوم فى عصرنا الراهن .. وأذكركم بأنه فى لندن هذه الأيام أو فى الأيام القليلة الأخيرة هناك أيضا بعض الاحتفال بذكرى عام ١٩٥٦ .. أو على الأقل محاولة استذكار ما حدث فى ذلك العام ..

ومن بين هذا أوردت صحيفة الصنداى تلجراف فى الأسبوع الماضى مقالا للسير جوليان إمرى .. ولا أنوى أن أضيع وقتى الثمين هنا فى الدخول فى مجادلات وخلافات قديمة وطويلة مع السير جوليان إمرى .. إذ لا أظن أن هذه محاولة مجدية .. ولكننى أظن أن الأمر يستحق أن أشد انتباهكم إلى الذى مازال البعض يردده حتى يومنا هذا حول مثل هذه القضايا .. وإن كانوا قلة قليلة ..

مقال الصنداى تلجراف كان بعنوان « السويس : ووترلو أوربا » وحيث أن هناك إشارة جزئية فى المقال إلى الفرنسيين .. فإنى أعتقد أنه ربما كان من الحماقة أن يشير السير جوليان إمرى إلى « ووترلو » .. لأن لمعركة ووترلو خصائص مختلفة عند الفرنسيين عن تلك التى لها عند الانجليز .. إلا إذا كان السير جوليان أمرى قد اكتشف لتوه .. وبمفرده .. أمرا لم يكتشفه أحد من قبل .. وهو أنه كان هناك تواطؤ بين فرنسا وانجلترا المتحاربين فى ذلك الوقت .. وكلمة تواطؤ هى أقصى كلمة أستطيع أن اختارها لتكون فى حدود اللياقة والأدب !

وعلى أية حال فإنه اختتم مقاله بنتيجة لا أجد أشد منها غرابة وإثارة للدهشة .. فهو يصف أزمة السويس ١٩٥٦ برمتها .. وما قادت إليه .. والنتائج التى ترتبت عليها من وجهة نظره .. فينسب كل المصائب والأحداث التى وقعت بعدها .. لا فى أفريقيا وحدها ولكن فى أوربا والعالم كله على اتساعه .. ينسب كل هذا إلى فشل الحملة العسكرية التى شنت عام ١٩٥٦ .. والتى كان السير جوليان إمرى من غلاة مؤيديها والمتحمسين لها ..

وأصدقكم القول أن ما أقوله عن مقال الصنداى تلجراف .. وخاتمته .. ليس من ضرب الخيال أو التشهير .. فالمقال معى الآن .. وأقرأ لكم منه خاتمته التى وصل إليها كنتيجة !

«إن حربين عالميتين قد أضعفا بالفعل تأثير الدور الأوربى فى العالم بصورة محزنة .. ثم جاءت هزيمة بريطانيا وفرنسا فى السويس أمام الولايات المتحدة لتضع أخيرا خاتمة لدور أوربا كحكم وكوسيط فى المسائل الدولية ..

إنها بالفعل ووترلو أوربا ! ! .. »

« ووترلو أوربا ! ؟ » جملة عجيبة بالفعل .. وليس هناك أية إشارة على الإطلاق لوجود أى شىء آخر حتى إلى مصر نفسها على الرغم من أننى أعتقد أن المؤامرة قد جرت على أرضكم .. وما من إشارة إلى أى وجود لأى تدخل آخر ..

وصحيح أننا ناقشنا بالأمس وأشرنا إلى دور الولايات المتحدة الأمريكية وأهميته .. ولكن إغفال الأمر كله وتحجيم أمر الحملة الانجلو فرنسية إلى مجرد صراع بين بريطانيا وفرنسا فى جانب والولايات المتحدة فى الجانب الآخر .. والخروج من ذلك بأن هذا الفعل كان بقصد تخريب النفوذ الأوربى عبر أفريقيا وعبر العالم كله .. أعتقد أن هذا بالفعل نوع من العجرفة الغبية .. ولكنه يبين بوضوح أن هذه النوعية من الأفكار يمكن أن تبقى فى بعض الأذهان حتى من بعد النتائج المأساوية الحقيقية لواقعة ١٩٥٦ .

والآن أعود إلى تلك النوعية الأخرى .. تلك التقاليد المغايرة فى السياسة البريطانية وفى التاريخ البريطانى .. لأنه كان هناك بالفعل ومنذ زمن مبكر تقاليد أصيلة .. عندما كانت تقوم حكومات بريطانية من نوعيات مختلفة أو شخصيات أو شعارات ـ بالتورط فى إجراءات استعمارية ـ كما هى موصوفة أو كما يصفها البعض منا ـ فإن هذه الاجراءات لا يقف فى مواجهتها فقط الشعوب التى تتعرض لها سواء فى أفريقيا وآسيا أو أى مكان آخر ـ وإنما كان

هناك على الدوام معارضة لها .. قد لا تكون دائما بنفس القوة .. ولكنها كانت دائما هناك .. معارضة بريطانية تقف فى وجه المسلك الاستعمارى ..

وأعتقد أن هذا التقليد كانت له أهمية كبيرة على مدى تاريخ العالم كله ولم يكن فقط قاصرا على الشعب البريطانى نفسه .. ذلك أنه كان هناك بالطبع فى كثير من الأحيان المعارضة البريطانية للمسلك الاستعمارى التى أدت فى النهاية إلى تسويات فى المناطق المتأثرة .. والتى حافظت أيضا فى النهاية بدرجة عالية على سمعة بلادى فى هذا العالم .. وأعتقد أن الفضل فى هذه السمعة يعود بدرجة غير صغيرة إلى مواقف شجاعة وقفتها فى أغلب الأحيان أقليات ضئيلة فى لحظات سيطرت فيها الهستيرية المطلقة .. ولكن المواقف الشجاعة لهذه الأقليات قد أحرزت مكاسب حاسمة .

وحاليا ـ فإن بعض الناس يرجع هذه التقاليد إلى زمن حرب الاستقلال الأمريكية عندما فشل جورج الثالث فى تفهم مايجرى فى العالم الثورى الجديد وسعى إلى استمرار فرض السيطرة البريطانية أو السيطرة الإنجليزية كما كانت عندئذ ـ على الولايات الأمريكية حديثة الثورة .. فى تلكم الأيام نبتت تلك التقاليد التى أحكى عنها .. فأرسيت أسسها وملامحها فى تلك الخطب المشهورة التى ألقاها أدموند بيرك وتشارلز جيمس موكس وبرنسيلى شاريدون فى مجلس العموم البريطانى فى ذلك الوقت ووضعوا الأطر الأساسية لمعارضة المسلك الاستعمارى .. ومن بعد ذلك على الدوام .. كانت هناك دائما مجموعات متعاقبة فى مجلس العموم تحاول الاستمساك بهذه التقاليد عندما ينفلت عيار المتطرفين .. وأعتقد أن سير أنتونى ناتنج يعرف الأسماء أكثر من أى شخص آخر من الحاضرين .. كيف كان الامتحان عسيرا فى مجلس العموم الإنجليزى فى ذلك الوقت .. كل منهم كان ينظر وراءه إلى تلك التقاليد .. ينظر وراءه ليستمد الإلهام الرائع لكى يعمق هذه التقاليد ويضيف وبالفعل حدث ..

وأعتقد أن أول سجل كامل للمعارضة الإنجليزية للاستعمار لم يرد فى اللغة

الإنجليزية بمثل الروعة التى قدمها جوناثان سويفت فى كتاباته عن « رحلات جاليفر » .

كتب جوناثان سويفت كتابه « جليفر » من خلال رحلاته فى ايرلندا فى دبلن عندما شاهد ما كان يفرض قسرا على الشعب هناك .. وجزء كبير من هذا الكتاب كان مكرسا لتعرية ما يمكن للاستعمار أن يفعله بشكل أو بشكل آخر .

ولست أقول إن كل صبى قرأ « رحلات جاليفر » قد استطاع لأول وهلة أن يصل إلى عمق ما يقرأه .. ولكننى أعتقد أنه من الضرورى ومن المجدى أن يقدم إلى كل وزير بريطانى .. بمجرد أن يتولى منصب فى بريطانيا .. نسخة من رحلات « جاليفر » وأن يكلف رسميا بقراءتها قراءة متعمقة قبل أن يباشر أى شىء من مهام منصبه .. ذلك أننى أعتقد أنه كان يمكننا أن نتجنب كثيرا من الأحداث المؤسفة فى تاريخنا بما فيها أزمة ١٩٥٦ ..

ومع ذلك فإن التقاليد التى تحدثت عنها استمرت .. بل ودعمت .. وقد دعمت إبان غزو مصر عام ١٨٨٢ .. لقد قرأت قصة الغزو البريطانى لمصر عام ١٨٨٢ .. عندما كنت أعد كتابى الذى أعلنت عنه اليوم .. وتستطيعون أن تروا أننى تناولت فيه أمر ذلك الغزو .. وعندما بدأت رحلتى للقاهرة منذ أربعة أيام أعدت قراءة قصة هذا العدوان .. وكرجل انجليزى .. فأنا لا أستطيع أن أقرأه دون أن أتميز غيظا وغضبا .. فإن قراءته لابد وأن يصاحبها شعور متزايد بالغضب مما حدث .. ولكن قد يكون من العزاء لى كانجليزى .. أنه قامت فى انجلترا فى ذلك الوقت أقوى وأعنف معارضة لما حدث .. وما حدث بالطبع هو أن الانسحاب التدريجى للقوى الأوربية والانسحاب النهائى لفرنسا ترك بريطانيا وحدها لمواجهة الفوضى المتزايدة فى مصر .. مزيج جنونى من الصراعات والدوافع والأحداث : التزامات أخلاقية .. مصالح مادية .. قناة السويس .. سندات الدين المصرى .. حركة عرابى الوطنية .. ثم مذابح ١١ يونيو ١٨٨٢ .. كل هذه التفاعلات التى بلغت ذروتها بضرب الأسطول

البريطانى لمدينة الإسكندرية بالقنابل .. ثم استقالة الراحل مستر برايت من الوزارة احتجاجا .. ومع ذلك تأخذ النشوة مجلس العموم البريطانى فيندفع فى حماس مهللا للأنباء .. فقط ثمانية من أعضائه .. راديكاليون متطرفون .. التزموا بمبادئهم ومن ورائهم قلة صغيرة أيدتهم فى البداية .. ولكن الثمانية ظلوا على معارضتهم للنهاية .. واحد بينهم كان اللورد راندولف تشرشل .. اللورد راندولف تشرشل عارض عملية ١٨٨٢ ضد مصر .. عارضها برمتها .. ونٰدد بالعدوان وأدانه .. وكانت هذه الحرب فى نظره حربا دنيئة .. شريرة وغير عادلة .. وأسماها حرب حملة السندات .

وكما شعر تكلم بكل ما يحس به .. ورغم أن المدافع ظلت تهدر نيرانها .. فإن الحقيقة تبقى .. إن مثل هذا الاحتجاج الذى ارتفع وسجل فى مجلس العموم .. أدى فى بعض الأحيان إلى تطورات مختلفة فى تاريخنا .. تاريخ مصر وتاريخ بريطانيا .

إن مثل هذه المواقف هى التى عبدت الطريق أمام أصحاب المبادئ ليسيروا على نفس النهج .. هذه النخبة الشجاعة التى استمدت دورها من أولئك الذين وقفوا هذا الموقف فى مجلس العموم عام ١٨٨٢ .. لعبوا نفس الدور الذى لعبه أنتونى ناتنج عام ١٩٥٦ .

وفى يونيو ١٨٨٢ .. والغزو البريطانى مستمر على مصر .. ارتفع هنا صوت آخر .. هذا الرجل الانجليزى الذى عرف القاهرة .. عرف مصر أكثر من أى شخص آخر .. وكتب كلمته الرائعة عقب افتتاح القنال بأشهر قليلة .. وكانت البداية الكاملة لكل عمليات السويس .. وإنى لفخور بأن هذه الكلمات كتبها رجل انجليزى .. بل إنه كان من أوائل الناس الذين كانت لديهم الحمية والأمانة ليؤمنوا بمثل ما قاله .. قال « إن قناة السويس لا يمكن أن تكون فى أمان محمية ومكفولة لخدمة بريطانيا ولخدمة باقى دول العالم إلا إذا اعترف بالشعب المصرى عضوا فى المجتمع الدولى .. »

جاء هذا القول عام ١٨٨٢ .. ولو أن هذه السياسة كانت قد اتبعت .. لتغير وجه التاريخ كلية .. ولكم كان يصبح تاريخا سعيدا مشرفا .

ولكن كما قلت .. فإنه يشرف أى رجل إنجليزى أن مثل هذه الأقوال قد كتبت وقيلت فى الوقت الذى كانت تقذف فيه مدينة الإسكندرية بالقنابل ..

وهكذا سارت الأمور حتى وصلت إلى عام ١٩٥٦ .. كانت هناك هذه التقاليد فى مواجهة التصرفات العدوانية .. كانت هذه التقاليد هناك بالطبع .. وخاصة فى الجانب العمالى .. ولست أقول إن هذه التقاليد قد وضعت موضع التنفيذ كاملة وعلى الفور .. وأنا أذكر المناقشات الحيوية الحادة .. كان الجدل قد احتدم بين سائر الأجنحة فى حزبنا .. الأمر الذى كان كثيرا مايحدث .. وربما كان مثله يحدث أيضا فى بعض الأحزاب الأخرى .. ولذلك كان من الضرورى أن يحترم حق التعبير عن الرأى بحرية داخل الأحزاب والتجارب علمتنا أنه فى داخل الحزب ربما تحولت الأقلية اليوم إلى أغلبية غدا إذا ما استطاعت أن تقنع الآخرين برأيها .. وذلك قد حدث حتى فى البرلمان البريطانى نفسه .

ولكن لم يحدث فى تاريخنا كله .. أو على الأقل فى تاريخنا الحديث أن كنا فى حاجة لتوكيد حرية الرأى والتعبير والمحافظة عليهما سواء داخل البرلمان أو داخل حزب العمال بقدر ماكانت عليه عام ١٩٥٦ .. لأنه فى نهاية الأمر -كنتيجة لهذا الجدل الحر المحتدم فى برلماننا وفى وطننا وفى صحافتنا- وقفت معظم الصحف فى صف هذا الهجوم .. ولكن فى نفس الوقت اتخذت بعض الصحف بشرف وشجاعة جانب المؤازرة للهدف الرسمى وللتقاليد التى تحدثت عنها .

ولا أتصور أن هناك أى اعتراض إذا ما قلت إن تلك المناقشات التى جرت فى البرلمان فى ذلك الوقت تعتبر أصرح وأوضح المواقف على الاطلاق فى البرلمان البريطانى منذ عام ١٩٤٥ بل منذ عام ١٩٤٠ .

فى عام ١٩٤٠ استمد البرلمان البريطانى الحق فى إسقاط الحكومة .. لأننا عملنا على طرد حكومة كادت تقودنا إلى الخراب .. ووضعنا بدلا منها حكومة ونستون تشرشل التى قادتنا فى النهاية إلى النصر.. فإذا لم تكن هذه القدرة قد توفرت للبرلمان ماكنا أبدا قد استطعنا أن نحدث ذلك التغيير فى مثل تلك الآونة الحرجة .. عام ١٩٥٦ .

ورغم أن التغيير لم يحدث بالحسم والعمق الذى كان يريده حزب العمال .. ولكن على الأقل المعارضة التى قادها حزب العمال داخل البرلمان وخارجه قد أثمرت .. ذلك أننا قررنا أن المسألة كانت من الخطورة بحيث كان يجب ألا تترك بالطبع محصورة فى يد البرلمان وإنما كان واجبا أن تطرح على الرأى العام على اتساعه ..

وبعد أيام .. فى يوم الأحد التالى للغزو.. خرجت مظاهرات عارمة وهائلة فى ميدان الطرف الأغر.. خطب فيها أنورين بيفان بين خطباء آخرين .. كانت مظاهرات ضخمة هائلة كشفت عن مدى عمق المعارضة للغزو.. وأعتقد أنه كان لها بعض الأثر.. ولست أدعى أنها كانت العامل الوحيد فى وقف العدوان .. بالطبع لم تكن كذلك .. ولكنها كانت واحدا من العوامل .

هذه المظاهرات التى عبرت بعنف عن المعارضة فى بريطانيا لكل ما حدث .. كانت واحدة من العوامل التى فى خلال فترة قصيرة من الوقت استطاعت أن تضع حدا للحملة المشئومة .. وتنهيها .

ولست أسعى للقول بأن المعارضة كانت السبب الوحيد لوقف العدوان .. لأنه لو لم يكن تهديد أمريكا بسحب دعمها للاسترلينى .. ولو لم يكن مسدس ايزنهاور قد صوب إلى صدغ إيدن.. وعلى صدغ ماكميلان.. فإنى أظن أن الكارثة كان ممكنا أن تستمر الكارثة إلى درجة ما ولفترة قصيرة .. ولكننى لا أعتقد جازما أنها ماكان ممكنا لها أن تستمر لفترة أطول بأى حال من الأحوال .. لأنه ليس هناك أدنى شك بالمرة فى أن مقاومة الشعب المصرى لما

حدث كانت درجة ساحقة من القوة ومن العزم .. تحت قيادة رجل أثبت صلابة معدنه لأبناء وطنه .. ولا أشك لحظة أنه هذه القيادة وهذه المقاومة .. أنه لو أن الحملة قد استمرت لكانت ستنتهى بأسوأ مهانة ومذلة واجهتها بريطانيا فى هذا القرن .

وأستطيع أن أقول إن الاجراءات التى اتخذت لإجبار بريطانيا على وقف العدوان كانت حصيلتها فى النهاية إنقاذ سمعتنا وإنقاذ موقفنا .. هذه الإجراءات التى اتخذت فى اللحظات الأخيرة .. فاستطاعت أن توقف الكارثة من أن تتطور من سيئ إلى أسوأ .. وأن تحول دون وقوع ما كان على وشك أن يقع .

وإنى لسعيد بأن أقول .. إن التسويات التى جرت بين بلدينا على النحو الذى جرت به ـ ما كان ممكنا أن تتم على أية صورة من الصور وفى مواجهة التعقيدات المتصاعدة .. لو أن المغامرة استمرت .. وتواصل العدوان حتى وصل إلى مرحلة الاحتلال .

وأعلم أن هناك مناقشات جرت بالأمس .. وقد وعدت بأن أعلق اليوم حول بعض ما دار فيها وخاصة مسألة الضغوط التى تداخلت فى الموقف وكشف الستار عنها مؤخرا .

وبالطبع .. كلنا نعلم أن الاتحاد السوفيتى قد وجه تهديدات إلى الحكومة البريطانية فى ذلك الوقت .. كذلك أشار البعض أمس إلى بعض العوامل التى أعتقد أنها كانت سببا لانهيار الغزو.. ولكننى أعتقد أن مقاومة الشعب البريطانى .. عفوا .. بل مقاومة الشعب المصرى بالدرجة الأولى .. ثم مقاومة الشعب البريطانى .. بالإضافة إلى حزم الإدارة الأمريكية .. كانت العوامل الرئيسية لوقف العدوان ..

ولكننى لا أنكر بالطبع أهمية الإجراءات التى اتخذتها الحكومة السوفيتية وبخاصة على ضوء ما كان يجرى فى نفس الوقت فى مكان آخر .. فى أوربا ..

وأيا كانت طبيعة الدور الذى لعبه الاتحاد السوفيتى .. فإن أهمية هذا الدور

هى أنه أكد إلى أى مدى تسبب التصرف البريطانى فى السويس فى ضياع فرصة أوربا وسائر بلدان العالم فى التركيز على الأحداث التى جرت فى وسط أوربا .. ومواجهة التهديد الذى أصبح قائما بعد أحداث بولندا والمجر .. لأننى أعتقد أنه لو لم تدمر الحكومة البريطانية نفسها بعملية الغزو .. وأنه لو لم يتمكن ذلك الغرور الطائش من أن يستحوذ على قادة الحكومة البريطانية فى الأسابيع الأخيرة السابقة على الغزو .. لو لم يكن هذا قد حدث .. إذن لكان المأمول عندئذ أن تتجه الحكومة البريطانية بفكرها واهتمامها إلى مشاكل أوربا الوسطى .. لو أن هذا قد حدث .. إذن لأمكن لأوربا أن تعيش لحظات من الانفراج السياسى .. وكم هى عزيزة ونادرة لحظات الانفراج السياسى فى أوربا .. بحيث كان يجب أن نتشبث بها كلما أتيحت .

وفى سنة ١٩٥٦ كانت هناك بوادر ورغبة فى تحقيق انفراج سياسى فى أوربا .. وإن كانت قد عرقلتها جزئيا بعض الأحداث مثل التى جرت فى بولندا .. وتلك التى كانت على وشك أن تحدث فى المجر .. وكلنا يعلم أن الزعيم السوفيتى سكرتير عام الحزب هناك قد أظهر فى مناسبات عديدة استعداده لتحقيق ذلك الانفراج .. وتكرر منه ذلك مرات عدة الأمر الذى كان يجب معه عدم إهمال هذه البادرة على الرغم من إدانتنا لتصرف الاتحاد السوفيتى فى المجر.

ولكننى أحيانا أتصور أن التدخل الروسى .. أو الإجراءات الروسية .. أو المذكرات الروسية قد أسىء فهمها ولم تقدر حق قدرها .. وخاصة أن هذه المذكرات لم تسلم للحكومة البريطانية بطريقة علنية .. لم يسع السوفييت إلى اتخاذها مادة للاستعراض الدعائى والبروباجاندا .. فى سبتمبر .. قبل غزو مصر بشهر أو أكثر .. سلمت الرسائل السوفييتية بالطرق الرسمية فى سرية لم يعلن عنها .. ولم يكن من عادة السوفييت فى الأمور التى يبغون من ورائها الدعاية أن يتبادلوها مع الآخرين بهذه السرية .. وهذا يؤكد أن رسائلهم للحكومة البريطانية

كانت على درجة عالية من الجدية ولم تكن ضربا من الدعاية .. وتتابعت المذكرات من جانبهم وأستطيع أن أؤكد أن المذكرة الأخيرة كانت تحمل تحذيرا صريحا .. تحذيرا من العواقب الوخيمة التى قد تنتج إذا مانفذت بريطانيا عزمها .. وأعتقد أن هذا يضيف إدانة جديدة للحكومة البريطانية ويسجل عليها أنها قامت بالعدوان وهى تعلم تمام العلم أن هناك تحذيرا بل إنذارا صادرا إليها من واحدة من القوتين الأعظم .. بأنهم إذا مامضوا قدما فى تنفيذ خطتهم فإن النتائج ستكون خطيرة .

إن كل شعب من الشعوب له الحق فى أن يعتز بكرامته وأن يكون حساسا فى كل ما يتعلق بهذه الكرامة .. والشعب البريطانى كغيره له كرامته ولديه الحساسية فى كل ما يتعلق بها بدرجة شديدة .. وماكنت فى حاجة لأن أقول ذلك ولكنى فقط أردت أن أؤكد طبيعة هذا الشعب ثم أصور الحالة التى كنا فيها .. فمن خلال كارثة السويس .. أحس الشعب البريطانى بأنها كانت لحظة خزى وإذلال .. وعم هذا الشعور الأمة البريطانية بأكملها .. وشمل البرلمان الذى وافق من قبل على شن هذه الحملة .. وكذلك الحكومة البريطانية التى أوقعت البلاد فى هذه الورطة .. كلنا بأكملنا شعرنا بالأسى والإحباط .. ولكن فى نفس الوقت كانت هناك العزة الوطنية أيضا .. والحساسية لكرامة هذا البلد .. فإذا جاء البعض وحاول أن يبحث عن مسببات ونتائج هذه الكارثة بالنسبة لبريطانيا .. بل بالنسبة لأوربا والعالم كله .. فإن عليه أن يدخل فى حسبانه كافة العوامل المتزامنة معها .

ولقد كان بيان أنورين بيفان أمام مجلس العموم البريطانى بمثابة تصوره الخاص لهذه المأساة برمتها من الأسباب إلى النتائج .. ولقد فعل ذلك بجدارة رجل الدولة المحنك المتمرس الذى يشعر بمسئولية ووطأة اللحظة التاريخية التى تمر بها البلاد .. وأذكركم بأنه كان يواجه فى تلك اللحظة مجلسا للعموم مفعم بالمرارة والألم .. يتأجج بين أغلبيته الساحقة مشاعر الغيظ والغضب ضد حزب العمال وضد الأسلوب الذى سلكه المتحدثون باسمه خلال الأسابيع الماضية .. رغم أن موقف هؤلاء العماليين كان موقفا مشرفا ولم يكن هناك مندوحة

من اتخاذه.. ومع ذلك كانت جماعة الأغلبية فى المجلس مغيظة محنقة على هذا الموقف.. مثقلة بالهزيمة التى لحقت بها.. والكل محزون فى أسى لما حاق ببريطانيا نتيجة هذه المغامرة الطائشة.. فى هذا الجو.. وفى هذه الظروف.. كان من الضرورى أن يقال شىء.. لابد أن يقال شىء يجعلنا نفهم ما حدث.. وهذا ما فعله أنورين بيفان.

وأستأذنكم فى دقيقتين أتلو عليكم فيها ما قاله أمام معارضيه :

«الأعضاء الموقرون

خلال الأسابيع الأخيرة.. استسلم البعض لشعور الهزيمة وتصوروا أنهم وصلوا إلى حتف مجدهم.. ويرددون بأن انجلترا قد أصبحت دولة من الدرجة الثانية. وأننا أظهرنا للعالم بكل وضوح تصرفنا غير المجدى فى السويس أن الشعلة قد انتقلت من أيدينا إلى أيدى غيرنا.. وأننا يجب أن نعتبر أنفسنا من الآن قوة من الدرجة الثانية وأن علينا أن نحتمى بحائط من حائطنا..»

«أنا لست من هذا الرأى.. ولن أتقبل فكرة أن بريطانيا العظمى قد أصبحت قوة من الدرجة الثانية.. بل على العكس من ذلك فأنا أرى أن هذا البلد قد اختزن كما هائلا من الخبرة المركزة وحصيلة من التجارب والمعرفة لم يتيسر مثلها لأى بلد فى هذا العالم.

قد أكون مخطئا.. وقد تكون للحقائق فيها كثير من الذاتية ولكننى أرفض بتاتا فكرة أن مايسمى « بانقراض الإمبراطورية البريطانية » يستوجب بالضرورة قيام امبراطورية أخرى.. وإننا وقد أصبحنا قوة من الدرجة الثانية علينا إذن أن نتنازل صاغرين عن إراداتنا وأن نكون توابع للقوى ذات الدرجة الأولى.. هذا قول فارغ من الحقيقة.. عار عن الصحة.. لأنه فى حقيقة الأمر ليس فى عالمنا هذا قوى عظمى.. وإنما فقط هناك مكبوتة محيرة..

نحن لسنا فى عصر تتصارع فيه الامبراطوريات القوية حول بقاع من

الأرض .. وتسعى إلى وراثة تلك التى استطاعت أن تهزمها وتفنيها .. هذا غير حقيقى .. وغير صحيح ..

القوى العظمى لعالم اليوم عندما تنظر إلى ترسانات الأسلحة التى شيدتها فإنه ينتابها شعور العجز والإحباط والحيرة .. فإذا كانت الحالة هكذا .. فما جدوى الحديث عن قوى من الدرجة الأولى أو قوى من الدرجة الثانية .. أو الثالثة ..

من المؤكد أن هذه لغة خاطئة ومن الخطأ استخدامها للتعامل لأنها لا تتفق مع روح حقائق العصر الراهن ..

إن ما علينا أن نبحث عنه ونهتدى إليه هو أن نكتشف ريادة جديدة للوصول إلى العظمة والقوة .. أن نبتكر أساليب جديدة الفكر .. وسائل جديدة للإلهام ولإعلاء كرامة الفكر الإنسانى .. ونحن قادرون على أن نفعل ذلك » ..

كانت هذه كلمات انورين بيفان يوجهها إلى مجلس عموم يعاديه بمرارة .. مجلس عموم لم يألف بعد معانى صراع القوى العظمى .. والسباق من أجل القنبلة الهيدروجينية .. وسباق التسلح النووى .. ولكننى أعتقد أن كلمته كانت أنسب كلمة يمكن أن توجه فى مثل هذه الظروف ..

ولعلها قمة التناقض والسخرية فى مجريات الأحداث أنه عند انسحاب القوات البريطانية من منطقة القناة ــ ليس فى عام ١٩٥٦ بعد الكارثة ــ وإنما عام ١٩٥٤ بموجب الاتفاقية مع مصر فإن ونستون تشرشل قال موجها كلامه إلى المصريين عن هذا الانسحاب قال : «والآن فإن السبب الرئيسى لحدوث ذلك أن اختراع القنبلة الهيدروجينية قد جعل وجود مثل هذه القاعدة بلا قيمة مادية فعالة فى مثل هذا العصر..»

ولم يكن ما قاله ونستون تشرشل صحيحا .. كان فقط جانبا ضئيلا من الحقيقة .. لم يكن من اللائق أن يكون مثل هذا المعنى خاتمة رفقة طالت بين

مصر وبريطانيا.. وكان حريا بسير ونستون تشرشل أن يكون قد تعلم شيئا من أبيه اللورد راندولف تشرشل وموقفه المشرف عند احتلال مصر عام ١٨٨٢ .. وخاصة أن ونستون تشرشل قد أصدر كتابا عن حياة أبيه لابد أنه تابع فيه مواقف الرجل العظيم الراحل ومسيرته السياسية ..

والحقيقة أن ونستون تشرشل كانت له فى حياته لحظات تتميز بالشهامة الرفيعة والنزاهة الأصيلة .. هذا شيء معروف فى بريطانيا .. ولكنه كانت له أيضا لحظات يعمى فيها كلية عن حقائق العصر.. وكان واجبا على ونستون تشرشل بدلا من أن يقول هذه الكلمات التى ودع فيها مرحلة طويلة من الارتباط بين مصر وبريطانيا .. كان واجبا عليه بدلا من ذلك أن يدرس ويتفهم بعمق تاريخ هذا الارتباط الذى طالت مدته بين بريطانيا ومصر.. وأن يتحلى بهذه الشهامة والنزاهة وهو يعلق على اتفاقية الجلاء .

ولكن ـ كما أقول دائما ـ كانت هناك على الدوام تلك اللحظات التى كانت تنتصر فيها فى بلادنا تقاليد من نوعية أخرى .. نوعية مشرفة عادلة وواقعية .. ولقد حاولت أن أصور لكم كيف طبقت هذه التقاليد عام ١٩٥٦ .. وأعتقد أنها كانت واحدة من العوامل التى أستردت شرف بلادى فى النهاية ..

ولكن ليس هناك ما يمكن أن يقال ليمحو نهائيا الجرم الذى حدث .. وإنى لحزين إذ أقول إن أكثر ما كشف عنه مؤخرا من وثائق يضيف مزيدا من الإدانة والتجريم والبشاعة لهذا الذى حدث .. لم تكن كلمة «تواطؤ» كلمة مألوفة من قبل .. ولكنها أصبحت كلمة شائعة فى المناقشات العامة .. أثناء الهجوم على السويس .. وكانت أول مرة ذكرت فيها ـ كما ورد فى الكتاب الذى قرأت فيه عن هذا الموضوع كتاب عن تاريخ حياة أنتونى إيدن ـ كانت هناك إشارة إلى كلمة «التواطؤ» إنها وردت قبل وقوع العدوان بثلاثة أيام فى اجتماع لمجلس الوزراء البريطانى .. ثم ظل الإنكار يلف بها أسابيع طويلة بعد العدوان ..

كانت الواقعة تنكر وتنفى.. ولكن الواقعة كانت حقيقية.. وكان هناك «تواطؤ» وهذه الكلمة تعنى أنه كان هناك اتفاق شرير ومجرم بين بلدنا والبلاد الأخرى المشتركة معها فى هذا التواطؤ..

الجلسة الثالثة

القسم الثانى

مناقشة حول حديث مستر مايكل فوت

شارك فيها :

كيث كايل ـ أنتونى ناتنج ـ سعد الدين إبراهيم ـ طلعت مسلم ـ أحمد عبد الله .

ـ ماذا قال إيدن لأنتونى ناتنج فى المكالمة التليفونية وهو يتعشى فى فندق سافوى . حول خطته للخلاص من عبد الناصر ؟

ـ ماهى الأهداف الخمسة فى التوجيه الاسرائيلى الذى سلمه بن جوريون لدايان فى أكتوبر ١٩٥٥ ؟

ـ رابين قال إن دفة الحرب قد تحولت ضد المهاجمين بقرار الرئيس ناصر بسحب القوات المصرية غرب السويس لحظة وقوع التدخل الانجليزى الفرنسى .

« كايل »

ـ كان فى حزب العمال منذ عام ١٩٤٥ وقبل ذلك ، اتجاه قوى مؤيد لإسرائيل وتقليد مناصر للصهيونية ولكن الحزب بكامل أعضائه وقف ضد العدوان ماعدا واحد أو اثنين .

« فوت »

وإذا لم يكن للشعب البريطانى هذا الحق وهذه القدرة فإننى أشك كثيرا فى أن بريطانيا كان يمكن أن يكون لها تاريخ على الاطلاق .

الجلسة الثالثة : القسم الثانى :

الأستاذ محمد حسنين هيكل : لم تصلنى أسئلة بعد .. وأنا أعرف أننا سنستغرق بعض الوقت لحين استرداد الوعى بعد هذه الجرعة الرائعة .. ومع ذلك أنا مستعد لتلقى أسئلة .

مستر كيث كايل : هل أستطيع أن أتكلم الآن .

الأستاذ هيكل : طبعا .. إذا كان عندك سؤال .. وأنا فى الحقيقة ادخرتك لشىء آخر .. وكنت سأحتفظ بك للمفاجأة .. لكن .. ليكن .

ربما يعرف البعض من حضراتكم أنه فى نفس الوقت الذى كنا بنتناقش فيه فى الثلاثة أيام الماضية ، كانت هناك ندوة فى إسرائيل عن نفس الموضوع .. برضه تتناقش أيضا فى موضوع السويس وكان مشتركا فيها اسحق رابين .. وزير الدفاع حيث تحدث كثيرا .. ومستر كيث كايل من شاتهام هاوس الذى تعرفونه ، وبعضنا قرأ له ، كان موجودا هناك وكان مشاركا فى الندوة .. وفيما بعد ذلك سألنى عما إذا كان يمكن أن يحضر ندوتنا ، ليستكمل الصورة ، بمعنى أنه قد حضر الندوة الأخرى على الجانب الآخر .. ويبقى حاضر اليوم معنا فى هذه الناحية .. وقد رددت عليه بالايجاب ، لكن فى مقابل شىء .. هو أننا نريد أن تكون لدينا فكرة عما قيل هناك .. هذه هى المفاجأة التى كنت أخفيها .. لكن بما أنه يريد الكلام ...

الميول الصهيونية فى حزب العمال

مستر كيث كايل : كنت أود أن أسال المستر مايكل فوت عما إذا كان يستطيع أن يقول لنا شيئا عن الغموض أو الالتباس فى موقف واتجاه حزب العمال البريطانى بما فى ذلك الجناح اليسارى من الحزب .. فى هذا التأرجح حيال الأحداث التى وقعت بعد الاستيلاء على شركة قناة السويس .. هذا الغموض الذى نشأ من ناحية بسبب الميول الصهيونية داخل حزب العمال .. هذا التقليد الذى قاد الحزب إلى موقف صهيونى متطرف فى بيانه الانتخابى الذى أعلن عام ١٩٤٥ .. ولقد لمست بنفسى بصفة خاصة فى التعليقات المبكرة التى صدرت عن أنورين بيفان عن أزمة السويس والتى خصص لها فى ذلك الوقت عاموده الأسبوعى فى صحيفة التريبيون والتى كان المستر مايكل فوت يرأس تحريرها .. وفى واحد من هذه المقالات الأسبوعية تناول أنورين بيفان قضية السويس وانتقد فيها الحكومة البريطانية وقيادات حزب العمال البريطانى .. ولكنه أيضا هاجم بشدة الرئيس ناصر وانتقد بعنف سجل أعماله ..

ولقد وجه واحد ماخطابا إلى صحيفة التريبيون قال فيه : هل يمكن فى المستقبل أن نجمع المقالات التى أوردها أنورين بيفان فى عاموده الأسبوعى ونطبعها على أن نكتب فى مقدمتها أن هذه الآراء لا تعبر عن آراء المسئولين فى صحيفة التريبيون ولايتحمل رئيس تحريرها مسئولية ماورد فيها ..

إنه يهمنى كثيرا لو أن المستر فوت تناول هذه النقطة ليكشف لنا عن الغموض والتناقض داخل حزب العمال ..

مستر مايكل فوت : إن مايقوله كيث كايل صحيح وحقيقى حول الغموض والتناقض فى حزب العمال وحول موقف انورين بيفان .. وكرئيس تحرير لصحيفة التريبيون فى ذلك الوقت .. فإنى كنت واعيا لكل مايجرى .. لأن أنورين بيفان كان بالطبع أبرز الكتاب المميزين الذين يمدونا بمقالاتهم ..

وكانت لنا خلافات عديدة حول مقالاته .. ولكن مهما يكن ـ رغم الخلافات ـ فإن صحيفة التربيون كانت أول صحيفة فى بريطانيا بأسرها نشرت فى عناوين عريضة أن إيدن يعد للحرب .. وفى الوقت الذى كانت كل الصحف الأخرى تتخبط فى الغموض والتناقضات .. كنا أول صح تنبأت ـ وأعتقد أن نبوءتنا كانت صحيحة وعلى أسس معززة بالأدلة ـ إيدن كان بالفعل يعد للحرب .. وطبعنا عناويننا الرئيسية فى الصفحة الا على هذا الأساس رغم استنكار منافسينا المحافظين .. وكان ذلك فى ب أغسطس فى الوقت الذى كانت فيه أغلبية الناس لاتصدق ذلك ..

وحقيقى أنه كان هناك كثير من الجدل فى ذلك الوقت مع أنورين ب نفسه لأنه كان ـ لأسباب سأذكرها فيما بعد ـ يتخذ لنفسه خطأ مغاير وبرغم ذلك فإن من يقرأ كل ماكتبه أنورين بيفان للصحيفة منذ البداي بداية الجدل حتى النهاية .. وما قاله فى مجلس العموم فى مواجهة برلمان م عاصف ـ كما وصفت من قبل ـ أعتقد أن ما قاله يشمخ كأعظم مثال يمكن أن يستخدم فيه البرلمان للغرض الأسمى لحث السلطة التنفيذية نحو غير ذلك المسار القائم .. وفى بعض الأحيان بالطبع كان يكشف عن كامل لما كانت الحكومة تدبره الأمر الذى مكنه من أن يعرض القضية بط فعاله .. وبعض خطبه ـ فى اعتقادى ـ يمكن أن تكون بين أعظم الخطب هذا القرن ومن ثم فإننى لا أريد على أية صورة أن يقلل من قدرها .. هذا الرغم من أن ما قاله كيث كايل صحيح وحقيقى .. ذلك أنه كان فى ح العمال بدءا من عام ١٩٤٥ وربما قبل ذلك .. كان هناك اتجاه قوى ، لاسرائيل .. وفى بعض النواحى تقليد مناصر للصهيونية .. وكان هذا الاتجاه المسيطر على حزب العمال قبل عام ١٩٤٥ ونتيجة لهذا تناول بيان الح لعام ١٩٤٥ عرضا بإقامة وطن قومى لليهود فى فلسطين .. وقد ذهب الح فى ذلك إلى أبعد مما ذهب إليه أى حزب آخر من قبل .. والسبب هو كانت قد نشأت رفقة وثيقة .. رفقه شخصية وثيقة وصداقات بين عديد

زعماء حزب العمال البريطانى وعدد كبير من اليهود فى فلسطين وفى أنحاء كثيرة من العالم أيضا .. ومن ثم شارك أنورين بيفان هذا الهوس وهذه المشاعر وهذا التعاطف .. وهذه العلاقات الحميمة .. وكل هذا قد بينته وشرحته فى كتاب حول هذا الموضوع بعنوان « حياة أنورين بيفان » .. وسترون أننى ناقشت هذا الوضع بالتفصيل .. لأنه من الواضح ومن الجلى أن المسألة كانت على جانب كبير من الأهمية حيث تعاطف أنورين بيفان تعاطفا كبيرا حتى النهاية القصوى مع آمال أولئك الذين أقاموا الوطن القومى لليهود فى فلسطين .. بل إنه كان بعواطفه منحازا إلى كثير من التصرفات التى اتخذت .. ولكنه كان أيضا مستعدا لأن ينتقد التصرفات التى لايقرها .. وبالفعل كان انتقاده لما حدث عام ١٩٥٦ عنيفا ..

أما عن العناصر الأخرى التى خلقت هذا التعاطف السائد فى الحزب نحو الصهيونية فلا أظن أنى أستطيع أن أخوض فى تفاصيله الآن .. لكن بالطبع فإن ما قاله كيث كايل صحيح .. كان التعاطف مع إسرائيل واحدا من التقاليد الأساسية لحزب العمال وقد أثر هذا على اتجاهه فى كثير من المناسبات .. ولكن هذا لايمنع أن الحزب فوجئ بما فعلته الحكومة عام ١٩٥٦ فإن الحزب بكامل أعضائه قد وقف ضد العدوان ما عدا واحد أو اثنين على الأكثر .. ولكن الحزب بأسره عارض الغزو .. عارضها داخل مجلس العموم .. وعارضها خارج مجلس العموم وأقام الدنيا ضدها .. بكل ما يملك من قدرة ومثابرة وكفاءة .. وفى نفس الوقت بكل صراحة ودون أى تردد .. وكان هذا هو الموقف الحقيقى لحزب العمال فى وقت وقوع تلك الأزمة التى نحن بصدد مناقشتها .

مؤتمر إسرائيل

الأستاذ محمد حسنين هيكل : بديع .. أنا لا أرى أن هناك أسئلة كثيرة ممكن أن تبقى موجهة لمايكل فوت .. ويخيل لى أننا سمعنا منه عرضا رائعا

للحركة الديموقراطية .. وحركة الرأى الآخر فى انجلترا .. وقدرة المعارضة على أن تعيد تشكيل الرأى العام .. ولا أظن أن هناك أحدا منا يسأله عن أمور كثيرة فى هذا الصدد .

لو بإذنكم .. وإذا كنا سنأخذ استراحة قصيرة بعد قليل .. أنا كنت أتمنى أن نسمع ما قالته الجماعة الأخرى على الناحية الثانية .. فى الندوة التى عقدوها خلال الثلاثة أيام الماضية فى بير سبع ..

فإذا لم يكن لديكم مانع .. أطلب من مستر كيث كايل أن يدلى لنا بفكرة عن الموضوع .

مستر كيث كايل : استمر المؤتمر الذى عقد توا فى إسرائيل عن نفس الموضوع ثلاثة أيام .. اثنين منها كانا فى بير سبع واليوم الثالث كان فى مقر بن جوريون فى سرياكير.

كانت هناك ثلاثة موضوعات رئيسية نوقشت :

الموضوع الأول : كان عن الحملة العسكرية التى قادتها إسرائيل فى سيناء وكانت المنصة تغص بقدامى العسكريين الذين أخذوا فى سرد ذكرياتهم .

ثم كان الموضوع الثانى عن «التواطؤ» .. وكان كل المتواطئين حاضرين أقصد الذين اشتركوا فى مباحثات التواطؤ من إسرائيليين وفرنسيين وبريطانيين .. وكان هناك أيضا بعض الأمريكيين .

أما الجزء الثالث من الاجتماع فقد تدارست فيه عدة قضايا .. قضايا عريضة وعامة .. مثل متى تكون الحرب مبررة وعادلة .. ومتى يكون من حق الدولة أن تشن حربا .. وكانت المناقشات فرصة يتبارى فيها خبراء القانون الدولى ..

وقد عرضت الفكرة من زوايا متعددة .. ومن المؤسف أن الجانب المصرى لم يكن ممثلا .. ولاشك فى أن الحضور كانوا يودون بشكل عام سماع وجهة النظر

المصرية .. وعلى أية حال لم يكن المصريون وحدهم هم الذين لم يمثلوا .. فكذلك لم يكن هناك من يمثل قطاعات عريضة من الرأى العام البريطانى .. وقد مثل مجلس العموم البريطانى من هو ند لمايكل فوت : السير جوليان إمرى .. وأحب أن أقول لكم إنه ألقى تلك الكلمة التى تحدث فيها عن « ووترلو أوربا » والتى ورد ذكرها فى كلمة مايكل فوت أمامكم .. والعجيب أنه ألقاها أمام رئيس وزراء سابق لفرنسا .

وقد جرت مناقشات من هذا القبيل .. ولكن يمكن للمرء أن يميز بين هؤلاء الذين تناولوا حملة سيناء العسكرية .. ويستطيع المرء أن يميز من طبيعة المناقشات بين الجنرالات الذين عاصروا الحملة فى سيناء وبين أولئك الذين لم يحضروها .. وبالذات أحكى عن الجنرال اسحق رابين الذى كان قائدا للجبهة الشمالية .. ومن ثم فإنه بموقعه لم يكن له دور فى الحرب .. أما أولئك الذين اشتركوا فيها فقط تكلموا فقط عن انتصاراتهم وعن السرعة الخاطفة التى أحرزوا بها الانتصار الكامل .. وكيف أن حملة سيناء أبرزت اسرائيل على خريطة العالم كقوة عسكرية .

أما الجنرال رابين فقد تكلم بشكل مغاير .. كان أكثر واقعية .. ورغم أنه ليس من رجال الكلمة الذين يتقنون فن الخطابة إلا أننى أستطيع أن أقول إنه كان موفقا جدا فى هذه المناسبة .. وأنه تناول موضوعه بكثير من العمق والدراسة والموضوعية قال : إنه كان هناك انتصاران فى سيناء .. انتصار إسرائيلى وانتصار مصرى .. بينما كان هناك مهزومان : بريطانيا وفرنسا .. وأنه فيما يتعلق بمصر فإن ظروف الحملة .. والأمور التى أحاطت بها قد ثبتت مكانة عبد الناصر فى العالم الثالث وفى العالم العربى كقائد عظيم وزعيم بلا منازع .. وأن الأخطاء التى ارتكبت خاصة من جانب البريطانيين والفرنسيين قد رفعت زعامة عبد الناصر إلى مرتبة لم تكن له من قبل ..

وقد قال رابين أيضا إن دفة الحرب قد تحولت ضد المهاجمين بقرار الرئيس

ناصر بسحب القوات المصرية إلى غرب قناة السويس فى لحظة وقوع التدخل الأنجلو فرنسى.. وللأسف الشديد فإنه لا رابين ولا غيره من المعلقين العسكريين تناول هذا الموضوع بالتفصيل الواجب.

وتناول الجنرال رابين بعد ذلك العوامل التى أثرت على الثنائى الخاسر: بريطانيا وفرنسا فقال: حتى تلك اللحظة لم تكن نظرة الاسرائيليين- وبالطبع غيرهم ولكن الاسرائيليين على الأخص- لم تكن نظرتهم إلى العالم على أسس أن فيه قوتين عظميين ثم باقى الدول... كان الاسرائيليون يتصورون أن بريطانيا وفرنسا أيضا كان يدخلان ضمن الحساب فى القوى العظمى فى العالم.. ومن وجهة النظر هذه فإن بن جوريون قد افتتن بفكرة أن اسرائيل الدولة الحديثة التى لم تبلغ من العمر أكثر من ثمانى سنوات فى هذا العالم.. قد تزاملت مع حليفتين من القوى الأعظم: انجلترا وفرنسا فى عملية السويس وسيناء.

ثم يضيف رابين: كان الدرس الذى تعلمناه من نتيجة الأزمة أن هذين الحليفين لم يكونا من القوى الأعظم.. ولم يعودا من القوى الأعظم.. لأنه كان هناك فقط فى هذا العالم قوتين عظمتين.

وحول التواطؤ دارت مناقشات طويلة تناولت كثيرا من التفاصيل تكاد تقترب كثيرا مما دار هنا.. كنتيجة لإزاحة الستار عن الوثائق ذاتها التى تناولتموها هنا.. وربما أنكم تعلمون أن النسخة البريطانية من وثيقة الاتفاق الذى وقعته فى سيفر بين بريطانيا وفرنسا واسرائيل قد أعدمت.. وأعتقد أن النسخة الفرنسية مازالت موجودة فى الملفات السرية الفرنسية ولن تعلن قبل مضى سنوات طويلة.. وتبقى النسخة الاسرائيلية.

وفى الحقيقة فإن إسرائيل هى الطرف الوحيد من بين الحضور فى سيفر الذى احتفظت بوقائع دقيقة عن اجراءات محادثات سيفر.. فقد كان هناك كولونيل إسرائيلى.. كان عمره وقتها سبعة وعشرين عاما واسمه موردكاى بوان وكان رئيسا لسكرتارية دايان وهو الآن عضو فى الكنيست.. وقد احتفظ

موردكاى هذا بمحضر دقيق وكامل عما جرى فى سيفر .. وطلب منه بن جوريون فيما بعد أن يعد تقريرا مفصلا وكاملا عن الأحداث التى جرت مابين صفقة الأسلحة السوفيتية لمصر ونهاية الحملة على سيناء .. وقد عنون هذا التقرير بأنه من الأسرار العليا للدولة فى إسرائيل .. ولقد حصل موردكاى أخيرا على الإذن بنشر هذا التقرير وسينشره فى كتاب يصدر له فى العام القادم وقد أرفقه بترجمة انجليزية ..

وبالمناقشات الطويلة والتفاصيل الدقيقة التى دارت فى الندوة كدنا أن نكون قد شهدنا بأنفسنا ذلك اللقاء التاريخى الحاسم .. والذى توجد وثيقته فى ملفات بن جوريون فى مقره .. ستافابوكير .. وعندما حان دور المسئول عن مكتبة وملفات بن جوريون للكلام فى الندوة .. فإنه حاول فى ختام كلمته أن يمزق وثيقة اجتماع سيفر .. قائلا : وهاهى .. ولكن فى اللحظة الأخيرة سارع شيمون بيريز وسجل اعتراضه على تمزيق الوثيقة .

لقد وصف الوثيقة التى حملت توقيعات الذين شاركوا فى الاجتماع وصفها وصفا دقيقا حتى أنه أصبح لدينا تفاصيل دقيقة عن موضوع التواطؤ ..

ولكن الاجتماع كان يفتقد إلى درجة كبيرة وجود الجانب المصرى فيه ولقد عبر كثير من الاسرائيليين الحاضرين كما أشارت عديد من الكلمات التى ألقيت إلى أنهم كانوا يودون أن يستفسروا من المصريين عن جوانب كثيرة حيوية وهامة حتى تكتمل الصورة .. وكانوا يرددون لو كانت هناك مشاركة ولم يتبين بوضوح هذه الأسئلة التى يريدون أن يسألوها .. ولكن كان واضحا فى كثير من الكلمات التى ألقيت أن هناك تساؤلا كانوا يودون أن يوجهوه .. وهذا السؤال تردد بوضوح فى أسئلتهم وهو ما الذى كان الرئيس ناصر ينوى أن يفعله بالأسلحة التى حصل عليها من تشيكوسلوفاكيا .. ماذا كانت نواياه ؟! هل كانت هذه الاسلحة للردع أم أنه كان ينوى فى لحظة ما أن يهاجم إسرائيل ؟

وإذا كانت للردع .. فلأى غرض ؟! هل كان ذلك يقصد ردع الجيش

الاسرائيلى عن الرد على الغارات العسكرية المحدودة من غزة .

أم كانت من ناحية أخرى ـ محاولة من الرئيس عبد الناصر لإجبار إسرائيل والمجتمع على إعادة النظر فى حدود الأراضى الإسرائيلية .. على أسس أخرى غير التى تحددها خطوط الهدنة ... ذلك أنه فى بعض تصريحات للرئيس ناصر التى أوحت بأنه ربما كان مستعدا فى وقت لاحق إلى تحقيق تسوية شاملة ونهائية مع إسرائيل .. على أساس أن يوضع مشروع برنادوت موضع التنفيذ والذى كان ينص على تحرير النقب وبذلك يزال الاسفين الذى يحجز مصر عن العالم العربى .. هل هذه كانت نوايا الرئيس ناصر؟!..

أم كانت نيته ـ كما أورد بعض المعلقين السياسيين فى تحليلاتهم ـ أن يفعل الرئيس ناصر ما فعله الرئيس السادات بعد سنوات .. أن يستعيد للجيش كرامته ثم تتحقق التسوية على أساس استعادة النقب لمصر أو للأردن ..

أم أن الرئيس ناصر يضمر لدولة إسرائيل مصيرا كالذى لقيه اليونانيون فى آسيا على يد كمال اتاتورك .

كل هذه الأسئلة ظلت تدور فى أذهان أولئك الذين شاركوا فى تلك الندوة .. وكان هناك شعور عام بأنه الآن وقد كشفت الأستار عن مذكرات بن جوريون ـ والتى ستنشر على الرأى العام فى أول ديسمبر ٨٦ ـ أن هناك على الجانب الآخر ربما أزيحت الأستار عن معلومات مقارنة تصدر عن مصر ويكشف فيها عن أشياء جديدة لم تتضمنها كل الكتب التى نشرت .

الأستاذ محمد حسنين هيكل : رجائى ألا نكون قد أضعنا الوقت لقد حدث خروج عن قاعدة إدارة الندوات .. غير أننى قلت إننا نحاول أن نستشرف النحو الذين يفكر عليه الآخرون .. والآن أيضا لاتوجد أسئلة .. لكن سير أنتونى لديه كلمة صغيرة ، ومن ثم رجائى أن يتفضل .

تفسير انتونى ناتنج لموقف أنورين بيفان

سير انتونى ناتنج : أشكر السيد الرئيس .. أنا أرجو فقط أن أضيف تعليقا مختصرا على ما أثاره كيث كايل والسؤال الذى وجهه إلى مايكل فوت عن موقف أنورين بيفان أثناء عملية تأميم شركة قناة السويس .

أنا لست أذكر افتتاحية التريبيون التى أشار إليها كيث كايل ولكنى لا أجد أن هناك أى تقارب بين انتقادات أنورين بيفان لقيام عبد الناصر بعملية التأميم وبين موقفه اللاحق من التآمر الانجلوفرنسى الإسرائيلى ثم العدوان الثلاثى .

كان أنورين بيفان واحدا من كثيرين كنت أنا أيضا بينهم الذين انزعجوا انزعاجا شديدا وأبدوا قلقهم العميق لهذا التصرف المفاجئ بتأميم شركة دولية تدير هذا الممر المائى الدولى العظيم الأهمية . لم يكن الأمر مجرد أن شركة قناة السويس كانت مجرد شركة تعمل فى مصر بعيدة تماما عن الاهتمام الدولى ... إنها كانت شركة تدير أهم وأخطر ممر مائى دولى فى هذا العالم .. وكان هناك اهتمام عظيم وقلق شديد فى سائر أنحاء العالم .. وعلى الأخص بين الدول البحرية بالذات من بين الذين يستخدمون القناة .. كان الاهتمام منصبا على تأثير ذلك التأميم على حركة استخدام القناة .. فمثلا لم نكن نعرف إلى أى مدى يستطيع المرشدون المصريون تسيير الملاحة فى القناة ـ وخاصة أنهم كانوا قلة حيث كانت شركة القناة تحرص على أن تكون عمليات الارشاد فى أيديهم بمعزل عن المصريين ولم تكن تسمح للمصريين بالتدريب على عمليات الملاحة فى القناة ... ومن هنا كنا فى شك حول مدى قدرة الإدارة الجديدة للقناة على تسييرها ..

وأيضا كانت عملية التأميم صدمة أزعجتنا بعنف .. وأزعجت أيضا بلادا عربية مثل السعودية والعراق والأردن ..

كذلك أقلقتنا طبيعة عملية التأميم والطريقة التى جرت بها .. ومن ثم تكون قطاع عريض من الرأى المعارض للتأميم ساهمت أنا فيه شخصيا .. كان هذا

الرأى يدين اجراء التأميم والطبيعة الحادة التى جرى بها والظروف التى أحاطت

ولكن بالطبع عندما وضح تماما أن انتونى إيدن وجى موليه لم يريدا تسوية لهذه القضية ولم يريدا الترتيبات التى كانت تتيح للذين يستخدمون القناة أن يقوموا بدور توجيهى فى عملية إدارة وتسيير القناة وتطويرها لمتطلبات المستقبل.

عندما تبين لنا أن انتونى إيدن وجى موليه لم يريدا إلا الحرب .. عندئذ بالطبع تغيرت الأمور ومن ثم تغيرت المواقف .. واستطاع انورين بيفان بحاسته السياسية الحادة .. وصدق حدسه .. أن يشم حقيقة مايجرى من أمور كنت أعرفها أنا شخصيا بالطبع نتيجة حوار قام بينى وبين رئيس الوزراء انتونى إيدن .. عرفت منه أنه مقدم على الحرب .. لا على التفاوض من أجل التسوية .. وعندما تبين فوق ذلك أن الحرب كانت حصيلة أحط وأدنأ أسلوب من التواطؤ مع إسرائيل .. حيث كان علينا مع الفرنسيين أن نتظاهر بأن الإسرائيليين قد غزوا مصر من تلقاء أنفسهم دون تحريض أو دفع من خارجهم .. وأنه بذلك قد أعلنت حالة حرب .. وأن علينا نحن الانجليز مع الفرنسيين أن نتدخل لإيقاف هذه الحرب .. التى كنا نحن فى الحقيقة مشعلوها .. كان هذا كثير بالنسبة لى .. كان فوق الاحتمال .. وكان ذلك سبب استقالتى .. وكان هذا أيضا السبب الذى من أجله وقف أنورين بيفان الموقف الذى أملاه عليه ضميره.

التخطيط العسكرى الإسرائيلى

الأستاذ هيكل: مستر ستيفن جرين ، يريد أن يتحدث إلينا بأمر ما.

مستر ستيفن جرين: كنت أود أن أسمع من المستركيث كايل عن تصور إسرائيل للنوايا المصرية فى الشهر السابق مباشرة على أزمة السويس فى أعقاب

عملية شحن الأسلحة السوفيتية إلى مصر.. ذلك أنه من بين الأسرار التى أحسن اخفاؤها والتغطية عليها بمهارة طوال تاريخ الصراع المصرى الإسرائيلى ــ وهذا ينطبق على ١٩٥٦ وعلى ١٩٦٧ وأيضا على ١٩٧٣ ــ وبالطبع ينطبق على اليوم أيضا ــ إن هناك بالطبع حقيقة أساسية وتقليدية .. ذلك أن هناك فارق كبير وأساسى بين تكوين القوات المسلحة المصرية من جانب وبين تشكيل القوات المسلحة الإسرائيلية على الجانب الآخر.. وهذا الفارق هو أن التخطيط العسكرى المصرى كان دائما وعلى الدوام يتركز على الدفاع وعلى الحفاظ على وحدة وسلامة الأراضى المصرية .. أما إسرائيل ــ ولأسباب تقوم على أسس عسكرية بحتة ــ فإن تشكيل قواتها المسلحة وحفظها تتركز على أساس أن يكون لها القدرة على أن تضرب فى العمق وتوجع جيرانها وتغتصب إذا أمكن أراضيهم بالقوة العسكرية ..

لقد تناول ايجرو بالانس فى كتاباته هذه الحقيقة إلى حد بعيد .. كذلك كتب عنها المؤرخ العسكرى الأمريكى المرموق مستر هانس بالوين .

ولكننى أعتقد أن هناك شيئا واحدا.. ذلك الذى حاولت أن أصل إليه فى الليلة الماضية .. شىء واحد يجب أن نضعه فى أذهاننا .. وهو أن من روح اتفاقية كامب دافيد نستطيع أن نستخلص أن عدوانية السياسة الإسرائيلية قد بدأت تنافس عدوانيتها العسكرية .. وأن تصل إلى مستواها متسترة بمعاهدة كامب دافيد .

وشــكرا ،،،،

ماهو هــدف بريطانيــا

الأستاذ هيكل : لدينا الآن مشكلة المعلقين.. ولا أرى أحدا لديه أسئلة .. لكن هناك الكثير من بيننا لديه تعليقات .

اللواء طلعت مسلم : سؤال واحد ..

الأستاذ هيكل : إن كان سؤالا فلتتفضل ياسيادة اللواء .. الأسئلة أولا .. ثم نتيح الفرصة لطالبي التعليقات .. سنبدأ بحضرتك .. ثم الدكتور سعد إبراهيم .

الأستاذ هيكل : حسبما تشاءون .. الوقت ملك لكم .. وأنا أعرف أن الأستاذ عودة ، كان يريد أن يتكلم اليوم .

اللواء مسلم : هو سؤال بيتعلق بأن المفروض أنه فى جدول أعمال الندوة باستمع إلى النظرة البريطانية إلى تأميم قناة السويس وإلى المعركة بعدها .

هناك فى المعركة وحتى الآن لم يظهر بوضوح .. ما هو الهدف الذى وضعته بريطانيا وفرنسا وإسرائيل لنفسها لبدء العدوان وماذا كانت تتصور فى حالة تحقيق الهدف بتاعها .. أعتقد أن هذا الهدف لم يتضح حتى الآن بشكل محدد .. وماذا كانت تتصور بريطانيا وفرنسا وإسرائيل الوضع لو أنها تمكنت من تحقيق الهدف بتاع العدوان .. وشكرا ،،،

الأستاذ هيكل : إلى من توجه السؤال ياسيادة اللواء ..

اللواء مسلم : الموضوع هو النظرة البريطانية للعملية أو العدوان .. فهو كان مفروض الحقيقة يوجه للسيرأنتونى ناتنج .. بس الحقيقة السيرأنتونى ناتنج الموضوع بتاعه كيف أدار ايدن المعركة .. أما الموضوع بتاع المستر مايكل فوت هو النظرة البريطانية للمعركة .

الأستاذ هيكل : لقد كان يخيل لى أنه بالنسبة للأهداف الاستراتيجية للمعركة بالنسبة لكل الأطراف ، أظن أن هذه الوثائق قد أوضحتها كلها .. يعنى أقصد أنه بالنسبة للإسرائيليين أو بالنسبة للإنجليز أو بالنسبة للفرنسيين فإن الأهداف الاستراتيجية كانت واضحة بالنسبة للكل .. أما ما كان يأتى بعدها بمعنى ماذا يحدث بعدها .. فإن أحدا لم يكن شديد الاهتمام بما يحدث بعدها .. لكنى أرجو أن تقول لى لمن أوجه السؤال ؟ حسبما تريد .

اللواء مسلم : هو إذا كان مستر مايكل فوت باعتباره أنه درس الموضوع ووجد ما يجيب على هذا السؤال .. اعتقد .

الأستاذ هيكل : هل ترغب فى الرد على هذا السؤال ؟ !

مستر مايكل فوت : حسنا .. أعتقد أنه مازال هناك جدل كبير .. وأنتونى ناتنج يستطيع أن يدلى برد أحسن مما أستطيع .. وذلك بالطبع لأنه بحكم وجوده فى الوزارة فى ذلك الوقت يعرف أكثر منى .. ولكننى أعتقد أنه مازال هناك جدل كبير حول ماذا كان بالضبط الهدف الاستراتيجى .. أعتقد أنه كان احتلال القناة والاستيلاء عليها .. وأعتقد أنه مازال هناك فى العالم جدل كبير حول ما إذا كان هناك فى الواقع نية استراتيجية تستهدف احتلال القاهرة وأسر عبد الناصر .. ورغم أن الفكرة غامضة وغريبة إلا أنها أثيرت فى المناقشات اللاحقة للعدوان بين السلطات العسكرية وفى مجلس اللوردات حيث دارت مناقشات حول الحملة .. وكان من أشد الانتقادات العسكرية التى وجهت إلى الحكومة وما كانت تفعله تلك التى وجهها اللورد تيدر والذى كان من قبل قائدا للسلاح الجوى البريطانى .: كان ثائرا ومحنقا شأنه شأن باقى الخصوم فى المعارضة وقد قال :

«أنا لا أعتقد أن ماقيل لنا هو الصدق عن الهدف الاستراتيجى لهذه الحملة .. لأنه أمر لا يقره عقل .. وأنا شخصيا لا أستطيع أن أهضمه .. وأعتقد أن الهدف كان محاولة تحطيم ناصر نفسه» هكذا تكلم اللورد تيدر .. ولست أدرى إذا كان شيئا من هذا القبيل قد ورد فى أى من الوثائق ولكننى أنا الآخر أعتقد .. لا عن علم بشىء محدد .. ولكننى أعتقد أن تحطيم عبد الناصر كان جزءا من نوايا بعض الذين قرروا القيام بتلك الحملة .

وكما قلت فإننى أظن أن أنتونى ناتنج ربما أراد أن يضيف لنا شيئا حول هذا الموضوع .. ولكننى أحب أن أقرر بأننى عندما أعدت قراءة محاضر المناقشات منذ عدة أسابيع عندما كنت أعد نفسى للمجىء إلى هنا فقد صدمتنى هذه

الواقعة : أن اللورد تيدر هو نفسه الذى أثار هذا السؤال الذى نحن بصدده .. بل إنه قال إنه كان هناك جدل كبير فنقاش وبحث وقد قرر أنه كان فى مضمون الحملة تدمير عبد الناصر نفسه وأسره إذا أمكن .

الأستاذ هيكل : إذا جاز لى أن أقول شيئا بهذا الصدد فإنه بالنسبة للأهداف الاستراتيجية للحرب على الأقل بالنسبة للإسرائيليين .. موجودة فى مذكرات دايان ... وبمنتهى الوضوح .. الاجتماع اللى استدعاه من أجله بن جوريون يوم ٢٠ أكتوبر ١٩٥٥ .. حيث كان فى إجازة فى باريس ثم عاد .. وإذا به يفاجأ بأن بن جوريون يعطيه توجيها استراتيجيا مكتوبا فيه خمس نقاط :

الأولى : القضاء على قواعد الفدائيين .. حيث طلب منه أولا أنه يعد حملة استعدادا لاحتلال سيناء .. هذا فى اليوم العشرين من أكتوبر ١٩٥٥ ، يعنى قبل العدوان بسنة كاملة .

الهدف الأول من الحملة كان تصفية قواعد الفدائيين فى سيناء .
الهدف الثانى فتح الممرات المائية وخصوصا قناة السويس .
الهدف الثالث نزع سلاح سيناء .
الهدف الرابع اسقاط « الديكتاتور » هكذا بالحرف الواحد .
الهدف الخامس تأمين مشارف ايلات بما فيها طابا ، التى يدور حولها الحديث الآن .

حسنا .. أرى أنك ياأنتونى تريد أن تقول تعليقا مختصرا .. حول الأهداف .

الهدف تحطيم ناصر

سير أنتونى ناتنج : شكرا للسيد الرئيس ..

ليس هناك من شك فى أن الهدف الرئيسى للعملية كلها كان تحطيم ناصر .. كما قال أنتونى إيدن فى حديثه التليفونى فى مكالمته التليفونية لى وأنا فى فندق

سافوى فى عشاء خاص مع أحد الضيوف ..

الأستاذ هيكل : أرجو أن تزيد الحديث عن هذه الواقعة تفصيلا .

سير أنتونى ناتنج : حسنا أستطيع أن أحكيها بالكامل وبالتفصيل .. كنت قد دعوت المستر هارولد ستاسون ــ العضو الأمريكى فى مفاوضات نزع السلاح ــ إلى العشاء فى فندق سافوى فى قاعة خاصة .. وقبل أن يبدأ العشاء .. دق جرس التليفون .. ورد عليه سكرتيرى الخاص وقال لى إن « رقم ١٠ » يريدك .. (يعنى مقر رئاسة الوزارة) وانتقل خط التليفون إلى نمرة ١٠ .. وسرعان ماسمعت خلاله صوتا يقول « إنه أنا » وأعتقد أنه أراد ألا يعرف عامل التليفون فى سافوى أوتيل من هو هذا « الأنا » الذى يحدثنى .. ولكن بعد دقيقتين من الحديث .. لم يكن فى وسع أغبى أغبياء عمال التليفون فى سافوى أوتيل إلا وأن يعرف أن المتحدث ليس إلا رئيس الوزراء .. كان يصيح عبر التليفون إننى إذا ماكنت أريد أن أختلف مع رأيه فإن من الأفضل أن أذهب إليه فى رئاسة الوزارة لأقدم له تفسيرا لرفضى ..

وعادة فإن المفروض أن المحادثات التليفونية لا تأخذ هذا الطابع الحاد .. ومن ثم فقد كان سهلا جدا التعرف على شخصية المتحدث .. على أية حال .. فإن الغرض من حديث التليفون كان لإخبارى بأن المذكرة التى كتبتها عن كيفية تكييف سياستنا فى الشرق الأوسط كنتيجة لطرد الجنرال جلوب كانت تافهة .. لا يصح أن تأتى من أحدث الموظفين الكتابيين فى وزارة الخارجية .. وأننى ــ بهذا التقييم ــ لا أصلح إلا لمثل هذا الموظف الكتابى .. وأنه قد آن الأوان لكى أفهم وأضع فى رأسى .. وأن أجعل المسئولين فى وزارة الخارجية يفهمون ويضعون فى رءوسهم أن هدفه هو الاطاحة بناصر وتدميره ..

ومن ثم فإنه من الواضح الجلى أن هذا الهدف كان المقصود من عملية السويس ..

وعندما سألت رئيس الوزراء فى هذه المحادثة التليفونية .. وفى لقاءات

أخرى بعدها .. ما الذى ينوى أن يفعله إذا ما أفلح فى تدمير ناصر؟ من الذى سيضعه محل ناصر؟ ! ..

وأبديت رأيى فى أنه على حد علمى لا يوجد الآن جنرال زاهيدى « جاهز » فى مصر فى ذلك الوقت ليحل محل عبد الناصر ـ وتذكرون أن جنرال زاهيدى هو الذى خلف مصدق بعد عملية بارعة من صديقنا كيرمت روزفلت ـ ولكن ايدن رد على محتدا : « أنا لا أريد زاهيدى فى مصر » فقلت له « إذن فأنت تريد أن تعم الفوضى على أية حال » . « لا يهمنى .. لا يهمنى .. إن الغرض الأساسى هو التخلص من ناصر » ..

وهكذا فإن الأمر كله كان التخلص من عبد الناصر .. وأنه لمن المذهل الذى لا يستطيع العقل أن يستوعبه أن دولتين مثل بريطانيا وفرنسا قد أقدمتا بإصرار على هذه المغامرة .. هذه المغامرة التى هزت العالم بعنف .. دون أى اعتبار لأى شىء كان إلا الهدف الذى يريدانه ..

وأصدقكم القول بأن هذه هى الحقيقة .. لا اعتبار لأى شىء .. ولا تبصر ولا تفكير فى النتائج التى قد تحدث .. فقط كل ما يريدانه هو التخلص من ناصر .. أما كيف يحدث ذلك .. وماذا سيحدث بعد ذلك فلم يكن هناك أدنى حساب له أو تفكير فيه .. لم تكن لديهما أية خطة أيا كان شأنها .. لم يفكر أحد فى كيفية التعامل مع الموقف بعد ذلك .. ولم يتساءل أحد ماذا نفعل ؟ .. هل ستتحمل وزر ١٨٨٢ أخرى ؟ هل سيعود اللورد كرومر مرة أخرى ليستقر فى السفارة البريطانية بالقاهرة ؟ ماذا ستكون النتيجة ؟ .

لم يدر شىء من هذا بتفكيرهم .. لم تكن هناك أية خطة أيا كانت لما سيحدث .. كل ما فى أيديهم كان خطة طوارئ فى إطار خطة موسكاتير لاحتلال القاهرة والدلتا .. وأبعد من ذلك لم يكن هناك أى تخطيط على الاطلاق .

دكتور أحمد عبد الله : أنا فى الحقيقة أتكلم عن قضية الديموقراطية وعن

المشاركة الشعبية فى الحكم لبلد مثل مصر وعن شدة الحاجة لها اليوم تماما مثلما كنا فى حاجة إليها من قبل وفى كل وقت من الأوقات .. وأنا أقول إن ماحدث فى مرحلة السويس كان استثناء لا يجب أن نسمح بتكراره مرة أخرى .. وإذا كان علينا أن نحارب من أجل أى هدف آخر فيجب أن يتم ذلك من خلال إطار نظام ديموقراطى ..

بل إننى أطبق هذا الرأى على بريطانيا نفسها .. ما قاله مستر مايكل فوت .. الذى أكن له عميق الاحترام ولقد رأيته على شاشة التليفزيون البريطانى .. وأعتقد أن ماقاله المستر مايكل فوت عن بريطانيا ..

ما أصر على أن أقوله باختصار أن بريطانيا مثل مصر .. وهنا أنا بالفعل واقعى .. عندما أقول أن التأجيج الوطنى قد استغل لتعويق مسار الديموقراطية .. أنا لم أكن فى بريطانيا زمن السويس .. فكما قلت كنت تلميذا بالابتدائى .. ولكننى كنت هناك أثناء حملة فولكلاند .. ولقد لمست إلى أى مدى استخدمت الشعارات الوطنية لتبرير حملة مسز تاتشر .. ولولا رجال مثلك ياسيدى .. أنت وزملاؤك الموقرين أمثال تونى بن وغيرهم .. لتصورنا أن الديموقراطية فى بريطانيا قد انتهت .

أقول هذا لكى أجسد وجهة نظرى .. بأنه إذا ماكان علينا أن نخوض مرة أخرى القتال للدفاع عن أهدافنا الوطنية .. فإذن ذلك يجب أن يكون فى إطار ديموقراطى .. وسيقف جيلى فى المستقبل مدافعا عن الديموقراطية .. وإذا كان لى أن استشهد بما قاله زعيمكم السابق ياسيدى فإنى أقول : إننا سنكافح من أجل الديموقراطية وسنحارب من أجلها .. سنحارب .. وسنحارب مرة أخرى ..

مع الشكر الجزيل ،،،

الأستاذ هيكل : تفضل يادكتور سعد .. وباختصار أرجوك ، ولكن ليس بالاختصار الشديد ..

د. سعد الدين إبراهيم : أشكر السيد الرئيس .. أريد أن أوجه باختصار كلمة تحية إلى المستر مايكل فوت وإلى السير أنتونى ناتنج .. إن أبناء جيلي ــ يحتفظون بالتقدير العظيم لهؤلاء الرجال الذين أعادوا لنا الثقة فى العالم الغربى.. وأضافوا إلى مشاعرنا مسحة واقعية .. فلم تعد قاصرة على الشعور التقليدى الذى لازمنا تجاه الغرب وتجاه الاستعمار الغربى ..

إننا نعلم أن التقاليد التى تحدث عنها مايكل فوت بطلاقة بارعة مازالت قائمة ونرجو لها أن تستمر على الدوام ..

إن سؤالى يتعرض فى الحقيقة للتقاليد ويتعرض أيضا لبعض المسائل التى أثيرت بالأمس ..

ليست هناك نهاية للدرس .. وحقيقة أننا لم نجتمع هنا للاحتفال بذكرى مرحلة من الماضى وإنما لنستخلص منها الدروس الصحيحة للمستقبل.

وقضية التواطؤ مسألة تثير القلق المتصاعد فى ذهنى وفى أذهان كثير من العرب هذه الأيام .. وخاصة العرب فى شرق السويس ..

لقد اتخذت بريطانيا من بعض الأحداث التى ندينها جميعا .. اتخذت منها ذريعة للتصرف بطريقة درامية مبالغ فيها .. الأمر الذى نخشى معه أن يكون ذلك مقدمة لفصل جديد من التآمر ضد هذا الجزء من العالم الذى نعيش فيها ..

وإننا لنرجو ياسيدى أن تستطيع التقاليد التى رفعت لواءها عام ١٩٥٦ .. أن تقف فى انتباه وحزم ضد احتمال تواطؤ جديد بين مسز تاتشر والليكود الإسرائيلى وإدارة ريجان.

لقد شهدنا بالأمس القريب العدوان الأمريكى على ليبيا .. ونرجو ألا يتكرر ذلك فى القريب العاجل ضد سوريا ..

وأرجو ياسيدى أن نسمع كلمتك فى هذا الشأن ..

مستر مايكل فوت : اسمحوا لى بأن أعلق على ما أبداه المتحدثان السابقان من ملاحظات .. بالطبع أنا مع الديموقراطية فى كل بلد بما فى ذلك مصر .. ومن ثم فهذه هى إجابتى على المتحدث الأول .. ولكننى أود أن أضيف بأننى لا أعتقد أن هناك أية شبهة للمقارنة أو أدنى تبرير للمقارنة بين حرب فولكلاند وحملة فولكلاند وبين ماحدث هنا فى السويس عام ١٩٥٦ ذلك أننى أعتقد أنه لا وجه للمقارنة فى أمرين مختلفين تماما .. لأن القضية فى فولكلاند كانت قضية مواجهة غزو دكتاتورى لهذه الجزيرة .. وإذا لم يوقف هذا الغزو .. وإذا لم تكن الحكومة البريطانية والشعب البريطانى قد اتخذا هذا الاجراء الذى اتخذاه بالنسبة لفولكلاند إذن لسيطر الحكم الديكتاتورى على فولكلاند بل وظل مسيطرا على الأرجنتين نفسها حتى الآن ..

ومن ثم فإننى أعتقد أن الحكومة البريطانية قد تصرفت التصرف السليم حيال قضية الفولكلاند .. لذلك لا أريد أن ينسب إلى موقف لم آخذه .. بل إننى فى الحقيقة لم أعارض حق الحكومة البريطانية فى اتخاذ الاجراءات التى اتخذتها .. مادامت قد اتخذتها بموجب صلاحيات من الأمم المتحدة ..

وبالطبع كان هناك تباين فاضح .. تباين عميق وجذرى بين ماقامت به بريطانيا فى الفولكلاند وبين ماقامت به بريطانيا فى السويس فى عام ١٩٥٦ .

ماقامت به بريطانيا فى السويس عام ١٩٥٦ قد أدانته الأمم المتحدة على كافة الأوجه .. وحينما عرضت القضية سواء فى مجلس الأمن أو فى الجمعية العامة كانت هناك الادانة .. ولكن ماجرى فى الفولكلاند قد جرى بتأييد من الأمم المتحدة وكان أول مافعلته الحكومة البريطانية عام ١٩٨٢ عندما وقع الغزو على فولكلاند .. أن عرضت القضية أمام الأمم المتحدة وأخذت منها الصلاحيات للاجراء الذى قامت به ..

ومن ثم فإنه فى رأيى لا يجب أن توضع الأمور فى غير موضعها .. وأنا لم أتفق مع ما قاله تونى بن والآخرين .. أنا أتفق مع حقهم فى الاعتراض .. فإن

لهم الحق فى أن تكون لهم وجهات نظر مخالفة إذا ما أرادوا .. ولكن رأيي مخالف لهم ..

أما حزب العمال فقد كان موقفه أننا يجب أن نباشر التزاماتنا فى نطاق ميثاق الأمم المتحدة .. بالضبط كما كنا نريد لالتزاماتنا أن تكون عام ١٩٥٦ ..

وهكذا فإننا نفرض بأن التزاماتنا كان واجبا القيام بها عام ١٩٨٢ بصرف النظر عما كنا نراه حول مستقبل الترتيبات هناك فى هذه الجزر فهذا شىء آخر .. ولكن مقاومة العدوان فى رأيي كانت ضرورة ملحة لإنقاذ هذا العالم من التمزق .. فأنا أعارض بمرارة كل المحاولات التى ترمى إلى تقييد صلاحية ميثاق الأمم المتحدة فى منع العدوان .

وأنتقل الآن إلى التعليق على وجهة النظر الثانية .

لقد كان الكثيرون منا فى بريطانيا يعارضون بمرارة تلك الغارة الانتقامية التى قامت بها القوات الجوية الأمريكية ضد ليبيا .. والتى سمحت بها الحكومة البريطانية .. وموقفنا هذا لا يعنى بالمرة أننا لا نعارض بشدة عمليات الارهاب على أية صورة تجرى بها .. إننا نعارض الإرهاب سواء جاء من الجيش الجمهورى فى ايرلندا .. أو صدر عن ارهابيى الباسك ضد الحكومة الاسبانية .. أو بواسطة طائفة السيخ فى الهند .. أو بواسطة الارهابيين العرب فى أماكن أخرى ..

إننا فى حزب العمال نعارض إلى أقصى حد أى صورة من صور الارهاب التى تسعى إلى حل المنازعات بالالتجاء إلى العمليات الارهابية .. وبالطبع فإن معارضتنا تشتد بصفة خاصة ضد العمليات الارهابية إذا ماجرت فى بلدان يتوفر فيها عن طريق صناديق الاقتراع الحر الوسيلة لتسوية هذه النزاعات بالطرق الشرعية الديموقراطية .. وقد يكون الوضع فى جنوب أفريقيا مختلف بعض الشىء حيث لا يتاح هناك للشعب أية وسيلة للاقتراع أو التعبير عن إرادتهم .. ولكن فى تلكم البلدان التى يوجد فيها قنوات شرعية للتعبير عن

الارادات المختلفة ويكون دور الاقتراع فيها فعال فإن الالتجاء إلى الارهاب يصبح أمرا مثيرا للاعتراض العنيف ..

ونحن كديموقراطيين نؤمن بأنه يجب على أولئك أن يسلكوا القنوات الشرعية ويمارسوا هذه الحقوق فى تحقيق أهدافهم دون اللجوء إلى الارهاب ..

ومن ثم فإننا نعارض بمرارة كل مظاهر الارهاب .. ونعارض بشدة كافة العمليات الإرهابية التى تمارس بتوجيه أو بتأييد من الدولة الليبية .. فإذا كانت الحالة هكذا .. وأنا واثق من أن بعض العمليات جرت بعلمها ..

ولكننا فى حزب العمال نعارض بشدة أن تغتصب أية دولة الحق لنفسها بأن تقوم تلقائيا بمفردها بالانتقام أو تتصرف فى الأمر لتسوية مصلحتها .. ومن هنا كانت معارضتنا لهذا التصرف الذى سمحت به الحكومة البريطانية .. هذا الاجراء الانتقامى ضد ليبيا ..

ونحن نرى أن هذا التصرف لم يكن التصرف اللائق لتصريف شأن من شئون الدولة .. وخاصة ـ أنه فوق ذلك ـ أنه حتى هذه اللحظة ـ فإن الحكومة البريطانية الحالية .. والتى طالما انتقدتها فى مناسبات مختلفة .. إلا أن هذه الحكومة البريطانية الحالية .. حتى تلك المرحلة .. كانت تتبنى وجهة النظر بأنه ليس من حق أية دولة أن تتصرف بمفردها إذا هوجمت أو تعرضت لعمليات معادية .. ليس من حق هذه الدولة أن تأخذ فى يدها تلقائيا حق القيام بعمليات انتقامية .. ولقد وقفت هذه الحكومة البريطانية الحالية بالذات فى مناسبات متعددة فى مجلس الأمن .. تحتج بشدة على ادعاء إسرائيل بأن لها الحق فى ظل القانون الدولى .. وفى ظل الظروف السائدة .. أن تقرر متى وكيف .. ترتكب أعمالا انتقامية ..

إننا لا نؤمن بأن هذا حق .. ولقد حرصت الحكومة البريطانية على أن تلتزم بهذا الموقف السليم حتى وقعت تلك الغارة على ليبيا ..

ذلك أنه إذا أصبح مقبولا أنه حيثما وقعت أعمال ارهابية فإنْ من حق أى دولة بمفردها على سبيل الدفاع عن النفس أن تتخذ اجراءات انتقامية وعلى أية صورة من الصور ووفقا لمشيئتها ..

حق أى دولة بمفردها على سبيل الدفاع عن النفس أن تتخذ اجراءات انتقامية بالصورة التى ترى أنها تتفق مع مشيئتها وحدها .. فإن هذا إيذان بعودة الفوضى الدولية .. فإذا ماقامت كل حكومة بممارسة الحق الذى ادعته الولايات المتحدة لنفسها بالانتقام من ليبيا وعلى الصورة والطريقة التى جرى بها هذا الانتقام .. إذن فلن يكون هناك حدود للفوضى التى يمكن أن تعم العالم كله .. لذلك فإننا فى حزب العمال عارضنا بعنف الاجراء الانتقامى التصعيدى الذى قامت به أمريكا بل وكانت معارضتنا أشد عنفا ضد الحكومة البريطانية إذ سمحت أن تستخدم قاعدة على الأرض البريطانية فى تحقيق هذا العمل الانتقامى .. عارضنا ذلك فى مجلس العموم .. وامتدت المعارضة من حزب العمال إلى أحزاب وهيئات أخرى واعتقد أنه كان هناك رأى عام فى بريطانيا ضد هذا التصرف لا أقول أنه كان إجماعيا .. ولكن كان هناك قطاع كبير من الرأى العام البريطانى ضد هذا التصرف الانتقامى الأمريكى ضد ليبيا .. وضد تقديم بريطانيا قواعد على أرضها لتحقيق هذا العدوان .. ولعل أكبر مثال أقدمه على هذا أن صحيفة الديلى تلجراف وهى صحيفة محافظة وكانت قد ساندت العدوان على مصر عام ١٩٥٦ .. ولكن الديلى تلجراف وقفت بصراحة ضد هذا الاجراء الذى اتخذ ضد ليبيا .. وأعتقد أن هذه الصحيفة بموقفها هذا قد عبرت عن موقف قطاع كبير من المحافظين ..

وإننى ليستبد بى القلق العميق لمجرد أن الحكومة الأمريكية قد انتابها الشعور بأنها مخولة بموجب القانون الدولى لأن تتخذ هذا الاجراء الذى اتخذته .. بينما أعتقد أن هذا الاجراء هو فى حقيقته كان خرقا صريحا وصارخا لميثاق الأمم المتحدة .

وأعتقد أنه من بين الأهداف العديدة التى يجب أن نحمى بها المستقبل علينا أن نستعيد للأمم المتحدة مكانتها وسلطاتها .. واعتقد أن أكثر الدول احتياجا للاهتمام بهذا الأمر هى الدول المتوسطة القوة .. إذا كان لى أن أطلق عليهم هذه الصفة .. وأكثرنا دولا متوسطة القوة الآن .. فيما عدا القوتين الأعظم .. ونحن جميعا نعرف من هما .. ومشكلة القوتان الأعظم أنهما فى بعض الأحيان يتصرفان وكأنهما الغبيين الأعظم .. ومن ثم فإنه على القوى الأخرى الباقية أن تمسك بزمامها .. وكما سبق أن قلت فإن معظم الدول قوى متوسطة .. فبريطانيا قوة متوسطة .. ومصر قوة متوسطة .. وإسرائيل قوة متوسطة .. وهناك العديد من القوى المتوسطة فى هذا العالم والتى لها مصلحة قصوى فى استعادة سلطة ميثاق الأمم المتحدة وهيبة الأمم المتحدة بصفتها السلطة الأوحد لإيقاف العدوان فى هذا العالم ..

إن قمة الإثم فى الحالة الليبية أنها هددت .. هددت من جانب أكبر قوة من جانب أكبر دولة فى هذا العالم .. وكان هذا أوجب لنا أن نقول لهذه الدولة الكبرى لا .. ولكنه يؤسفنى جدا أننا لم نفعل ذلك .. وعندما يكون لنا فى بريطانيا حكومة جديدة فإننى أعتقد أن هذه الحكومة البريطانية الجديدة ستكون لها القدرة المطلقة لأن تقول للولايات المتحدة الأمريكية إن عليها هى الأخرى أن تلتزم بميثاق الأمم المتحدة شأنها فى ذلك شأن أى دولة أخرى .. سواء كان الاتحاد السوفيتى أو غيره .. فإن على الجميع أن يلتزموا بميثاق الأمم المتحدة .. وإن هذا يعنى أنه ما من أحد منهم يستطيع أن ينفرد باتخاذ اجراءات انتقامية من تلقاء نفسه وأن يقرر وحده كيف سيتصرف تجاه أى إساءة توجه إليه حتى ولو كانت هذه الإساءة بالغة ..

الجلسة الثالثة :

القسم الثالث :

المتحدث : كلود جوليان

فرنسا وأزمة السويس

كلمة : كلود چوليان

«مازالت هناك دول غربية تحلم مرة أخرى بالقضاء على نظم فى البلاد الأخرى وعلى قادة آخرين تماما مثل ما حدث فى عام ١٩٥٦ . عندما كان البعض يحلم بالقضاء على عبد الناصر.إنه بعد ثلاثين عاما مازال نفس الأسلوب فى التفكير مخيما على عقول أصحاب القوى . إن السيكولوجية السياسية التى كانت سائدة أثناء حرب السويس تفرض نفسها على الساحة المعاصرة» .

– المشاكل والعقبات التى كانت مطروحة عند تأميم القناة . امتدت حتى اليوم لدرجة يمكن اعتبارها مشاكل معاصرة .

– لست أشك أن ايزنهاور ودالاس يتقلبان اليوم فى قبريهما حسرة وندما على أنه بدلا من أن يكون فى طهران الدكتور مصدق قد أصبح فيها آية الله الخمينى .

الذين تخيروا لأنفسهم أن يقفوا فى صف واحد فى مواجهة الاستعمار ومناهضة الرفض الكامل له ..

الأستاذ هيكل : الآن لو أذنتم نأخذ استراحة لتناول القهوة ، ونتيح الفرصة لمن يريد الصلاة ثم نلتقى بعد نصف ساعة ..

وعادت الجلسة للاجتماع برئاسة الأستاذ محمد حسنين هيكل ..

الأستاذ هيكل : بإذنكم سنبدأ الجزء الثانى من الجلسة .. هذا الجزء يخصص لوجهة النظر الفرنسية .. الكاتب البارز والصحفى البارز.. كلود جوليان .. رئيس تحرير « الموند دبلوماتيك » الفرنسية .. التى نعرف كلنا مدى تأثيرها .. ومدى أهميتها .. يتفضل ويقول لنا وجهة النظر الفرنسية ..

السيد كلود جوليان : السيد الرئيس .. سيداتى وسادتى .. الأصدقاء الأعزاء : لقد شهدنا بالأمس مناقشات عالية المستوى .. تحدث فيها رجال بعضهم كان خلال أزمة السويس من كبار المسئولين فى موضع تحريك الأحداث وإدارتها .. والبعض الآخر كانوا شهود عيان مميزون .. وكذلك تحدث رجال من نوعية ثالثة .. أولئك الذين أخذوا على عاتقهم البحث عن الحقيقة من خلال التنقيب فى الأوراق والوثائق والمستندات وفتح الملفات القديمة المتعلقة بالأزمة .. هذه الأكداس من الأضابير التاريخية التى مازلت أعتقد أنها لم تستغل حتى الآن بصورة كافية ولم يستخلص منها كل ما تشير إليه ..

ولقد جاءت الكلمة القيمة التى ألقاها المستمر مايكل فوت صباح اليوم إثراء جديدا للندوة .. ولأفكارنا .. وأنا أؤيده تماما فى كل ما قاله حول

الارهاب الدولى ووجوب احترام ميثاق الأمم المتحدة ..

بل إن مستر مايكل فوت قد دفع الأمور إلى ما هو أبعد من ذلك .. فهو عندما أشار إلى معركة ووترلو .. قد لمس وترا حساسا .. لأن معركة ووترلو بالنسبة لنا ـ نحن الفرنسيين ـ تشكل أبعادا عميقة ..

فنى معركة ووترلو هزمت الجيوش الفرنسية أمام الجيوش البريطانية .. ولكن فى معركة السويس كانت الجيوش الفرنسية والجيوش البريطانية معا جنبا إلى جنب حيث واجها هزيمة مشتركة من نوع آخر .. وفى ظروف مغايرة .. ورغم النتيجة المأساوية للمعركة .. إلا أن تضامن بريطانيا مع فرنسا فى هذا الموقف ربما يمثل مرحلة هامة فى مسلك بريطانيا نحو أوربا .

وأود هنا أن أقول للمستر مايكل فوت إننى أقدر له كل الحيوية والحماس .. والقناعة الأصيلة .. التى تكلم بها عن التقاليد المتأصلة لدى قطاع كبير من شعبينا .. أولئك الذين تخيروا لأنفسهم أن يقفوا فى صف واحد فى مواجهة الاستعمار ومناهضته والرفض الكامل له ..

بيد أنى فى المناقشات التى جرت بالأمس وتواصلت صباح اليوم والتى كانت ثرية إلى حد كبير .. فإنها جعلتنى أتساءل عما إذا كان ممكنا الاتيان بجديد بعد هذا الذى قيل ؟ ولا أخفى عليكم أننى طرحت على نفسى هذا السؤال : ما هو الجديد الذى أستطيع أن أقوله ..

إن اجتماعنا هنا فى الذكرى الثلاثين لأزمة السويس .. لاأرى أنه لمجرد الاحتفال بمناسبة مرور ثلاثين عاما عليها .. وإنما هذه الذكرى تدعونا إلى التبصر والتفكير على ضوئها فى الأحداث الراهنة التى نمر بها الآن .. واعتقد أنه بهذا نكون قد حققنا الفائدة الرئيسية من لقائنا هذا ..

لذلك أرجو أن تأذنوا لى بأن أعرض عليكم ببساطة بعض انطباعاتى والتى أرجو أن تكون أساسية :

إن السير انتونى ناتنج قد كشف لنا بجلاء الدوافع البريطانية من حملة السويس وبخاصة دوافع إيدن الشخصية وكيف تركزت فى رغبته القضاء على زعيم وقائد دولة هو عبدالناصر رئيس مصر.. لذلك لن أعود بكم إلى الكلام عن ذلك الموقف.. ولكننى فقط أضيف أن ثلاثين عاما لم تكن كافية لكى يختفى هذا الأسلوب وهذا المفهوم من السياسة العالمية.. فما زالت هناك اليوم دولا غربية تحلم مرة أخرى بالقضاء على نظم فى البلاد الأخرى وعلى قادة آخرين.. تماما مثلما حدث عام ٥٦ عندما كان البعض يحلم بالقضاء على عبد الناصر..

فإذا انتقلت من هذا إلى الدوافع الفرنسية فلا شك أن حرب الجزائر كانت سببا فى أن تكون هذه الدوافع مختلفة تماما عن الدوافع البريطانية بل وأكثر تعقيدا منها..

لقد تحكمت فى الدوافع الفرنسية ــ إلى جانب عوامل أخرى ــ عاملان رئيسيان فمن ناحية كان هناك فى فرنسا جيش ودولة يشعران بالمهانة نتيجة هزيمتها فى الهند الصينية.. ومن هنا كانا يتعطشان إلى نصر سهل يسير يعيد الثقة إليهما وكان الاعتقاد أن هذا النصر سيكون فى معركة السويس..

ومرة أخرى أقول إنه بعد ثلاثين عاما مازال نفس الأسلوب فى التفكير مخيما على عقول أصحاب القوى العاتية.. فقد ورد هذا الاغراء نفسه على الساحة الراهنة المعاصرة..

والولايات المتحدة اليوم

فبعد الفشل الذى منيت به الولايات المتحدة فى فيتنام.. وبعد المهانة التى كابدتها أثر احتجاز الرهائن فى طهران والفشل الذريع المهين لعملية إنقاذ الرهائن.. وجدت الولايات المتحدة تعويضين يسيرين :

حققت نصرا ساحقا مؤزرا على جرانادا الضعيفة .. وقامت بغارتها على طرابلس وبنى غازى ! ...

ما أردت أن أقوله هو أن السيكولوجية السياسية التى كانت سائدة أثناء حرب السويس مازالت تفرض نفسها على الساحة المعاصرة ..

هذا بداية ..

ثم أعود مرة أخرى إلى ١٩٥٦ .. إننى أعتقد بأمانة أن الحكومة الفرنسية عام ١٩٥٦ كانت على قناعة تامة بأنها إذا استطاعت أن توجه ضربة قوية خاطفة إلى مصر عبد الناصر فإن ذلك سوف يغير جذريا ظروف الصراع فى الجزائر ..

كانت النفوس الضعيفة .. والضعيفة فقط .. هى التى تعمى عيونها عمدا عن الأسباب الحقيقية للمشكلة .. ثم تختلق لنفسها تبريرات تعلم أنها غير موجودة .. وتشير بأصابعها إلى عدو حقيقى أو مختلق ثم تضفى عليه صفات الشيطان وهكذا كان شيطانهم عندئذ هو عبد الناصر ..

ويبدو بوضوح بعد ثلاثين عاما .. وبعد استخدام هذه الآلية ضد مصر الناصرية .. أن النفوس الضعيفة مازالت موجودة .. بل إنها تكاثرت اليوم أكثر مما يمكن أن نتصور للوهلة الأولى .. وأنها للأسف تتقلد سلطات كبيرة ..

ثم أنتقل إلى دوافع إسرائيل فأشير إليها بسرعة لأننى لا أشك فى أنكم تعرفونها جميعا ويكفى أن أقول إنها تؤكد نفسها بوضوح فى دوامها وفى استمراريتها المتعنتة ..

ولكن ليس هذا فى رأيى جوهر الموضوع .. وإنما يبدو لى أن جوهر الموضوع يكمن فى التسامح المتزايد والتشجيع الذى تتمتع به الدوافع الاسرائيلية فى قطاعات كبيرة من الرأى العالمى .. وهو ما شهدناه بوضوح أثناء غزو لبنان : تسامح غريب وغير مفهوم حيال عمليات استعراض القوة الذى تمارسه

إسرائيل .. وحيال اعتداءاتها المتكررة على شعب مقهور ..

ويمتد هذا التسامح الغريب ليشمل مواقف عدوانية أخرى .. حيث تقهر الشعوب .. وحيث يهدد السلام العالمى ! ..

فى مثل هذه المواقف يندر الآن أن نجد ردود فعل .. وإذا حدث أن وجدت فإنها تأتى متأخرة وعلى استحياء .. مثل هذا الوهن المتردى الذى ووجهت به أعمال التمييز العنصرى فى جنوب أفريقيا .. ومثل ذلك الخنوع المتواطئ الذى استقبل به الارهاب التى تمارسه دولة كبرى ضد نيكاراجوا مثلا ..

إن الديمقراطيات العريقة تصبح ضعيفة واهية .. عندما تعتقد أنه يمكنها استخدام القوة ضد ظواهر حقيقية رفضت هذه الديموقراطيات أن تحلل أسبابها .. ومن هنا فإن أزمة السويس ستظل حتى اليوم مثالا حيا على الصعيد الدولى لمثل هذا السلوك ..

وليس أدل على استمرار التمسك بهذا الفهم الخاطئ من أن الوزير الاشتراكى الذى كان مسئولا عن إدارة الدبلوماسية الفرنسية إبان أزمة السويس .. قد نشر مؤلفا بعد عشرين عاما من الأزمة .. أصر فيه هذا الوزير الاشتراكى على ألا يرى فى أزمة السويس سوى أنها كانت حدثا عابرا ..

ولكن فى مؤلف آخر لمؤرخ فرنسى نشره منذ أربعة أعوام .. كان لهذا المؤرخ رأيا معاكسا .. إذ إعتبر أن أزمة السويس كانت من أهم الأحداث الرئيسية فى القرن العشرين .. وقال شارحا رأيه :

«إنه على العكس من فكرة شاعت فى الغرب وفى الشرق على السواء فإن الدور التاريخى (للإسلام العربى) .. ثم بعد ذلك (للإسلام غير العربى) تمثل فى إثبات أن المجتمعات تستطيع أن تسلك منهجا آخر غير المنهج الرأسمالى أو المنهج ذو الطابع السوفيتى» ..

فإذا عدنا للوراء ثلاثين عاما .. فإن الصورة التى كانت تجرى عندئذ هى نفس الصورة التى نجدها فى قلب الأحداث المعاصرة .. حيث أنه كثيرا من البلدان ما زالت تسعى اليوم لأن تجد لنفسها طريقا أمثل يناسبها ويناسب ظروفها .. طريقا ذاتيا لا يكون نسخة طبق الأصل من واحد من النظامين اللذين تسير عليهما القوتان الأعظم .

القوتان الأعظم والدول الصغيرة

وكانت هذه الأمنية الطموحة أكثر قوة من ثلاثين عاما عما هى عليه اليوم .. لأن القوتين الأعظم لا ييسران على تلك البلدان أن تحقق لنفسها هذا الأمل .. وما الذى يعنى القوتين الأعظم لكى تقدم هذا التيسير.. إن الكبار قبل شىء لا يعنيهم سوى مشكلاتهم الخاصة .. والدور الذى يلعبونه .. على الرغم من بعض الخطب الرنانة الشكلية التى لا تساعد فى شىء تلكم الشعوب الأخرى الأقل قدرة على حل مشكلاتها ..

مثلا فى الولايات المتحدة بصفة خاصة فإنه للأسف قد حلت نزعة وطنية فيها كثير من العنجهية والأنانية محل النزعة الدولانية التى كانت سائدة فى الزمن الماضى .. والتى كانت تتميز بالاهتمام بالمشاكل الدولية والسعى إلى التوفيق بين الدول .. أما اليوم فقد أصبح أقصى ما تستطيع أن تفعله الشعوب ذات القدرة الأقل هو أن تحاول أن تحقق بعض الفائدة باستغلال مشكلات الكبار أو استغلال الخلافات التى لا تفتأ تنشأ دائما بين القوتين الأعظم ..

وأيا ما كان يقوله بعض خبراء السياسة «بأن العالم ليس فى الحقيقة متعدد الأقطاب فيما يتعلق بعلاقات القوى دائما تسيطر عليه المنافسة بين القوتين الأعظم وإن كانت هاتين القوتين حريصتان على عدم الانزلاق إلى صراع مباشر. وإنما هما يتصارعان والمواجهة بينهما تتم من خلال الدول الصغيرة .. أى أنهما يسعيان فى سبيل خدمة استراتيجيتهما إلى استغلال المائة والثلاثين نزاعا

تقريبا التى أدمت العالم الثالث منذ عام ١٩٤٥ حتى الآن .. » .

فإذا كان بالإمكان أن نستخلص من هذه المآسى والصراعات السياسية دروسا فإنى أعتقد أن هذه الدروس تتلخص فى الآتى :

أولا : أن دول أوربا وأفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية ليس لديها فى واقع الأمر أية مصلحة فى تبنى صراعات القوتين الأعظم .. بل إن هذه البلدان لا تملك فى يديها الامكانيات المادية لكى تصيغ حركتها الاقتصادية وفق الأطر التى تطرحها أى من القوتين الأعظم ..

ورغم أننا وصلنا اليوم إلى مرحلة متقدمة ــ أكثر من أى وقت مضى ــ من تحقيق التبادلات والمقايضات الدولية .. فإن جميع هذه البلدان ــ ولابد أنكم لاحظتم أننى أدرجت البلاد الأوروبية بينها ــ فإن جميع هذه البلدان لديها من الأسباب القوية ما يجعلها ترفض هذه الأطر الشمولية .. وتتجنب الوقوع فى أحابيلها ..

فبعد أكثر بقليل من عام واحد على مؤتمر باندونج .. حدثت أزمة السويس .. وأحدث دويها صدى بعيدا شكل مرحلة حاسمة فى تاريخ شعوب العالم الثالث .. ودفع قدما حركتها فى سعيها لإيجاد طريق متميز ومستقبل لنفسها ..

نعم . حطمت أزمة السويس بدويها الهائل .. هذا التميز المتعصب الذى كبل طويلا إرادات الدول التى سميت فيما بعد بدول عدم الانحياز .. والذى كان يحاصرها باليأس والضغوط الطاغية عليها .. وأججت أزمة السويس طاقات هذه الدول .. ولكن مع كثير من الأسف فإنه لا شك أن حركة عدم الانحياز لم يقدر لها أن تأتى بكل الثمار التى كان يصبوا إليها مؤسسو هذه الحركة ..

وأعتقد أن لقاءنا اليوم فى العيد الثلاثين لأزمة السويس يوفر بلا شك

فرصة مميزة لكى نتساءل عن العوائق التى عرقلت مسيرة عدم الانحياز وسببت لهذا الكم من الفشل والانحسار عن بلوغ غاياتها .. ولا شك أن مفتاح المشكلة قد قدمه الرئيس عبدالناصر نفسه فى سياق خطابه الذى أعلن فيه عن تأميم شركة قناة السويس واقتبس منه قوله :

«إن الفقر ليس عارا .. ولكن العار الحقيقى هو استغلال الشعوب» .

وفى اعتقادى أن التأميمات التى حدثت فى مصر كان لها ما يبررها .. بل فى رأيى أنها كانت ضرورية .. فقد أتاحت للشعب وللدولة أن يستعيدا سيادتهما على الثروات التى هى حق شرعى للبلاد ..

ولئن كانت هذه التأميمات لم تقض لا على الفقر ولا على الاستغلال الذى تحدث عنهما عبدالناصر فما ذلك إلا لأنه فى غضون ذلك الوقت أصبحت ميكانيكية الاستغلال أكثر تطورا وتعقيدا .. كما أن المشاكل والعقبات التى فرضت نفسها وقت عملية تأميم شركة قناة السويس لم يمكن اجتيازها .. بل إن هذه المشاكل والعقبات التى كانت مطروحة إبان تأميم القناة امتدت حتى اليوم لدرجة يمكن اعتبارها مشاكل معاصرة .. كل ما فى الأمر أنها بدلت مواقعها الزمنية .. وملامح بنيتها .. ولكنها فى جذورها هى نفس المشاكل التى فرضت إثر تأميم القناة .. فمنذ تلك اللحظة حتى الآن وبأساليب جديدة متطورة ... ورثت على صعيد أكبر عملية نهب ثروات البلاد وعمليات الاستغلال .. لا سيما عن طريق التبادلات التجارية من خلال الهوة المتزايدة بين أسعار المواد الأولية التى تصدرها هذه البلاد وبين أسعار المنتجات الصناعية التى تستوردها .. وموازيا لهذا الاستغلال الفاضح كان التحكم فى معدلات الفائدة لتهيئة هروب رءوس الأموال من بلاد العالم الثالث نحو جنات الليبرالية .. ثم صحب هذا كله تطور جهنمى لمشكلة سداد ديون العالم الثالث .. إلى آخر هذه الأحابيل التى وقعت فيها بلاده ..

ولا شك أن توكيد الهوية الوطنية .. والدفاع عن المصالح القومية ..

واحترام السيادة الوطنية .. كلها أمور أصبحت اليوم أكثر صعوبة وتعقيدا من مجرد عمليات التأميم ..

ويكفى أن أسوق لكم مثالا بسيطا أمثله عن مستر شولز الذى أكد على أنه نتيجة ارتفاع معدلات الفائدة .. فقد هربت من بلاد أمريكا اللاتينية إلى الولايات المتحدة حوالى مائة مليار دولار خلال ثلاث سنوات فقط ..

كذلك فإن النشرة الدورية لبنك تشيس مانهاتن تقدر رءوس الأموال العربية فى أمريكا بعشرات عديدة من مليارات الدولارات ..

ولا شك أن خبراء الاقتصاد فى مصر يعرفون أفضل منى وأكثر منى .. ما يتعلق بمصر.. ويستطيعون أن يقارنوا هذه الأرقام .. بحصيلة إيرادات استغلال قناة السويس المؤممة ..

فإذا كانت النظم الاستغلالية التى تمارس ابتزاز موارد العالم الثالث قد رسمت خططها على أسس قاسية .. مجردة من المشاعر لا ترعى ضميرا أو وازعا .. فإن عيارها اليوم قد انفلت تماما .. وانفجر سعارها الجنونى للاستغلال إلى درجة أنه تمادى وتجاوز حتى هذه الأسس القاسية التى رسمت لخططها من قبل ..

إن عالم النقد الدولى قد أصبح مجنونا بالفعل .. إلى درجة أن ديون الحكومة الفيدرالية الأمريكية قد تضاعفت أربع مرات فى ظل رئاسة ريجان لكى تتجاوز ألفى مليون دولار.. أى ضعف إجمالى مديونية العالم الثالث بأسره .. إن البنوك الأمريكية التسع الكبرى قد خصصت لقروض العالم الثالث قرابة ٢٥٠٪ من أصولها واحتياطيها .. الأمر الذى يضعها فى موقف قابل للانهيار إلى حد كبير.. وعلى قدر علمى فليس هناك خبير مصرفى واحد فى أوربا أو فى الولايات المتحدة يؤمن بأن هذه القروض سوف تسترد بالكامل .. بل إن ميلتون فريزمان الذى يعتبر حجة خبراء النقد فى العالم يعتبر أن هذه الديون ليست ذات قيمة فعلية وينصح بأن تطرحها فى الأسواق فى صورة

سندات لعلها تجد مشترين وبأى سعر يمكن الحصول عليه .. فهذا أفضل من العدم .. وأنا أنصحكم بألا تشتروا سندات هذه الديون مهما رخص سعرها لأن شراءها سيكون صفقة خاسرة ..

النظام النقدى المختل

إن الجهود المبذولة للخروج من ربقة التخلف والافلات من الفقر والتحرر من أى استغلال خارجى .. هذه الجهود جميعها تواجه ظروفا عسيرة وتلقى مقاومة عنيدة فى مواجهة نظام نقدى متضارب ومختل إلى درجة أنه لم يعد نظاما على الاطلاق .. وأصبح محتما رفض المفاهيم التى تسمى بالليبرالية والتى أصبح فشلها أكثر وضوحا وبصورة أكبر حتى فى أعين الذين ابتدعوها ..

إن الأمانى الوطنية والتطلعات القومية التى كانت تسيطر بالقطع على الساحة السياسية أثناء حملة السويس مازال حتى يومنا هذا متأججة إلى حد بعيد فى العالم ولكن التناقض الغريب أنها لم تؤد إلى تشاور فعال بين كل الدول التى من مصلحتها الأكيدة أن توحد نزعاتها القومية لتواجه ككل الأخطار الرئيسية المحدقة بها ..

ولعلى على وجه الخصوص أشير إلى أن التطلعات الوطنية لم تسفر عن عمل مشترك للدول المديونة لمواجهة الموقف مواجهة موحدة .. بل على العكس فإن كلا من هذه البلدان تواصل التصرف منفردة لما تظنه فيه مصلحتها .. محدوة بأمل واه خداع بأن تصل إلى حد منفرد موات لمشكلتها الخاصة .

وصدقونى إننى لا أغالى فى تجسيد صعوبة هذا الموقف الراهن .. إنه أشد صعوبة من مرحلة السويس .. كان تأميم قناة السويس عملا رائعا .. ورمزا شجاعا لتحقيق السيادة الوطنية .. ولكنه كان عملا محددا واضح المعالم .. كان يتعامل مع حقيقة واقعية مرئية وملموسة على أرض الوطن المصرى وترابه ..

ولكن اليوم .. الوضع الراهن يختلف .. رموز السيادة الوطنية أصبحت

أكثر غموضا .. وتحقيق الاستقلال الذاتى للدول والحكومات أصبح يمر فى متاهات يصعب فهمها .. ويصعب تحديد معالمها .. لأن السيطرة الأجنبية ومحاولات الاستغلال الأجنبى لم تعد واضحة صريحة ومحددة كما كانت أيام السويس .. وإنما أصبحت مخفية تحت أقنعة من آليات العلاقات الدولية .. شديدة التعقيد لا تستطيع الجماهير العريضة أن تفهمها وأن تستبين مراميها ..

كل مواطن هنا فى مصر كان يستطيع أن يفهم قضية السويس للوهلة الأولى .. ولكن من الصعب جدا الآن على المواطن العادى أن يفهم أساليب الأسواق الدولية وأن يتحسس الشراك المستترة وراء المناورات الاقتصادية الدولية ..

منذ ثلاثين عاما تورطت الحكومات الفرنسية والبريطانية والاسرائيلية فى مغامرة غير عادلة ولا مبرر لها .. هل تستطيع هذه الحكومات الثلاث الآن وبعد ثلاثين عاما من هذه المغامرة الفاشلة أن تبدى قدرا أعمق من التفهم والروية فى رؤيتها لما يجرى ؟ ! ..

أنا أعتقد أن هذه الدول الثلاث ليست بعد مستعدة لأن تدخل فى مفاهيمها وحساباتها أن مصلحتها الوطنية على المدى الطويل تتمثل قبل كل شىء فى تجديد قواها لرفع الظلم السياسى الصارخ والمعاناة غير العادلة التى تتعرض لها الشعوب المحرومة من الوطن وفى مقدمتها الشعب الفلسطينى ..

ليست هذه الدول بعد مستعدة لأن تفهم أن من مصلحتها رفع الظلم الاقتصادى الواقع على الشعوب نتيجة ذلك النظام العالمى الراهن الذى يزيد من تفاقم الاضطراب والخلل فى الميزان الدولى .. ويغذى بتزايد مستمر فقرا غير مقبول ترزح تحت عبئة شعوب الدول النامية ..

على مدى عقود ثلاثة .. وبعد تقسيم فلسطين .. ما زال الغرب يعامل الفلسطينيين كمجرد لاجئين .. إن سخف هذه التسمية يعكس هنا فقر الفكر الغربى .. فإنه لا يمكن أن يكون المرء لاجئا وأن يظل لاجئا مدى الحياة .. عبر

جيلين .. وكان يتعين الانتظار حتى منتصف السبعينيات لكى يقرر الأوربيون فى مؤتمر قمة لندن التحدث عن الحقوق الوطنية للشعب الفلسطينى وإن كانت هذه العبارات الجميلة المنمقة التى جاءت متأخرة قد ظلت عمليا بلا فعالية تقريبا حتى اليوم ..

ونحن نعرف جميعا أى نوع من الضغوط تعرضت لها أوربا لكى تستسلم فى هذه القضية.. ولم تكن الضغوط الإسرائيلية أيا كان حجمها كافية للوصول إلى هذه الحالة .. وإنما احتاج الأمر أيضا وعلى الخصوص إلى الضغوط الأمريكية ذات الفعالية الخاصة على الدول الأوربية التى تعانى منذ فجر الحرب الباردة حالة من الذعر والترقب لوصول المدرعات السوفيتية ..

إن الهوس السيكولوجى للحرب الباردة الذى سيطر على الساحة الأوربية قد شل وما زال يشل وسيظل يشل الدبلوماسيات الأوربية ..

إن مثل هذا الهوس المتسلط والمستمر يؤدى إلى حالة تجمد سيكوباتيه ويحول ــ لسوء الحظ ــ دون وجود إسهام فعال من جانب الدول الأوربية لحل المشكلات الحقيقية ..

الغرب وصراع الشرق الأوسط

وعلى مدى ثلاثين عاما منذ حملة السويس.. وحتى الآن.. ماتزال الديموقراطيات الغربية تتحمل مسئولية جسيمة حيال تصاعد الصراع فى الشرق الأوسط وتفاقم أزمته .. على هذه الصورة التى تجرى والتى أدت إلى تدمير لبنان .. وتفشى ظاهرة العنف .. ومن المؤسف المثير للألم أن واشنطن تضيف كل هذه الأزمات المأساوية تحت صفة «الصراعات الأقل حدة» .. بيد أن هذه الصراعات تعد أكثر حدة وكثافة دموية عما كانت عليه خلال العقود الماضية .. ثم يأتى فوق هذا سعى شرس لتجنيد الغرب كله فى حرب صليبية ضد الارهاب .. بقصد التعمية على المشاكل الحقيقية وإخفائها ..

لذلك فإن فى أوربا اليوم أقلية تحارب هذه النزعة الصليبية الظالمة .. ولأن صحيفتى : «الموند ديبلوماتيك» تنتمى إلى هذه الأقلية فقد حرصت على أن أكون موجودا بينكم اليوم .. ولا أعتزم الخوض هنا فى مناقشة عميقة حول الارهاب .. فأنا أؤيد تماما ما ذهب إليه المستر مايكل فوت فى كلمته صباح اليوم .. ولكنى فقط أقول :

إن اثارة نعرة الحرب الصليبية ضد الارهاب تستهدف أساسا تجميع الطاقات وتحقيق ترابط ـ ولو مظهرى ـ بين دول هى فى الواقع متعارضة المصالح ويشتعل التنافس بعنف بينها على الصعيد التجارى والاقتصادى ..

وإذ أقترب من خاتمة حديثى اسمحوا لى .. وبتواضع شديد .. أن أقتبس ما كتبته وأنا صحفى صغير منذ ثلاثين عاما فى صحيفة «تيموايناج كريتين» أى (شهادة مسيحى) كتبته تعليقا على أزمة قناة السويس حيث قلت «إن الاحتياجات الاقتصادية لا تبرر أية ديكتاتورية .. ولا تبرر لأنانية وغباء الديموقراطيات ذات المستوى المعيشى العالى أن تحقق ثمارا من المآسى التى تتعرض لها البلدان متخلفة النمو التى تصبو إلى الرفاهية والاستقلال الحقيقى» ..

إن هذه الأسطر التى كتبتها عندئذ ما تزال سارية منطبقة على حقيقة وواقع الحال حتى يومنا هذا .. ولقد أردت بها أن أؤكد أننا متضامنون معا فى السعى نحو تحقيق الكرامة المشتركة للجميع ..

إن الخوف مما كان يسمى «بتصاعد القومية العربية» قد دفع بدولتين أوربيتين عام ١٩٥٦ إلى التورط فى مغامرة غبية غير أخلاقية .. عقيمة ومؤسفة ومدمرة ..

ولكننا اليوم وبعد مرور ثلاثين عاما على تلك المأساة نجد أننا مازلنا نعايش هذه المفاهيم .. فما أسهل اليوم من إثارة ذعر الرأى العام فى تلك البلدان ذاتها .. وتحريضه هذه المرة ضد ما يسمى بالنزعة الإسلامية ..

ولست أشك فى أن ايزنهاور ودالاس يتقلبان اليوم فى قبريهما حسرة وندما على أنه بدلا من أن يكون فى طهران «الدكتور مصدق» فقد أصبح فيها آية الله الخومينى ..

ومما يؤسف له أننا فى مواجهة كثير من المواقف التاريخية الحاسمة .. لم نتعلم بعد أن ننظر إلى الشعوب كما هى .. وأن نتعامل مع واقعها الحقيقى .. وأن نحترم كرامتها ومصالحها ..

وأخشى ما أخشاه أن يشجع تفاقم الأزمة الاقتصادية .. وظواهر الكساد العالمى الراهن .. الاستمرار فى هذا الاتجاه اللا واقعى والاغراق فى الوهم .. مما يؤدى إلى الاندفاع إلى الازدراء بحقوق الآخرين وخاصة إذا كانوا أكثر ضعفا ..

إن مثل هذا المفهوم وهذا السلوك إن دل على شىء فإنما يدل على عجز هذه القوى التى تتخيل أن فى إمكانها أن تعصف بالآخرين فى سبيل تحقيق مصالحها .. إن عالم اليوم قد أصبح أكثر ضعفا .. أضعف وأهش بكثير مما كان عليه عام ١٩٥٦ .. إننا نمر بمرحلة من الجشع الاقتصادى فى زمن تصاعدت فيه قوى التسلح المدمر على الجانبين .. بصورة مرعبة ومريعة لم تكن عليها أبدا فى تلك الحقبة التى انقضت منذ ثلاثين عاما .. إنها اليوم أكثر مدعاة للخوف والرعب ..

إن الظروف الهشة لعالم اليوم الضعيف .. تعد سببا إضافيا ودافعا قويا لإبداء مزيد من الحكمة والحنكة ومن رباطة الجأش .. وأعتقد أيضا أننا فى أشد الحاجة إلى أن يكون لدينا مزيد من التصور .. ومزيد من القدرة على الابتكار لكى نجد مخرجا فعالا .. الأمر الذى يزيد من ضرورة وحتمية أن يتم فى هذا الجزء من العالم اتفاق على وضع سياسة متوازنة تأخذ فى الاعتبار مصالح وتطلعات وكرامة كل الأطراف ..

إنه رغم مخاوفى وقلقى العميق الذى حاولت أن أخفف عرضها عليكم إلا

أن الأمل الذى أصبو إليه كبير فى أن نصل إلى تحقيق هذه الصيغة طواعية واختيارا ..

إن إرادة الاستقلال الوطنى قد أصبحت اليوم أكثر من أى وقت مضى .. واحدة من أعظم القوى التى تصنع التاريخ .. ولقد أسعدنى أن رجلا مثل ديجول قد استطاع أن يدرك هذه الحقيقة فى الوقت المناسب ..

إن إرادة الاستقلال الوطنى لا يمكن أن تكون حكراً على دول بعينها دون غيرها .. كذلك لا يمكن أن تكون هذه الإرادة حكراً على الحكومات دون شعوبها .. ذلك أن هذه الحكومات وهذه الدول فى حاجة إلى مساندة شعوبها .. وهذه المساندة لا يمكن أن تتأتى إلا بالمشاركة الحرة للمواطنين ..

وليس هناك فى رأيى سوى سبيل واحد لحشد طاقات الشعوب .. الشعوب الحريصة على كفالة استقلالها وكسب الاحترام .. وهذا السبيل .. هذا السبيل الوحيد .. هو الذى يأخذ فى الاعتبار .. بشكل أو بآخر .. المعطيات التاريخية .. والتراث الثقافى والخصائص المميزة للحضارات المختلفة هذا السبيل .. بشكل أو بآخر .. اسمه الحرية والديموقراطية ..

وشكرا ،،،

الجلسة الثالثة

القسم الثالث

مناقشة حول دور فرنسا في أزمة السويس

شارك فيها :

د . محمد عبد اللاه ـ د . محمود عبد الفضيل ـ د . إبراهيم صقر ـ محمد سيد أحمد ـ محمود توفيق ـ د . عواطف عبد الرحمن ـ أشرف بيومى

- عند كل جولة من جولات إعادة جدولة الديون ، يتم التفريط تدريجيا فى بعض أدوات السياسة الاقتصادية .
- أموال البترول التى تدفقت ، هل استطاعت أن توطد الاستقلال أم أنها وفرت صيغة جديدة للتبعية .
- جميع عقود نقل التكنولوجيا فى العشر سنوات الأخيرة ليس فيها موقف للمفاوض العربى أو المصرى .

الأستاذ هيكل : أرى أن الكلمة الأخيرة لكلود جوليان أحدثت أمرا هاما جدا .. ذلك أنه لم يتكلم عن الماضى .. ولكنه ربط الماضى بالمستقبل وبالحاضر .. وأدلى لنا بتصور عن نوع الوطنية القادمة .. الوطنية المبسطة .. ثم المشاكل اللى نعرفها وواجهناها مرات متعددة ..

اليوم قد اختلفت أشكال السيطرة .. ولم تعد كما كانت فيما مضى .. ولم تبق سهلة .. ويا ليت التعليقات فى الفترة القادمة ، تأتى فى هذا الاتجاه .

تفضل يا دكتور محمد عبد اللاه .. فى الحقيقة أنا كنت أريد أن أورطك ، لكن حسنا .. هذا أنت قد تطوعت .. الدكتور محمد عبد اللاه رئيس لجنة الشئون الخارجية فى مجلس الشعب .. ويسرنى أن تتوافر وجهة نظر ثانية أيضا .. فهذا جميل جدا .. حيث فى الندوة التى جرت فى إسرائيل ، كانت الدولة موجودة .. وكانت تشارك .. وكان هناك بيريز .. وكان هناك غيره ـ لا أقارنك بهم لا سمح الله ـ وكان هناك رابين ..

جميل أن تتحدث الناحية الثانية من المنصة .. تفضل .

البعد الاقتصادى لمعركة السويس

الدكتور محمد عبد اللاه : أشكرك يا سيادة الرئيس .. وأشكرك يا مسيو كلود جوليان فقد تأثرت حقيقة بكلمتك ذلك أنك كما قال الأستاذ هيكل لم تتناول فقط أحداث الماضى وإنما ربطته بالحاضر واستخلصت لنا منه درسا للمستقبل .

فى الواقع سيادة الرئيس فى خلال مناقشات الأمس صباحا واليوم ظهرت ثلاثة أبعاد لسنة ١٩٥٦ ..

البعد الأول وهو الذى أشار إليه الأستاذ محمد حسنين هيكل بالأمس وهو أن ١٩٥٦ قد نقلت عبد الناصر من مرتبة رئيس دولة إلى مصاف زعيم لحركة العالم الثالث وهذه حقيقة .. لا يستطيع أن يتجاهلها أى منصف للتاريخ ..

البعد الثانى : هو فشل سياسة اللجوء إلى القوة العسكرية لفرض الأمر الواقع على العالم الثالث ..

واليوم نقلنا كلود جوليان إلى البعد الثالث .. البعد الاقتصادى .. وأنا أذكر هنا ما قاله موريس دوفرجيه عن أن ٥٦ قد غيرت العلاقة بين ما يسمى بالعالم القديم وبين العالم الثالث .. وهو نفس المفهوم الذى أشار إليه كلود جوليان هذا الصباح ..

ولكن .. فى واقع الأمر.. أنه لم يتغير فقط المفهوم .. بمعنى أن دول العالم الثالث تمكنت من السيطرة على مواردها .. ولكن تغير أسلوب السيطرة أو محاولات السيطرة على موارد العالم الثالث ..

وأظن أن هناك مراجع كتبت عن ٥٦ .. وتعتبر أنها كانت نقطة تحول فى تغير الأسلوب من السيطرة المباشرة إلى السيطرة غير المباشرة .. وده متهيأ لى موضوع هام جدا .. والفضل لهذه الندوة مؤكد فى أنها ألقت الضوء على هذا البعد الجديد الذى يستحق دراسات عديدة وكثيرة فى هذا المعنى ..

ولقد أشار كلود جوليان إلى نقطة مهمة جدا .. وهى الربط بين ما حدث من موقف فرنسا فى مواجهة مصر.. ومساندة مصر للجزائر. وقيل أيامها ما معناه أنه لكى تبقى «الجزائر فرنسية» يجب احتلال القاهرة .. أى أن القاهرة هى مصدر القلق فى الجزائر..

وهذا البعد هام جدا .. لأنى أتصور أن ٥٦ هى التى أكدت وأعطت الالتزام العربى لمصر أبعادا جديدة ومختلفة .. وأحيت فى العالم الثالث نوعا من التآلف والشعور بما سماه كلود جوليان بالشعور الوطنى .. ولكن أعطته بعداً مختلفا وبعدا جديدا .. بعدا نضاليا .. وبعد التعاون .. وبعد الانتماء إلى نفس القضايا ..

وامتد هذا - كما أشار الأستاذ هيكل بالأمس - إلى أمريكا اللاتينية وأفريقيا .. ووجدنا أن التزام مصر فى اتجاه قضايا العالم الثالث قد تغير بشكل واضح بعد ٥٦ وأرى فى بعض الأحوال اللى يمكن نوع من التدخل المباشر لمساندة بعض الدول .. وقد يحكم التاريخ على مدى ما حققته من نتائج سلبية أو إيجابية كانت .. ولكن الحقيقة هى أن ٥٦ أعطت هذا البعد الجديد : «وحدة» ليست فقط فى الشعور ولكن بعدا جديدا لوحدة المصالح ووحدة الانتماء بالنسبة للعالم الثالث ..

ولذلك أنا أحيى هذه الندوة لأنها ألقت الأضواء على بعض الأبعاد الجديدة التى نستطيع أن نستفيد منها اليوم وغدا ..

وشكــرا ،،،

الأستاذ هيكل : هذه الندوة ذكرت فيها مبادئ لا بأس بها .. وهى دعوة إلى الناس حتى إذا لم يكونوا مستعدين أو جاهزين ..

لكنى أرى أننا فى الحقيقة انتقلنا .. أو أن المناقشة تجرنا فعلا إلى نوع السيطرة القادمة .. وفى اعتقادى أن هذا موضوع مهم جدا .. ويا ليت الأستاذ حمروش بعد ذلك يهيئ لنا ندوة أخرى .. لأن مشكلة الديون ومشكلة السيطرة المالية .. موضوع هام فعلا .. شكل السيطرة القادمة .. يا ليت مرة أخرى تعقد مرة أخرى تعقد لنا ندوة عن هذا الموضوع .

بهذا كنت أريد استدراج الدكتور محمود عبد الفضيل .. حيث أراه جالسا بعيدا صامتا .. وقد حاولت أن أحدثه .. وحاولت أن أشير إليه .. ولكنه لم يستجب ..

أستاذ عبد الفضيل .. ألا تريد أن تتحدث فى هذا الموضوع؟ دكتور عبد الفضيل تفضل فهذا موضوعك .

دكتور إبراهيم صقر .. وهو موجود .. محمد .. هل تريد أن تقول شيئا شرط أن يكون حديثك مختصرا ..

آليات السيطرة المعاصرة

محمود عبد الفضيل : لو سمحتولى سأتكلم بالعربى من أجل أغلبية الحاضرين .. باختصار شديد أهم ما جاء فى هذه الندوة هو النظر إلى السويس أو إلى حرب السويس من خلال نظرة مستقبلية .. بمعنى أن ما حدث فى ٥٦ .. وكما أوضح ببراعة الأستاذ هيكل بالأمس .. ليست مجرد حدث تاريخى .. أو نحن لا نقلب فقط فى صفحات التاريخ الماضى بل نقلب بشدة فى تاريخ الحاضر .. بشدة ..

بمعنى أن هذه الأيام آليات السيطرة وآليات المجابهة هى اللى تغيرت .. ولكن مضمون الاستهداف موجود ..

مصر بثقلها الجغرافى .. والتاريخى .. مستهدفة دوما من عصر محمد على .. مرورا بعرابى .. بثورة ١٩ مرورا بـ ٥٦ .. وإلى اليوم ..

فإذا كانت المقابلة بين عرابى وهزيمته .. وعبد الناصر وانتصاره فى نفس المعركة .. من نفس النوع .. بنفس الحملة البريطانية لاحتلال البلد ..

كان المطلوب كما أوضح السير أنتونى ناتنج أن ناصر يقبض عليه .. وأن

تغزى القاهرة كما حدث عام ١٨٨٢ ..

كانت أيضا المقارنة الأخرى بين مصدق وفشله فى التأميم الذى كان ضحية لكل الطموحات فى السيطرة على الموارد الأساسية .. وبين نجاح عبد الناصر فى تأميم قناة السويس .. كانت هذه المقارنة أو المقابلة كما أوضح الأستاذ هيكل بالأمس .. أن هناك ضمانات أكبر فى حالة تأميم مرفق خدمة .. عن تأميم سلعة استراتيجية زى البترول لا يصلح فيها العمل المنفرد ..

ثم جاءت منظمة الأوبك بعد كده .. ونجحت إلى حد ما فى أنها تعمل استراتيجية للمجابهة .. ولكن هذه الاستراتيجية انهارت هذه الأيام .. وهنا بيفصح لنا أننا إذا اعتمدنا على خط دفاع واحد فقط وليس على مجموعة خطوط دفاع ستكون هناك أزمة فى المجابهة ..

باختصار شديد .. ودون الدخول فى تفاصيل .. أعتقد أن العالم الثالث يواجه .. ومصر والعرب يواجهون هذه الأيام .. بل فى هذه اللحظة ثلاث آليات للسيطرة الجديدة ..

الآلية الأولى : هى شروط التبادل التجارى .. أنواع التبادل التجارى .. السلع اللى بتصدروالسلع اللى بتستورد .. بأى أسعار ؟ .. بلا جدال نحن نصدر سلعاً أولية.. سواء أكانت قطنا أصبحت بترولا .. وشروط التبادل أسعارها بتنهار .. والسلع المستوردة سواء رأسمالية أو استهلاكية أسعارها بتتصاعد .. وأكاد أقول إنها أسعار ابتزازية .. دى أول آلية من آليات الاخضاع .. وأنه يجيبلك صناعة تبقى هنا مرتبطة بالتصدير أساسا عشان تكون الصناعة مرتبطة بالتجارة .. دى حزمة واحدة !! ..

-الآلية الثانية : هى آليات نقل التكنولوجيا بشروط فعلا فيها ابتزاز كامل للبلاد النامية اللى مش عارفه تخرج من إطار التبعية التقليدية .. يمكن أمريكا اللاتينية حقيقة حققت تقدما نسبيا جيدا .. إنها على الأقل حسنت موقفها التفاوضى ..

لكن فى المنطقة العربية .. فى جميع عقود نقل التكنولوجيا مع جميع الشركات الدولية التى تمت فى المنطقة العربية .. وأنا أتحدث بناء على وثائق .. وفيه الزميل الدكتور حسام عيسى يقوم ببحث مجدى من الناحية القانونية ..

أقول إن جميع العقود التى تمت خلال الحقبة البترولية فى العشر سنوات الأخيرة كلها فيها شروط يبدو فيها شىء واحد : أنه لا يوجد موقف للمفاوض العربى أو المصرى ..

فطبعا لا يوجد أكثر من ذلك آلية من آليات الاستغلال والسيطرة ..

الآلية الثالثة : والأخطر الآن هى من خلال الديون شروط الائتمان شروط الديون .. هذه الشروط أصبحت آلية جيدة جدا من آليات السيطرة والاخضاع .. إنك تبدأ بالاقتراض بشكل بشروط سهلة ميسرة .. كما فى الخمسينيات وفى الستينيات .. وتدريجيا يصبح هناك نوع من إدمان الدين .. وبدلا من أن يكون الدين أداة للاستثمار والتحرر يصبح الدين أداة من أدوات التبعية .. والتبعية بالمعنى الدقيق للكلمة .. لأنه حينما تصل الأمور إلى مأزق .. مأزق عدم القدرة على السداد .. فالجميع مستعد لإعادة «الجدولة» .. اسم اللعبة الجديدة : «إعادة الجدولة» ..

لأن النظام الغربى المالى لا يستحمل أنه يحصل توقف عن الدفع .. ولذلك هو مستعد يعمل عمليات إعادة جدولة .. ولكن عند كل جولة من جولات إعادة الجدولة يتم التفريط تدريجيا فى بعض أدوات السياسة الاقتصادية وهذا واضح لأنه حينما تملك أى بلد السيطرة على رقعة من الأدوات الاقتصادية .. سعر الصرف الخارجى .. سعر الفائدة الداخلية .. حجم الاقتراض المخصص للقطاع العام .. السياسة السعرية .. طيب ماذا بقى إذا كانت المنظمات الدولية ستفرض على راسم السياسة الاقتصادية برنامجا للإصلاح الاقتصادى .. سواء فى مصر .. أو فى المغرب أو فى السودان أو فى البرازيل أو فى أى بلد ثانية ؟ ..

النهاردة بيقول له عشان يكون فيه إعادة جدولة .. لازم يحصل كذا فى

سعر الصرف .. يحصل كذا فى سعر الفائدة الداخلى .. هكذا فى السياسة السعرية لمنتجات معينة .. فى الكهرباء أو البنزين أو الأكل أو الشرب .. هكذا فى مجال الاقتراض .. حجم الاقتراض .. حجم النقود ! ! ..

ماذا بقى من سيطرة لراسم السياسة الاقتصادية ؟ ماذا بقى لمحافظ البنك المركزى ؟ ماذا بقى لوزير الاقتصاد ؟

تلك أخطر قضية حقيقية بتواجه العالم الثالث .. ومصر والعرب فى هذا المعترك ..

وعايز أقول إن الأدوات أصبحت مكثفة .. ثلاثة اللى هى :

أى شروط نقل التكنولوجيا
أى شروط التبادل التجارى
اللى هى شروط الاقتراض

وأنا أعتقد أن هذه الآليات بمنتهى البساطة بتحكم الخناق على أى مشروع مستقل للنهضة والتحرر ..

وأعتقد أننا نجابه سويس ثانية بأساليب أخرى .. وعايزه مزيد من التفكير والتأمل .. لأنها أخبث وأكثر التفافا ..

وأعتقد أن هذا هو التحدى .. التحدى الذى يجعلنا نشعر أن السويس جاهزة وحاضرة .. وستظل حاضرة .. ومضمون المعركة سيظل قائما .. ولكن التحديات أكبر ..

وشكرا ،،،

الأستاذ هيكل : دكتور إبراهيم صقر يتفضل ... هل لديكم مانع من أن نسير فى مناقشة حرة .. دورك قادم يا أستاذ عودة بعد ذلك .. بعد الظهر ؟ .. لقد خرجت من اختصاصى ودخلت عند منصور بك .. لا بأس ..

المسألة ليست ضرب عبد الناصر فقط

دكتور إبراهيم صقر : جلسة اليوم جلسة ثرية جدا .. وقد خرجت عن الموضوع الأساسى للندوة وهذا مهم .. لأنه من المصلحة أن نعيش حاضرنا .. ونرى ماذا نصنع فيه ؟ كما قال الأستاذ هيكل ، لكن مع هذا أرجع قليلا للكلام الذى قاله سير انتونى ناتنج وتلميحات القلق .. ومفيد أنه قال ، إنهم ليسوا وحدهم الذين كانوا قلقين من التأميم وإنما بعض الدول العربية أيضا .. ومفيد أنه حددها .. لأن هذا يعطينا خط معين .. ثم تحدث عن دور المستعمرين للقناة .. وأريد أن أسأل أين كان هذا الدور ؟ قبل تأميم الشركة .. ما الشركة هى اللى كانت بتمشى كل حاجة .. ثم من الذى عطل الملاحة فى قناة السويس؟ أو حاول تعطيلها؟ من الذى سحب المرشدين؟ من الذى اتخذ القرار ؟ ومن الذى تحمل سحب المرشدين ؟ ووفقوا برغم ضغط الدول الغربية فى أن تمر خمسين سفينة ، وكان أكبر عدد شهدته القناة فى هذه الفترة فى تاريخها مرة واحدة .. إنهم كانوا متوقعين أننا سنفشل فشلا ذريعا ... ولم نفشل ... وأنا أذكر أن بعض المحررين الأمريكان الصحفيين .. الأمريكان قابلوا بعض المرشدين وكان منهم الشيتى رئيس المرشدين .. فقال له «دى بلدنا وده تحدى واحنا بنواجهه وبنشتغل ليل مع نهار ونجحنا فى هذه العملية» ... فى حكاية الضغط على إدارة القناة وعدم دفع الرسوم وحاجات كتيرة قوى حصلت ..

هنا من الذى يجب أن يستبد به القلق ، الذين يريدون بعض التغيير ، من أجل مصلحة شعوبهم ؟ أم الذين يريدون المحافظة على الوضع القائم بأى ثمن ؟ «وهو كده وعاجبكم كده مش عاجبكم تأخدوا على دماغكم» ..

وهنا أنا أريد أن أقول إن عبد الناصر فى المرحلة ما بين التأميم إلى النهاية كان يحاول مرة واثنين وثلاثة ، أن يظهر حسن نوايا مصر .. واستعداد مصر لإدارة القناة ويثبت أنه مستعد يأخذ فى الاعتبار المستعملين للقناة .. ويغمض

عينيه عن محاولات الاستفزاز وإلى آخر لحظة فى الأمم المتحدة رأينا أنه قبل العدوان رأسا .. وهذه خديعة كانت واضحة .. عبد الناصر اتفق .. يعنى مصر وافقت على أنهم يلتقون فى سويسرا ليتوصلوا إلى تسوية .. نحن نتفق بشكل ما ، وهم يستعدون للضرب وبعدها على طول مباشرة حصل الضرب .. وأكثر من كده بعد أن حصل الضرب حاولت الولايات المتحدة فى مجلس الأمن أن تدفعنا إلى الحائط .. وتضعنا أمام الأمر الواقع وتقود مؤتمرات لندن وقرارات مؤتمر لندن وهيئة المنتفعين .. وحكاية تدويل قناة السويس .. ولولا الفيتو الروسى .. كان هناك أحد عشر عضوا ، منهم تسعة كانوا مع أمريكا والوحيدين اللى قالوا لا .. يوغوسلافيا .. والاتحاد السوفيتى ولولا الفيتو السوفيتى .. كان القرار مرر وبقى قرار من قرارات الأمم المتحدة ..

وبعد أن انتهت حرب السويس .. ظهرت نظرية ايزنهاور .. مشروع ايزنهاور ظهر لمحاولة السيطرة بشكل جديد على هذه المنطقة ..

سير أنتونى ناتنج تكلم عن أهداف الحملة .. وأنا باقول الآتى : إن المسألة لم تكن الاطاحة بعبد الناصر فقط .. ولكن عبد الناصر بما كان يرمز له .. وأنا باشك أنه كانت هناك خطط .. يمكن يكون سير إيدن كان عصبى بعض الشىء .. ولكن ما من شك أنه كان هناك محاولة لضرب عبد الناصر وما يمثله عبد الناصر فى مصر وفى الوطن العربى ..

بالنسبة لندوة إسرائيل .. والحقيقة استفدت جدا مما قاله مستركيث وأنا بس نقطة صغيرة فى موضوع انتصار إسرائيل والانتصار المصرى .. وكلام اسحق رابين أنه حصل انتصار.

وهنا أذكر بعض المصريين الذين بيشوهوا سمعة عبد الناصر ويكرروا أننا انهزمنا فى كل شىء ، وضيعنا كل شىء .. وحصل .. وحصل ..

وما أريد أن أقوله ، ما هو المطلوب من الدولة الصغيرة حين تقاوم دولتين كبار أو دولة عملاقة كالولايات المتحدة معاهم من ورا ، وكانت تريد أن تقود

لكى تكسب .. ماذا ينتظر؟ ! .. أنا باقول دايما أن ما ينتظر من الدولة الصغيرة وما أعتبره انتصارا حاسما .. هو أن الدولة الصغيرة تنجح سياسيا وعسكريا فى ألا تمكن الدولة الكبيرة من أن تحقق أهدافها بأن تفرض نصرا عسكريا حاسما يمكنها من فرض أهدافها السياسية ..

فيتنام خسرت أكثر من أمريكا .. ولكن .. فيتنام نجحت فى ألا تمكن الولايات المتحدة من تحقيق أهدافها .. ومصر نجحت فى ألا تمكن الدول الغربية من أن يحققوا الأهداف بتاعتهم من حملة السويس ..

وشكرا ،،

السيطرة بالتكنولوجيا

الأستاذ هيكل : طيب .. الدكتور أشرف .. تفضل يا دكتور أشرف ..

الدكتور أشرف : عندما كنت أستمع فى الصباح فى الندوة الرائعة للمقالات الرائعة التى سمعناها كان الجانب التاريخى لبعض صانعى الأحداث يركز عليه .. أما بعد حديث مسيو كلود جوليان .. انتقل فجأة وبتشجيع من رئيس الجلسة الحديث للمستقبل وللطرق الحديثة والتى قد تكون أكثر خطرا من البعد العسكرى للسيطرة على الشعوب .. وتفضل الدكتور محمود عبد الفضيل فركز على البعد الاقتصادى .. فأرجو أن تسمحوا لى كأستاذ علوم أن أركز على البعد العلمى .. والتكنولوجى فى السيطرة على شعوب العالم الثالث ..

وبالرغم من عدم تخصصى أذكر بعدا آخر وهو البعد الإعلامى يعنى نجد أن البعد الإعلامى وصل إلى درجة أن تتبنى شعوب العالم الثالث وشبابها شعارات العداء .

أنا أستاذ فى جامعة الإسكندرية وأجد أن تلاميذى ـ طبعا فى حصار شديد من الفكر الحر فى مجتمعنا المعاصر بيتبنى شعارات الاعداء العقل اليهودى

الجبار ـ والذى لا جدال فى قدراته ـ وبدليل أنه كمثل بياخدوا جوائز نوبل .. وآخرها حتى جوائز نوبل الأخيرة فى الكيمياء والطب وطبعا السلام أعطيت لواحد صهيونى .

طبعا فى أيام ابن خلدون والرازى وجابر بن حيان ماكانش فيه جائزة نوبل ولم أسمع بيهودى عراقى أو يهودى يمنى أو يهودى مصرى حصل على جائزة نوبل .

ما أريد أن أقول إن البعد الإعلامى ويساعد فى ذلك غياب الديموقراطية التى أراد أحد الشباب التركيز عليها .. وبمساعدة القوى المسيطرة الداخلية ـ يرتع الاستعمار أو الامبريالية فى فرض هيمنتها الإعلامية لدرجة تبنى شعارات الأعداء وذكرت هذا فقط كمثل .

أما البعد العلمى وهو الأكثر خطورة .. فنحن نعيش الآن عصر التقدم العلمى فى كافة المجالات .. يعنى البعض يتحدث عن القنبلة الذرية وكأنها أخطر المخاطر .. فى نظرى أن التقدم فى البيولوجيا والتحكم فى الإنسان وذكائه هو أخطر كثيرا من القنبلة الذرية .. فيجب أن نستقرئ المستقبل ونجد فيه أن التحكم العلمى فى شعوب العالم الثالث رهيب .. فى هذا المجال نجد أن هناك تمثيلية فى العالم الثالث نسميها جامعات وبحوث علمية وغيره .. طبعا هذا لا يمنع أن يكون فيه بعض عناصر بتقوم بجهود علمية .. حتى هذا النشاط وهذا الإنتاج لا تعود فائدته على العالم الثالث وإنما تكون فائدته فى الدول المسيطرة المهيمنة بصورة حقيقية على هذه الشعوب .

حتى الشعارات التكنولوجية الحديثة مثل الكومبيوتر أصبحت الآن أداة للتخلف .. هناك إعلانات عن الكومبيوتر فى بلد كمصر بتباع وتشترى ، ولكن قليلين جدا الذين يستخدمون الكومبيوتر لأنه لا توجد بيانات علمية عشان أدخلها الكومبيوتر وأستفيد منها ، فتصبح أدوات التكنولوجيا الحديثة أدوات للتخلف .

المفاعلات النووية مثل آخر : فأحد الشعارات الجديدة ، دخول عصر الطاقة النووية كما دخلنا عصر الاليكترونيات وغيره ، حيث تصبح التكنولوجيا أداة لتعميق التبعية .. لتعميق تبعية شعوب العالم الثالث ، وهى تعرض بالطبع على أنها خطوات إيجابية وخطوات تقدمية ..

ومن هنا نجد أن السلطة المهيمنة فى الداخل تتواطأ وتتعاون ـ عن وعى أو غير وعى ـ وهذا لا يهم أكاديميا ـ مع السلطة المهيمنة الخارجية فى تكبيل والتحكم فى الشعوب .. وبهذه الطريقة لا يصبح أبناء شعوب العالم الثالث يقظين كما كانوا أيام السويس .. بالعكس يبدون سعداء ، ويرددون شعارات أعدائهم .

إن الخطر الرهيب الذى يواجه الشعب المصرى بالذات هو التطبيع إما سعى بالتطبيع مع المؤسسة الصهيونية الإرهابية ـ لأن فعلا هى مؤسسة إرهابية ـ يتم تحت شعار التعاون فى مجالات العلم .. حتى إسرائيل تعمل لنا قنبلة ذرية صغيرة .. وفيه مقالات الآن بتنشر عن هذا الموضوع !!

وشكرا كثيرا لإتاحة الفرصة ،،

الغرب والسيطرة الإعلامية

الأستاذ هيكل : طيب .. غريب جدا أن تتزاحم الأمور قرب النهاية .. صبرا .. صبرا على مهل ..

أولا .. أولا .. لئن كان الدور على محمد سيد أحمد طبيعيا .. لكن لأن أول سيدة طلبت الكلمة فأنا قطعا سأعطيها الكلمة .. حيث نريد أن نسمع صوتا مختلفا .. تفضلى .. دكتورة عواطف عبد الرحمن ..

الدكتورة عواطف عبد الرحمن : لا أنا معترضة على .. لأن حضرتك على حكاية أول ست ..

الأستاذ هيكل : لماذا ؟ ! .. طيب أول الأساتذة .. تعالى .. كما تريدين

أو أقول تفضلى .. أنا كنت من بادئ الأمر أن لا أحد ..

الدكتورة عواطف : لا أنا معترضة .. لأن على فكرة حضرتك .. لأكمواطنة يعنى .

الأستاذ هيكل : لا بأس .. كمواطنة .. لا فائدة .. السيدات شديدى المراس .. طيب الدكاترة شديدى المراس ..

الدكتورة عواطف : شكرا سيادة الرئيس ..

أحيى اللجنة المصرية التى أشرف بالانتماء إليها لإقامة هذه الندوة ورغم أنها أسمعتنا من خلال أربع جلسات إلى الآن الصوت الغربى وهذا مفيد جدا لنا كدروس وكمحاولة للتعرف على كيف يفكر الغرب فى العالم الثالث .. وفى مصر بالتحديد من خلال المحكات الوطنية الرئيسية التى دخلنا فى صراعات ومن خلالها أعيد تشكيل خريطة العالم الثالث على ضوء نتائج هذه الحروب وأولها العدوان الثلاثى أو حرب السويس .. وقد تابعت الندوة ، وحاولت أن أكون مستمعة جيدة .. وأمتنع تماما عن أى تعليق إلى أن أرى النهاية .. ولكن للأسف الشديد أن كلمة مسيو كلود جوليان بقدر ماكانت مفيدة .. ولكن كانت تحتوى على قدر من الاستفزاز غير العادى لى كمواطنة مصرية أولا وكمواطنة أنتمى إلى العالم الثالث ..

فما خفف قليلا من الاستفزاز أن الزميل الفاضل الدكتور محمود عبد الفضيل قام بتوضيح بعض النقاط التى رفعت صوت العالم الثالث .. بأن نحن على الضفة الأخرى نفكر بصورة مختلفة لأن الظلم الذى يقع علينا كشعوب وكمواطنين منذ عدة قرون ويجعل صوتنا خافتا وعندما يسمح لنا .. لا يسمح لنا إلا بالتحدث فى الإطار الذى توافق عليه أيضا النخبة الوطنية المرتبطة بالغرب .. أو المرتبطة بصورة أو بأخرى ببعض القيادات الفكرية فى الغرب ..

وأما الصوت المخالف .. فهو إلى حد كبير لا يسمح له بأى شكل من

الأشكال . فاسمحوا لى أن أضيف إلى آليات الهيمنة والسيطرة الغربية اللى أشار إليها باقتدار شديد وباختصار الزميل محمود عبد الفضيل .. هو ركز على الآليات الاقتصادية .. وطبعا هناك الآليات العسكرية والآليات الإعلامية والآليات الثقافية .. وأنا سوف أركز على الجزء الأخير لأن هذا يدخل فى إطار تخصصى ..

فأنا أنبه السادة الحاضرين إلى حقيقة هامة : أنه بعد أن يتم السيطرة على الموارد الطبيعية والمواقع الاستراتيجية .. أخطر شىء يمهد استمرار السيطرة من جانب الغرب .. والتبعية من جانب دول العالم الثالث هو الاستيلاء على العقل ..

والاستيلاء على العقل يتم من خلال جهازين أساسيين : جهاز التعليم وجهاز الإعلام .. بالإضافة إلى الدور الخطير الذى تقوم به مراكز الثقافة الأجنبية فى دول العالم الثالث .

بالنسبة للسيطرة الإعلامية سوف أركز على ثلاث نقاط : النقطة الأولى هى سيطرة وكالات الأنباء العالمية .. هى تقال إنها عالمية لأنها تنتمى إلى الفترة التاريخية التى قبل الاستقلال .. قبل استقلال دول العالم الثالث .. وهى أربع وكالات البريطانية والفرنسية ووكالتان أمريكيتان وطبعا نضيف إليهم وكالة تاس رغم أن وكالة تاس ثبت علمياً أنه ليس لها دور لأسباب عديدة لأنها تلتزم بنظرية إعلامية تختلف عن النظرية الإعلامية الغربية .

النقطة الثانية التى أشير إليها فى مجال السيطرة الإعلامية الغربية على دول العالم الثالث .. هى تبعية الكوادر الإعلامية .. وأعنى بها النخبة المثقفة .. فلا يزال .. النخبة المثقفة .. وفى مصر بالتحديد .. عدد كبير منها وبالذات الصحفيون المصريون .. لا يزال الغرب هو الكعبة التى يحجون إليها .. ولا يزال النموذج الغربى هو النموذج الوحيد السائد .. وكل محاولات .. أى محاولة يقوم بها البعض لطرح نموذج مخالف .. طبعا تقمع بكل الأساليب الذكية والمعلنة والخفية ولا يتاح لها أن تظهر..

النقطة الثالثة : أن الجهاز الشعبى الذى يمثل الإعلاميين وهو يمثل نقابة الصحفيين بالنسبة لمصر أو الروابط الإعلامية الأخرى فى دول العالم الثالث يعتبر تابعا تبعية مطلقة للسلطة ..

وشكرا ...

المكاسب التى تآكلت

الأستاذ محمود توفيق : المتكلم محمود توفيق سكرتير عام اللجنة المصرية للتضامن .. لا شك أننا استفدنا كثيرا جدا من البحوث القيمة والتحليلات العلمية التاريخية الدقيقة التى تفضل بها كل المتحدثين فى هذه الجلسة والجلسات السابقة .

ولا شك أن هذه الأحاديث والمناقشات قد أحيت فى ذاكرتنا تلك الفترة الزاهية فى تاريخ مصر والتى كانت بداية .. أحداث السويس وما تلاها .. كانت بداية لانبعاث حركة التحرر الوطنى فيما يسمى الآن بالعالم الثالث وفى حصول كثير من بلدان هذا العالم على استقلالها الوطنى السياسى والاقتصادى والثقافى .. الخ ..

نحن دخلنا عميقا فى بحور البحث التاريخى واستفدنا كثيرا من هذه الزاوية وأنا أختلف مع الدكتورة عواطف فيما قالته عن كلمة الأستاذ كلود جوليان ..

فأنا شخصيا أحسست أن كلامه قد أسدى خدمة كبيرة جدا لهذه الندوة .. ذلك أنه استطاع بكلمة أن ينقلنا من إطار البحث التاريخى إلى النقطة الثانية فى أغراض الندوة وهى الدروس المستفادة من هذا البحث التاريخى ..

ولا شك أنه قد ألقى ضوءا ساطعا على حقائق عصرنا الحاضر.. وحتى نكون صريحين مع أنفسنا يجب أن نقرر أن ثلاثين عاما مضت منذ حرب السويس وتأميم قناة السويس .. كانت دورة كاملة من دورات حركة التاريخ بالنسبة للعالم الثالث ..

فى خلال الثلاثين عاما هذه .. حصلت كثير من بلدان العالم الثالث على استقلالها الوطنى .. ووضعت يدها على ثرواتها الطبيعية ..

حدث تقدم كبير فى الوضع العالمى فيما يتعلق بحركة عدم الانحياز .. وظهور طرف آخر فى الصراع الدولى يمكن أن يلعب دورا هاما فى الحفاظ على السلام العالمى وفى إقامة توازن فى المحيط العالمى ..

ولكن خلال الثلاثين عاما تآكلت معظم هذه المكاسب .. كثير من الدول التى حصلت على استقلالها الوطنى قد فقدت هذا الاستقلال .. بأشكال مختلفة أهمها فى النهاية هو الشكل الاقتصادى الذى تحدث عنه الأستاذ جوليان .. كثير من هذه البلدان كادت أن تكون قد ألقت راية الاستقلال الوطنى فى البحر مقابل بضعة دولارات أو آلاف أو مليارات إلى آخره .. العامل الاقتصادى عاد فسلب نتائج النضال الذى خاضته هذه الشعوب فى الحقبة التى تلت حرب السويس ..

هذا هو الواقع ..

أيضا حركة التقدم والتنمية الاقتصادية فى معظم هذه البلدان قد توقفت أو تعثرت ووسائل التنمية أخذت تتباطأ تدريجيا حتى كادت أن تتوقف تماما .

مستويات المعيشة فى بلاد العالم الثالث تنخفض باستمرار .. وصلت إلى أن قارة أفريقيا جاعت .. بل وعطشت .. يعنى لم تعان الجوع فقط بل تعانى الجوع إلى الماء ..

يعنى فيه تدهور كبير فى الوضع العالمى منذ الانبعاثة والانطلاقة التى أعقبت حرب السويس والتى لعبت حرب السويس دور المفجر لها على نطاق العالم الثالث كله ..

من أجل أن تكتسب كلمات الأستاذ جوليان أهمية كبيرة لأنها تلقى ضوءا ساطعا على الوضع المأساوى الذى تعيشه بلدان التحرر الوطنى وتعيشه بلدان العالم الثالث الآن ..

يكفى أن نعرف ـ وحضراتكم تعرفون هذا أكثر مما أعرفه ـ أن ديون العالم الثالث .. الديون الواقعة على كاهل العالم الثالث الآن .. تزيد على ألف مليار دولار .. ويقال إنها ١٢٠٠ مليار دولار ..

طبعا بجميع المقاييس ـ إذا وضعنا فى الاعتبار قدرات بلدان العالم الثالث التى تتحمل بهذه الديون ـ فهذا تكبيل بسلاسل من حديد .. لن تستطيع هذه الدول أن تفى بفوائد هذه الديون إلا بديون جديدة ..

فالحلقة مفزعة وهى تزداد بشكل مستمر .. ومعنى هذا أن استقلال هذه البلدان يتضاءل يوما بعد يوم ..

التوافق المتكافئ والمتبادل

الأستاذ محمد سيد أحمد : اسمحوا لى أن أتحدث بالإنجليزية ..

وقبل كل شىء أود أن أقول كلمة تتعلق بالدكتورة عواطف فأنا أعتقد أنها أخطأت تماما فهم ما قاله مسيو كلود جوليان .. لأننى لا أرى إطلاقا فيما قاله المسيو كلود أى شىء يستوجب وصفها له بأنه فيه «استفزاز» .. لا يمكن أبدا التوفيق بين هذا الوصف وبين ما قاله كلود جوليان بالمرة .. فإما أن تكون كلمة كلود جوليان قد عرضت على مستوى عال من العمق أو أن تكون الترجمة العربية لها قد جانبها الصواب ..

والآن لنتخطى هذه المسألة ..

ولنتساءل ما هى المشكلة .. على الأقل بعد مضى ثلاثين عاما على تأميم قناة السويس ..

أنا أعتقد أن تأميم قناة السويس عندما حدث ـ منذ ثلاثين عاما مضت ـ كان بمثابة نقطة الانطلاق لاستقلال العالم الثالث فى مرحلة ما بعد الحرب العالمية الثانية .. إن هذا الحدث قد قال ولأول مرة بصراحة ووضوح إن الحصول على الاستقلال ممكن .. ولأنها قالت ذلك بمنتهى الوضوح

والتحديد .. فإنها قد أظهرت وجه الحقيقة بأن هناك حدودا للاستقلال .. وأن الاستعمار الإمبريالى ليس هو العقبة الوحيدة التى تقف فى طريق الاستقلال .. وأن هناك تعبيراً جديداً عن تلك الحدود .. وهو الذى نسميه « التوافق المتبادل والمتكافىء » .. ولا يمكن أن يكون هناك استقلال إذا ما أسقطنا هذا التوافق المتكافىء والمتبادل وهذه كلمة حديثة متطورة .. وهى تعنى أن هناك صيغة جديدة للاستقلال يقوم بين دول متكافئة متساوية تتبادل فيما بينها الاعتماد على بعضها ..

ومع الحركة الهائلة ومع التطور العظيم وقع الانتصار على الاستعمار الذى كان .. كان الاستقلال ممكنا .. وأمكن الحصول عليه من خلال موجة عارمة .. ولكن هذا الاستقلال اصطدم بالحدود .. وبعض هذه الحدود تناولناها هنا .. وأعتقد أن مناقشة هذه الحدود هى المشكلة التى يجب أن نتناولها .. إن الأزمة ـ كما تكلمنا هنا عنها ـ هى فى كيفية تناولنا اليوم لأزمة السويس كما حدثت فى وقتها ..

إذن فإن هذه الحدود التى تحاصر الاستقلال هى القضية التى يجب علينا اليوم أن نبلورها وأن نركز عليها ..

فمثلا عندما نتكلم عن بعض هذه الحدود ولنأخذ ظروف السبعينيات للعرب بعد النكسة لم تكن القوة الغاشمة ولم تكن الهزيمة هى التى أهدرت الطموحات الهائلة والتطلعات الرائعة والآمال العريضة التى أطلقتها عملية السويس فى العالم الثالث ..

مع العصا كانت هناك الجزرة .. ومع القوة الغاشمة كان هناك الاغراء .. مثلا أموال البترول التى تدفقت ماذا كان أثرها هل استطاعت أن توطد للاستقلال أم أنها وفرت صيغة جديدة للتبعية ؟

أين هو إذن الاستقلال ؟ ! ..
أين هى حصانة الدولة التى تحمى استقلالها ؟ ! ..

أين هى أداة الدولة التى تستطيع أن تحمى بها استقلالها فى عالمنا الراهن ؟ ! ..

نحن نتكلم عن الإرهاب ! .. ما هو الإرهاب اليوم ؟ ! ..

أنا أعتقد أن الإرهاب اليوم ما هو إلا تناول السياسة بوسيلة أخرى عندما لا يستطيع المرء أن يمتلك القدرات على الحرب .. إنه عنصر من العناصر التى يقوم عليها عالمنا الحاضر..

نحن نتكلم عن نزع السلاح ! ! ..

أين هو الأمن بدون نزع السلاح ؟ ! .. هل فكرنا فى ذلك ؟ .. هل فكرنا فعلا فى ذلك ؟ ! .. هل تم الوصول إلى إجراء فى هذا الصدد ؟ ! ..

كلنا نتكلم عن تخفيض حجم الصواريخ إلى ٥٠٪ من حجمها الراهن ! .. كيف يكون العالم عندما يتم ذلك ؟ ! ..

إن الدولة المعاصرة قائمة على سباق التسلح ! ..

إن الدولة المعاصرة تقوم على سباق التسلح وليس على نزع السلاح ! .. ماذا يكون عليه البناء العالمى فى مواجهة هذه المشاكل المستحدثة والتى تعتبر ضرورة قصوى لبقائنا على قيد الحياة ..

ما هو الموقف حيال قانون تصاعد الفوارق وتزايد عدم المساواة والتكافؤ..

إن عدم المساواة وعدم التكافؤ يتزايد يوما بعد يوم فى هذا العالم .. حتى فى مرحلة الاستقلال .. فماذا نحن فاعلون تجاه هذا الاحتلال المتزايد فى عدم التكافؤ بين الدول ..

كيف نتغلب على هذا ؟ ! ..

كيف يمكن أن يكون الضعيف شريكا مساويا للقوى .. فى الوقت الذى يزداد فيه القوى قوة ويزداد فيه الضعيف ضعفا ..

هذه المساواة وهذا التكافؤ الضروريان لأى مفاوضات مجدية ..
كيف ؟ ! .. كيف ؟ ! ..

كل هذا فى رأيى هو مناقشة قضية سويس اليوم .. أن نضع كل هذه المشاكل على مائدة البحث ..

وأشكركم ،،،

الأستاذ هيكل : مع اعتذارى لجميع طَالبى الكلمة .. مازال لدى حوالى عشرة طلبات سأسلمهم للصديق الكريم الأستاذ منصور حسن .. وله أن يتصرف بعد الظهر .. حيث يحيط بعضها ضغوط لا تقاوم ..

يسألنى أحمد طه قائلا .. ألا يتسع المجال لعامل لكى يتكلم ؟ ! ..
والدكتور ميلاد حنا يسأل عما إذا كان هناك مسكن للإسكان كله ؟ ! ..
وهكذا هناك الكثير ..

جلسة بعد الظهر الساعة الخامسة .. والمتحدثون فيها الأستاذ أحمد عبد الرحمن عن منظمة التحرير الفلسطينية .. والأستاذ أمين هويدى .. شيء رائع .. وإذن سوف نجلس لنستمع ، حيث ستثار مناقشات كثيرة جدا ..

الجلسة الرابعة

رئيس الجلسة : منصور حسن

القسم الأول

العرب وتأميم القناة

كلمة أحمد عبد الرحمن

« معركة سيناء لم يكن ميدانها سيناء والقناة وبورسعيد فقط ، بل كان ميدانها الوطن العربي كله ، حيث لأول مرة فى تاريخنا المعاصر ، يفرض الغليان الجماهيرى ، حتى على الأنظمة الموالية للغرب ، أن تقطع البترول ، وأن تقطع العلاقات مع بريطانيا وفرنسا ، وإذا كان نورى السعيد لجأ إلى فرض الأحكام العرفية لقمع الإرادة الشعبية فى العراق ، فإن شعب العراق لم يمهله أكثر من سنتين حتى يطيح به . »

- بغياب مصر ينهار الوضع العربى كله كما نشاهد الآن حيث تعود الامبريالية الأمريكية للسيطرة على الأرض العربية .
- السياسات البديلة بعد وفاة عبد الناصر كانت نقيضاً وطنيا قوميا للبرنامج الناصرى القائم على مواجهة الامبريالية والصهيونية .

الأستاذ منصور حسن : بسم الله الرحمن الرحيم

نبدأ الجلسة الرابعة فى هذه الندوة الهامة حيث نطرح موضوع : « العرب وتأميم القناة » .. ثم « تأميم قناة السويس واستخدام القوة » ..

يقدم موضوع العرب وتأميم القناة الأخ أحمد عبد الرحمن المتحدث الرسمى باسم منظمة التحرير الفلسطينية ..

وإذا سمح لى بدقائق من وقته .. فلعلنا فى هذه الظروف من التشتت والضياع العربى الذى نشعر به جميعا .. قد يلتبس علينا الأمر .. إذا طرحنا موضوع العرب وتأميم القناة كموضوع فى سياق الموضوعات الأخرى .. موقف الاتحاد السوفيتى وموقف الولايات المتحدة .. الرؤية الأوربية .. الأفريقية الأسيوية .. فقد يبدو للبعض أننا نعالج موضوع العرب وتأميم القناة معالجة أن العرب طرف خارجى من الموضوع نفسه .. رغم أننى لا أشك أن الكثير منا يعلم تماما أن موضوع العرب بالنسبة لمعركة تأميم القناة موضوع عضوى وكأننا نتحدث عن مصر وتأميم القناة ..

فلا شك أننا نستطيع أن نتلمس بكل وضوح العامل العربى فى معركة القناة .. فى الدافع .. وأثناء المعركة .. وفى الآثار جميعا .. لأن قبل كل شىء وبعد كل شىء .. لأن الذى أمم القناة هو الزعيم جمال عبد الناصر فى ذلك الوقت كان قد دخل عميقا فى دور لا كزعيم للثورة المصرية فحسب وإنما تخطى هذا الحاجز وقاد الثورة الشعبية فى مصر التى قامت فى ٢٣ يوليو إلى مصبها الطبيعى والحقيقى وهو تيار القومية العربية كتيار سياسى ارتبطت به مصر منذ ذلك الوقت ..

لانستطيع أن ننظر إلى معركة تأميم القناة بعيدا عن معركة حلف بغداد .. فى إطار القومية العربية .. ولا بعيدا عن تنويع مصادر السلاح وكسر احتكار السلاح بعد ذلك .. ولو كان القرار مصرى فقط بالمفهوم الإقليمى قد أجازف بالقول مستعيرا تعبير الأستاذ هيكل إذا قلت إنه ربما كانت المعركة أخذت طابع مختلف وربما ما كانت أثارت هذا الدوى وهذه الآثار الكبرى التى أثارتها فى ذلك الوقت وما تركته بعد ذلك ..

أعتقد أننا ربما سنلمس هذا العامل جليا فيما يتفضل به الأخ أحمد عبد الرحمن فى عوامل مباشرة وغير مباشرة ..

فليتفضل ..

أحمد عبد الرحمن : أشكر الأستاذ منصور حسن على هذا التقديم الذى أراحنى من كثير مما كنت أود قوله .. وأتوجه بالشكر إلى لجنة التضامن التى أتاحت لنا هذه الفرصة للالتقاء برجال الفكر والسياسة فى مصر .. فدائما وأبدا مصر هى البداية ومصر هى النهاية ..

فيما أود أن أقوله أمامكم لم أتقيد بفترة تاريخية محددة هى عام ١٩٥٦ .. ومعركة السويس .. ودور الجماهير العربية فى هذه المعركة .. بل أردت أن استنتج وأن أبنى على ماحدث فى السويس علاقة عضوية وتاريخية تقوم بين مصر وبين الأمة العربية ...

العرب ومعركة السويس

أضحت العودة إلى معاركنا الوطنية والقومية ضد قوى الاستعمار القديم والحديث وضد «إسرائيل» والصهيونية العالمية ، واستخلاص دروس هذه المعارك وعبرها ، ضرورة وطنية وقومية ملحة ، أمام انسداد الآفاق فى وجه قوى الثورة واستفحال المأزق القومى ، وتراجع قوى التحرر الوطنى ، والديموقراطى تحت ضربات القوى الإمبريالية والصهيونية والرجعية ، ويمكننا الآن أن نتحدث

بكل بساطة عن تبعية سياسية واقتصادية كاملة تتحكم بالقرار الغربى ، تبعية للامبريالية الأمريكية ، تدور فى فلكها ، وبمقدار دورانها بمقدار ماتشكل قوة انقضاض لاجتثاث الاستقلال الوطنى والديموقراطى ، فالامبريالية ، تمكنت من إيجاد ركائز قوية لسلطانها فى وطننا العربى ، تحت يافطة استقلال شكلى زائف وتبعية موضوعية كاملة فى السياسة وفى الاقتصاد وفى الثقافة ..

إن العودة إلى معركة السويس باعتبارها ذروة المد القومى واستقراء وقائعها واستخلاص دروسها ، هى واحدة من المحاولات الجارية على مستوى القوى السياسية الوطنية والمثقفين العرب ، للوقوف على العوامل والشروط التى وفرها عبد الناصر ، حتى خاض معركة السويس بنجاح ، وخرج منها منتصرا ، ضد قوتين عظمتين ، وقاعدة للامبريالية هى إسرائيل تقوم بدور كلب الحراسة على مصالح الغرب فى بلادنا ، ألا وهى « إسرائيل » العدوانية .

إن معركة السويس التى قادها عبد الناصر بنجاح لم تأت من فراغ ، بل سبقتها معارك عدة ، حقق فيها عبد الناصر نجاحا باهرا ، وهى معركة الجلاء ، ومعركة كسر احتكار السلاح ، ومعركة الأحلاف ومعركة الحياد الإيجابى ، وفى كل هذه المعارك التى سبقت معركة السويس ، كان عبد الناصر ينفذ برنامجا وطنيا وقوميا تؤمن به الجماهير المصرية والعربية ، وقد ناضلت لتحقيقه طوال سنوات طويلة ، دون أن تتمكن من النجاح ، ولكن مع قيادة عبد الناصر أخذ هذا البرنامج الوطنى والقومى والديموقراطى كذلك طريقه إلى التنفيذ العملى ..

لقد تقدم عبد الناصر وجماهير مصر والجماهير العربية حاملا ذات البرنامج المعطل على يد القدرات الرسمية والقوى السياسية السائدة فى ذلك الوقت ، وبالتالى فاللقاء الذى تم فى معركة السويس بين عبد الناصر والجماهير العربية ، كان على أرضية برنامج للتحرر الوطنى الديموقراطى ، فمعركة السويس لم يكن ميدانها سيناء والقناة وبورسعيد فقط بل كان يتطلبها الوطن العربى كله ، حيث لأول مرة فى تاريخنا المعاصر ، يفرض الغليان الجماهيرى حتى على الأنظمة الموالية

للغرب أن تدين العدوان الثلاثى وأن تقطع العلاقات الدبلوماسية مع بريطانيا وفرنسا ، وإذا كان نورى السعيد لجأ إلى فرض الأحكام العرفية ، لقمع الارادة الشعبية فى العراق ، فإن شعب العراق لم يمهله أكثر من سنتين حتى يطيح به ويطيح بحلف بغداد المشئوم .

معركة قومية

أهمية معركة السويس تنبع فى الأساس من كونها أول معركة عربية شاملة ضد قوى الاستعمار القديم ومعها إسرائيل ، وفى تقديرى أنها لو اقتصرت على مصر وحدها ، ربما تكون النتائج قد اختلفت ، إلى هذا الحد أو ذاك . معركة قومية استمرت متصاعدة حتى جلاء آخر جندى بريطانى وفرنسى عن أرض مصر ، وخروج المعتدين الإسرائيليين من سينا وقطاع غزة ، وفى وجه المعتدين أطلق عبد الناصر إرادته الصلبة ، ونفخ روح المقاومة فى الجماهير العربية ، وتحولت بورسعيد إلى رمز مقاوم ومثلا يحتذى ، ودخلت كل بيت عربى ، لتشحذ الإرادة والتصميم على القتال ، وجرى قطع النفط عن الغرب واغلاق الموانى العربية فى وجه السفن الأجنبية التابعة لدول العدوان ، واستمر اضراب الجماهير العربية ومظاهراتها طوال أيام العدوان وبعده ، لتشكل بذلك أكبر قوة بيد قيادة جمال عبد الناصر ، وهى تقود معركة ضد العدوان وإسقاط نتائجه .

إن الدرس المستفاد من معركة السويس هو هذا اللقاء بين عبد الناصر والجماهير العربية ، التى تحولت لأول مرة إلى قوة فاعلة وحاسمة فى صنع الأحداث .

لقد خرج عبد الناصر من معركة السويس بطلا قوميا وقائدا ميدانيا للجماهير العربية ، فقد تحدى الغرب الاستعمارى وانتصر عليه ، فالغرب الاستعمارى الذى استعمر العرب وأذلهم ، وقيدهم بالمعاهدات المجحفة ، فأقام المستعمرة الصهيونية المسماة « إسرائيل » على أنقاض بلد عربى هو فلسطين وشعب عربى هو الشعب الفلسطينى ، رأته الجماهير العربية وهو يخرج مهزوما مجروحا مدحورا من معركة

السويس ، إن انتصار السويس هو انتصار مدو لهذه الجماهير المقهورة والمسحوقة من الاستعمار ومن الأنظمة الرجعية العميلة للغرب ، فالجماهير العربية التى كانت مسحوقة ومستلبة ومنسية تحولت بفضل قيادة عبد الناصر وبرنامجه الوطنى والديموقراطى إلى قوة فعل حقيقية ، ولا يمكن تصحيح الوضع اليوم بوضع العربة أمام الحصان ، بل المنطق والتاريخ يقولان بأنه يجب وضع الحصان المصرى أمام العربة العربية .

فى معركة السويس ، لم تكن معركة القيادة الناصرية معركة مصرية بالمعنى الضيق ، بل كانت معركة عربية ، والأسباب الحقيقية لهذه المعركة هى فى حقيقتها أسباب عربية ، وبالدقة نعود إلى الاستراتيجية العربية التى وضعها عبد الناصر لمصر ، واضعا الحصان أمام العربة ، إن فرنسا حاربت الثورة الجزائرية فى قناة السويس خسرت حرب الجزائر فى معركة السويس أولا ، وبريطانيا حاربت دفاعا عن حلف بغداد وعدن والخليج فى معركة السويس ، وقد خسرت مواقعها هذه ، بخسارتها معركة السويس ، أمام عبد الناصر.

قائدة النضال العربى

إن مصر ليست فقط أكبر دولة عربية بل هى العمود الفقرى والرأس المفكر للأمة العربية ، إن مصر تعرب لعرب ، والعكس ليس صحيحا ، وبالتالى فمصر اليوم كما كانت دائما ، هى قائدة النضال العربى ، هى الحلقة المركزية ، وبغيابها عن دورها ، ينهار الوضع العربى كله ، كما نشاهد الآن ، إن الامبريالية الأمريكية تعود اليوم للسيطرة على الأرض العربية ، على حساب دور مصر القومى ، ونضالات شعب مصر من أجل استعادة وحدة العرب بقيادة جمال عبد الناصر. إن دور مصر القومى هو وحده الحتمية التاريخية فى وطننا العربى وانعزال مصر وابتعادها عن دورها القومى ليس إلا خروجا على قوانين التاريخ والحياة .

ويكفى عبد الناصر أنه ترك وراءه لشعب مصر ولقواه السياسية انجازين تاريخيين ، لايمكن إسقاطها فيما يسقط .

الأول : مشروعه القومى لتوحيد العرب .

الثانى : وحدة الجماهير العربية لتحقيق وإنجاز مهام هذا المشروع القومى .

ويجب ألا يعمينا السواد الحالك فى المحيط العربى ، عن رؤية حقيقة « وحدة الجماهير العربية وراء برنامج عبد الناصر ومشروعه القومى ، وحزب عبد الناصر الكبير الممثل فى الشعب الفلسطينى والمقاومة الفلسطينية ، مازال يحتفظ بمواقعه السياسية والجماهيرية العربية ، كامتداد قومى للناصرية وللبرنامج الناصرى ، ومع الحركة الأولى للرافعة المصرية ، تبدأ الحياة تدور دورتها الطبيعية فى أمتنا العربية ، ولعله صار ضرورة وطنية مصرية أولا أن ينصب اهتمام القوى السياسية المصرية المؤمنة بدور مصر القومى ، على إزالة الركام عن هذه الأرضية الصلبة التى بناها عبد الناصر ، ليشيد فوقها الدور القومى لمصر ، إن وحدة الجماهير العربية التى شكلت هذه الأرضية الصلبة للوحدة الفورية كما ناضل فى سبيلها جمال عبد الناصر ، هى قوة مصر الأساسية والحاسمة تجاه العدو الخارجى وتجاه القوى التقليدية العربية ، ولا يمكن لمصر أن تلعب دورا قوميا تاريخيا بدون تسليح هذه الجماهير ببرنامج للكفاح الوطنى والقومى ومن أجل الوحدة .

أليس هناك دلالة عملية حاسمة أن الجماهير العربية التى وحدها عبد الناصر فى معركة السويس ، لازالت حتى اليوم تحكم على الأوضاع والأحداث والسياسات الراهنة بالمعيار الوطنى والقومى الذى وضعه عبد الناصر؟ إن المشروعية الناصرية ، تستمد قوتها واستمرارها وتجددها من كونها مشروعية جماهيرية مصرية وعربية ، وهذه المشروعية لم تمت بموت عبد الناصر ، والحنين الجماهيرى إلى الناصرية ليس سببه تقديسا لشخص عبد الناصر ، أو تقليدا سلفيا موروثا ، إنه الحنين إلى التوحد مع الذات العربية التى جسدها عبد الناصر ، فى حياته ونضاله وبرنامجه ، وتكفى نظرة قصيرة إلى واقع التبعية السائدة لنجد التفسير العلمى الصحيح لاستمرار تمسك الجماهير العربية بالبرنامج الناصرى كطريق للخلاص من الامبريالية ومن التخلف والتمزق القومى .

إن البرامج والسياسات البديلة التى ملأت الفراغ العربى بعد وفاة عبد الناصر ، كانت نقيضا وطنيا وقوميا للبرنامج الناصرى ، القائم على مواجهة الامبريالية والصهيونية وهذه البرامج البديلة ، والتى تشكل تراجعا خطيرا إلى الوراء ، لاتحظى بدعم الجماهير العربية ، لأنها فى الواقع ليست برنامجها المعادى للإمبريالية والصهيونية . إن برنامج عبد الناصر هو برنامج الساعة ، برنامج اليوم وغدا ، وليس شيئا من الماضى ، إنه برنامج المهام الراهنة والعاملة ، فالتحدى الامبريالى الصهيونى للإرادة القومية . يؤكد كل اليوم الحاجة إلى العودة إلى البرنامج الصدامى ، برنامج المواجهة لا المصالحة ، فما أخذ بالقوة لا يسترد بغير القوة .

إن الوضع الراهن على صعيد الصراع الحضارى والتاريخى ضد الإمبريالية والصهيونية والرجعية لايعدو كونه هدنة مؤقتة فرضتها شراسة الهجوم الإمبريالى ـ الصهيونى ، الذى أفرز كذلك قوى سياسية عربية يتماثل دورها الراهن فى التبعية للإمبريالية الأمريكية ، مع ذلك الدور التابع الذى مثلته القوى التقليدية فى عهد عبد الناصر.

إسرائيل قاعدة الإمبريالية

ولعلنى لا أود أن أختم كلمتى هذه بدون التطرق إلى التراث البرنامجى الناصرى من مسألة « إسرائيل » كقاعدة للإمبريالية العالمية ، وكوجود مصطنع فرضته القوى الاستعمارية على الأمة العربية ، إن الفضل يعود لعبد الناصر وبرنامجه فى هذه العزلة العالمية التى تعانيها « إسرائيل » رغم مرور مايقرب من أربعين عاما على قيامها ، ففى معركة السويس تكشفت حقيقة « إسرائيل » كقاعدة للإمبريالية وككلب حراسة على مصالحها ، ورغم كل الوقائع المخالفة ، فإن الشعوب العربية ترفض « إسرائيل » ، وعلى استعداد دائم لمحاربتها وإلحاق الهزيمة بها ، وتحتفظ « إسرائيل » لدى شعوب العالم ودوله ، بوصف « الدولة المنبوذة » مثل النظام العنصرى فى جنوب أفريقيا ومن قبله نظام أيان سميث فى روديسيا ، وأعتقد أن الجميع يسلمون معنا ، بأن وراء العداء الاستعمارى

والإمبريالى لعبد الناصر ، يكمن الخوف من دور مؤكد وتاريخى تقوم به مصر فى ظل هذا البرنامج ضد هذا الكيان العنصرى البغيض ، وتشير وثائق معركة السويس إلى أن رفض عبد الناصر « لاسرائيل » ، كان السبب فى سحب أمريكا لعرضها بتمويل السد العالى ، والذى كان فاتحة معركة السويس .

إن الجماهير العربية لايجمعها اليوم غير قضية مركزية واحدة ، هى الموقف من « إسرائيل » ، « فإسرائيل » هى الخطر الداهم والحقيق لجماهير المشرق العربى ونضيف بعد الغارة الإسرائيلية على مقار منظمة التحرير الفلسطينية فى تونس ، إن إسرائيل بذراعها الطويل هذه ، صارت خطرا يهدد جماهير المغرب العربى كذلك .

وأخيرا نقول ..

إن الإمساك بالحلقة المركزية فى الصراع هو الشرط الأساسى والرئيسى لصورة القوى الوطنية والقومية لتلعب دورها الطليعى وتمسك بزمام المبادرة من جديد .

ليس المطلوب أن نتذكر عبد الناصر .. بل أن نسير على خطاه ونكمل مسيرته وبرنامجه .

وشكرا لكم ،،،

الجلسة الرابعة
القسم الثانى

مناقشات حول موضوع العرب وتأميم القناة

كلمة : أحمد عبد الرحمن

شارك فى المناقشات :

أديب الجادر ـ خير الدين حسيب ـ فاروق أبو عيسى ـ أحمد صدقى الدجانى

ـ عندما نتكلم عن مصر ونتكلم عن العالم العربى فنحن نتكلم عن التكامل والتوحد وعن منطقة تفرض عليها كل الظروف أن تتوحد .

ـ ماذا لو انتظرنا حتى سنة ١٩٦٨ ـ أى ١٢ سنة ـ وأخذنا قناة السويس بدون حرب ؟

ـ فتحت صناديق الأسلحة بيدى ولم يكن علينا رقيب ووزعناها بلا كشوف .

فاروق أبو عيسى

الأستاذ منصور حسن : نشكر الأخ أحمد عبد الرحمن .. ورغم أن الكلمة كانت قصيرة إلا أنها آثارت كثيرا من الموضوعات والنقاط وبالتالى نفتح الباب للأسئلة أو التعليقات حول هذا الموضوع .. ونود أن ننتهز فرصة وجود بعض الإخوة الأعزاء ، الأخ أديب الجادر والدكتور أحمد صدقى الدجانى والدكتور خير الدين حسيب ، وكل منهم كان جديرا أن يتحدث فى ندوة مستقلة عن الموضوع العربى بصفة عامة وعن موضوع العامل العربى فى معركة السويس .

هل يود أحد منهم يتفضل أو يعلق أو يضيف فى هذا الموضوع .. أستاذ أديب ؟!..

عبد الناصر والجماهير العربية

الأستاذ أديب الجادر : شكرا سيادة الرئيس .. الحقيقة هادى مفاجأة لى لكن فرصة على أحب أغتنمها ..

عبد الناصر والعرب .. أو بالأحرى عبد الناصر والجماهير العربية .. لأن عبد الناصر فى ٥٦ كان على خلاف مع أغلب الحكومات العربية .. إذن الكلام يجب أن يكون عبد الناصر ـ كما تكلم الأخ عبد الرحيم ـ أن يكون عن عبد الناصر والجماهير العربية ..

عبد الناصر ظاهرة تعبير عن هذه الجماهير ولهذا كانت هذه الجماهير مع عبد الناصر.. عبد الناصر رمز للمقاومة .. رمز لآمال هذه الأمة فى التحرر .. فلما جاءت معركة السويس .. الجماهير العربية كانت مستعدة .. عبد الناصر كان فى

مقدمة هذه الجماهير فالجماهير بقت مع عبد الناصر ووفية لعبد الناصر لموقفه هذا حتى وفاته فى سبتمبر عام ١٩٧٠ ..

هذا هو الدرس الأساسى الذى يجب أن يستفيد منه الحكام العرب قبل الجماهير العربية .. إن عبد الناصر كان معبرا عن هذه الجماهير فإذا قام واحد منهم فى يوم من الأيام للتعبير عن آمال هذه الأمة فهذه الجماهير بطبيعتها مع هذا القائد ومع هذا الزعيم ..

لذا فهذه الندوة القيمة أرجو أن تطبع وتنشر لعل واحد من الزعماء العرب يقرؤها يوما ما ..

وشكرا ،،،

الأستاذ منصور حسن : طيب حضرتك اتفضل وأنا عندى سؤال لك بصفتك رئيس مركز الدراسات العربية ودراسات الوحدة العربية ..

أديب الجادر : سيدى الرئيس قبل أن أجاوب على سؤالك أحب أقول ملاحظة بس :

لما حدث الاعتداء الثلاثى وتأميم قناة السويس أنا كنت طالب دراسات عليا فى مدرسة لندن للعلوم الاقتصادية .. ومن ضمن الحركة الطلابية اللى قامت بما تستطيع أن تقوم بيه .. وأحب أن أنتهز هذه الفرصة لتحية الضيوف الكرام السادة مايكل فوت وأنتونى ناتنج وأستطيع أن أسترجع الآن ماقام به قطاع كبير من الشعب البريطانى ومن قياداته السياسية فى الوقوف موقف مشرف مع العرب فى تلك المحنة .. كذلك أحب أسجل أنا كنت فى مدرسة لندن للعلوم الاقتصادية فكان فيه عدد كبير من الطلبة اليهود ومن إسرائيل .. ومن الصعب أن تتصوروا معنا ..

عبد الناصر قال ارفع رأسك يا أخى .. تأثير هذا ما شعرنا فيه هناك بعد تأميم قناة السويس .. حقيقة كان بإمكاننا لأول مرة أن نرفع رأسنا أمام الطلبة

الآخرين من إسرائيل ومن غير إسرائيل وما من شأنه ..

ملاحظة أخرى فيما يتعلق بتأميم قناة السويس أنا ممن يعتقدون أن قيادة عبد الناصر للأمة العربية اكتملت بتأميم قناة السويس وانتزع القيادة بتأميم قناة السويس واستطاع من خلال تأميم قناة السويس أن يخاطب كل الجماهير العربية متخطيا كل الأنظمة العربية وبالتالى كان هذا تتويج وتحول كثير من القوى السياسية .. موقف بعض القوى السياسية فى أقطار عربية مختلفة موقفها من عبد الناصر كزعيم مصرى إلى زعيم عربى ..

شكرا ،،

الأستاذ منصور حسن : سؤال من الأستاذ أحمد يحيى : بعد حرب السويس نادى الرئيس عبد الناصر بتوحيد القوى الثورية العربية .. وعمل على ذلك طوال حياته .. والآن هل لازال بالوطن العربى قوى ثورية حقيقية .. وماهو السبيل إلى تجميعها ولا أقول توحيدها ..

أظن ده دراسات وحدة عربية صميمة ..

الأستاذ أديب الجادر : يعنى من الصعب الإجابة على هذا السؤال بهذه العجالة إنما هناك ظاهرة ملحوظة هى سلبية الجماهير العربية .. وبالتالى سلبية القوى الثورية العربية أو مايسمى بالقوى الثورية العربية مما يحدث الآن ..

ردود فعل الجماهير العربية .. ما يحدث فى حرب لبنان .. والغزو الإسرائيلى إلى آخره .. يختلف عما كان يحدث أثناء الاعتداء الثلاثى أثناء ثورة الجزائر إلى آخره .. فلابد من عودة موضوعية وصريحة مع النفس لأسباب سلبية هذه الجماهير العربية : ماهو دور الأنظمة وأجهزة الكبت ؟ ماهو دور أجهزة الإعلام ؟ ماهو دور الموجة الاستهلاكية والثروة النفطية فيما أدته إلى آخره ؟..

من هنا فقط يمكن أن نتلمس طريقنا لإعادة الحيوية للجماهير العربية .. وقبل أن نعيد هذه الحيوية للجماهير العربية من الصعب أن نتكلم عن قوى ثورية ..

شكرا ،،

مناخ التحرير

الأستاذ منصور حسن : دكتور أحمد صدقى الدجانى .. اتفضل ..

الدكتور أحمد صدقى الدجانى : شكرا سيدى الرئيس على هذه الدعوة الكريمة وتحية لأخى أحمد عبد الرحمن فى عرضه وطرحه الذى ركز على قضية : أساسية بالغة فى أهميتها ..

أبدأ تعقيبى باستذكار الصورة الرسمية للعالم العربى عام ١٩٥٦ .. إذا نظرنا إلى هذه الصورة على الخريطة سنجد دولا عربية محدودة نالت استقلالها ونجد ثورة لاهبة فى الجزائر ونجد أجزاء عربية أخرى مازالت تحت وطأة الاستعمار .

ومن هنا أنا أنطلق من المنطلق الذى انطلق منه أخى الأستاذ أديب الجادر فى فهم ظاهرة ماحدث من ترابط عربى عام ١٩٥٦ ..

ننتقل من الصورة الرسمية ونتعرف على المناخ السائد .. سنلاحظ أن المناخ السائد فى المنطقة كان هو مناخ التحرير .. حيث تدفقت موجة التحرير فى عالمنا أول ماتدفقت فى وطننا العربى بعد الحرب العالمية الثانية وأخذت مداها فى آسيا وأفريقيا ..

مناخ التحرير هذا عبر حقيقة عن معرفة بالنفس وإمكاناتها وعن معرفة بالغير وخاصة بالعدو .. هذه المعرفة فعلت فعلها فى معركة ١٩٥٦ .. سنلاحظ فيما يخص المناخ مجموعة أمور سبقت فى العامين السابقين لذلك الحدث العظيم ..

أهم ما ظهر فى هذين العامين هو بروز فى مصر العربية .. وبروز القيادات .. ظاهرة تاريخية هامة .. وهى لا تأتى دوما .. ومن هنا يلاحظ عدد من علماء السياسة عبر العصور أنه من نعم الله سبحانه وتعالى على الإنسان وعلى الاجتماع الإنسانى : بروز القادة ..

القادة يبرزون فى فترات تاريخية حين يتمثلون المناخ السياسى .. والقيادة فى

مصر آنذاك تمثلت هذا المناخ السياسى وعبرت عنه بالانطلاق فى معنى التحرير إلى مداه ..

على صعيد الذكريات الخاصة وأنا أتابع هنا ما قاله أخى أبو طارق لأدلك .. كنت فى مثل ذلك اليوم فى دمشق .. ويومها كنت فى الجامعة السورية ـ كانت تحمل اسم الجامعة السورية آنذاك .. وفى تلك الفترة نلاحظ أن سوريا كانت تعيش انتعاشا سياسيا حقيقيا منذ عام ١٩٥٤ تجاوزت فيه الانقلابات العسكرية وخاضت تجربة سورية ديموقراطية تستحق الدراسة ، ومن هنا كانت الروح الشعبية قوية جدا .. وكان ينفخ فى الروح هذه فى سوريا وفى بقية الأجزاء العربية المثل الجزائرى العظيم .. الذى دل على إمكانية ما يمكن أن تحققه الجماهير..

ضمن هذه الظروف .. حدث العدوان .. القيادة أعطت إشارة إرادة المواجهة .. الجماهير بسرعة تجاوبت مع هذه الإرادة ..

أنتقل هنا نقطة .. لأنى لا أريد أن أفصل .. وأتساءل هل وجدت آلية عملية تحريك الجماهير..

نعم كان هناك حد أدنى من المؤسسات السياسية والتنظيمات الشعبية التى مكنت من تحريك هذه الجماهير فى مختلف أقطار وطننا العربى ..

الدرس المستخلص من هذا كله .. هو أن قدرات الجماهير لا حد لها حين تأتى القيادة التى تستطيع توظيفها .. وحين تبرز القيادة التى تستطيع أن تعطى لها المثل الأعلى .. والمثل الأعلى آنذاك برز فى الجزائر وبرز أيضا فى مصر العربية .. وفى الوطن العربى بكلمة واحدة هى كلمة التحرير..

وظف هذا المثل الأعلى إلى آخر مدى .. فكانت تلك اللحظة الرائعة ..

أعتقد أننى لست بصدد طرح بديل .. ولكن علينا أن نفكر فى كل هذه المتغيرات إذا كنا بصدد مواجهة عربية فى عام ١٩٨٦ لتحقيق مزيد من

الاستقلال الاقتصادى والاجتماعى بهدف مواجهة قوى عاتية وهيمنة إمبريالية وهيمنة إعلامية وسيطرة أجهزة أقوى وأخطر مما نتوقع ومما نتصور..

وشكرا ،،

أين ممثلو أفريقيا السوداء

الأستاذ منصور حسن : آه اتفضل .. الأستاذ فاروق أبو عيسى ..

فاروق أبو عيسى : شكرا سيدى الرئيس ..

الأخ أحمد حمروش وزملاؤه فى اللجنة المصرية مشكورين وهم دائما عودونا على الابتكار والحركة فى اتجاه ما تحتاجه أمتنا العربية وشعوب القارة الأفريقية وآسيا وأمريكا اللاتينية أيضا .. وإن غاب عنهم وهذا ما آخذه عليهم ـ والشعار تضامن الشعوب الأفريقية الآسيوية أنه ليس بيننا أفريقيا سوى الأفارقة العرب ..

لم يفكروا فى دعوة أفريقى من أفريقيا السوداء وهذا عيب ألاحظه أرجو أن تتلافاه مستقبلا خاصة وأنه من الثابت تماما .. أن معركة تأميم قناة السويس كان لها من الآثار التاريخية على مجمل حركة النضال فى أفريقيا تأثيرا نوعيا بأن أدى بحركة شعوب القارة الأفريقية من إنجاز عملية التأميم فى أكتوبر ١٩٥٦ بعد ثلاث سنوات أى عام ٦٠ على وجه التحديد أن استقلت الغالبية العظمى من شعوب أفريقيا نتيجة تأجيج نضال شعوب هذه القارة لنضالها فى مواجهة الاستعمار القديم الذى كان مستوطنا فى أقطار أفريقيا بشكل مباشر..

وهذا ثابت إذ أن عام ١٩٦٠ أصبح معروفا بأنه عام التحرير إذ أن العديد من شعوب العالم وخاصة الشعوب الأفريقية قد كسبت فيه استقلالها السياسى وكان ذلك فى تقدير الكثير من العالمين بالدور الذى لعبه عبد الناصر بعد انتصاره الساحق وإدارته الفذة والعبقرية والناجحة لمعركة تأميم شركة قناة السويس أن اتجه إلى حركة التحرير الأفريقية ووضع ثقلا كبيرا وقدرات مصرية كبيرة لدعم

هذه الحركة بالمال والسلاح وبالتأييد السياسى وبالتأييد الأدبى ..

وهذه أحد الافرازات الايجابية للإدارة المحنكة لهذه المعركة والنتائج والمردودات الطبيعية لإدارته لتلك المعركة .. إذ أنه ومن خلال صراعه مع القوى الأجنبية إبان تلك الفترة أحس بالدور الكبير والمتعاظم الذى قدمته له تضامنا شعوب القارة الأفريقية وهى فى ظل الاستعمار وشعوب العالم أجمع .. فمن هنا وصل إلى حقيقة هامة وإن كان قد تبينها فى كتاباته السابقة إلا أنه لمسها لمس اليد .. أن هذه الشعوب وكلما تلاقى معها أكثر وكلما اقترب منها عضويا أكثر وأكثر كلما كانت سندا له فى نضاله من أجل تحقيق مشروعه المتكامل ليس لمصلحة الأمة العربية فقط ومن أجل مصلحة الوطن العربى فقط بل لمصلحة شعوب العالم الثالث أو ما يسمى سياسيا بحركة التحرر الوطنى العالمية .. ولذلك عبد الناصر لم يكن علما من أعلام حركة التحرر أو قائدا من قادة حركة التحرر الوطنى العربية بقدر ما أيضا كان قائدا فذا لحركة التحرر الوطنى العالمية نتيجة لدوره هذا الذى أخذ يتبلور بشكل أكثر حدة بعد نجاحه فى إدارته لمعركة أو أزمة تأميم قناة السويس ..

هذه واحدة .. الثانية هناك بعدا حاولت أن أستشفه من بعض ما استمعت إليه فى اليومين السابقين وإن كان قد مس وهناك قليلا ولكن فى رأيى هو عنصر مهم كان لابد من التركيز عليه .. وتعرض عليه صديقى الأستاذ محمد حسنين هيكل ماسا له ولكن يبدو أنه من المهم تسليط أضواء كثيرة عليه لأنه أصبحنا فى هذا الزمان الردىء نسمع عن عدم الديموقراطية إبان ممارسة عبد الناصر لإدارته لمعركة التحرير ضد قوى الاستعمار القديم.

وفى هذا لابد أن نتحدث أو أن نسلط الأضواء على هذه القضية قضية إدارة .. أو الجزئية الخاصة بإدارة عبد الناصر لأزمة تأميم قناة السويس ومدى ارتباطها بقضية الديموقراطية .

الجماهير والقائد

فى تقديرى وأنا كنت عندها طالبا بكلية الحقوق بجامعة الإسكندرية ـ وعندها فضيت مع زملائى بيدى هاتين .. صناديق الأسلحة التى وردت من الاتحاد السوفيتى وتشيكوسلوفاكيا .. وكما ذكر وعلق أحدنا بالأمس : لم يكن علينا رقيب ونحن نفتح تلك الصناديق وتتوزع بيننا بلا رقيب ولا ورقة أو قلم نتوزع بيننا السلاح .. ننظفه ونحمله ونجد من يعلمنا على كيفية استعماله ..

فى رأيى الثقة بالجماهير وبالمواطن المصرى التى وصلت فى ذلك الحد .. بالقائد جمال عبد الناصر أن يترك الجماهير بنفسها تفض بكارة السلاح وأن توزع السلاح بنفسها .. توزعه على أفرادها دون رقابة حكومية .. هذه قمة الديموقراطية .. هذه قمة الديموقراطية .. العملية الكفاحية المسلحة ضد قوى البغى وضد قوى الطغيان آنذاك هى فى حد ذاتها عملية ديموقراطية طالما شاركت فيها الجماهير وبإعطائه كل ثقة وبدون وصاية للجماهير..

صحيح الجماهير في مصر آنذاك لم تكن منظمة بالشكل الكافى وهذا نقص .. وإن كانت منظمة فى بعض البلاد العربية الأخرى بشكل أكثر آنذاك فكان ذلك عنصر مضاف إلى قدرة عبد الناصر وإلى طاقات عبد الناصر التى مكنته من الانتصار فى تلك الأزمة ..

لأن البرنامج الناصرى حقيقة ـ المشروع الناصرى ـ هو الموقف الذى لابد أن يمر عبره كل مناضل إن كان ثوريا .. لايمكن أن يدعى الثورية أحد دون أن يمر بالناصرية والاقتناع بالناصرية .. لأن الناصرية فى موقفها ..

الناصرية فى كلمات قليلة فى جوهرها هى الموقف الثابت الحازم ضد الاستعمار والإمبريالية وضد اسرائيل .. ومن أجل تحرير الوطن العربى بأن تكون كل خيراته لأبنائه ..

هذه هى المسألة .. بمنتهى البساطة .. ودخل عبد الناصر المعارك العديدة فى

كل الجبهات الاقتصادية والعسكرية والثقافية .. من أجل أن تكون قدرات العرب للأمة العربية متعاونا مع باقى شعوب الأمة العربية .. قناعة منه بأن النسيج بين النضال المصرى والنضال العالمى نسيج لافكاك منه ..

لذلك فإن من يدعى الاشتراكية أو التقدمية أو الشيوعية أو ما إلى ذلك .. لا يمكن له إلا أن ينطلق من الدفاع من المشروع الناصرى واحتياجنا الماس لإعادة طرح المشروع الناصرى الآن مع مراجعة بعض النواقص والسلبيات التى قد لا تتمشى مع تعقيدات الموقف والظروف الحالية التى نعيشها وعلى رأسها موضوع حقوق الإنسان والديموقراطية .. ثقة فى المواطن .. وتمكين الجماهير من أن تنظم نفسها بلا وصاية كما فعل عبد الناصر إبان معركة تأميم قناة السويس ..

شكرا سيدى الرئيس .. وأردت بهذا أن أفتح الحديث حول قضية الديموقراطية التى يتحدث عنها بعض الموتورين فى الخارج غمزا ولمزا للإساءة إلى المشروع الناصرى .. وأنا أتحدث عنها من هذا الموقع دفاعا عن المشروع الناصرى باعتبار أنها فى فترة من الفترات وصل المشروع الناصرى بأن تعامل مع الديموقراطية فى قمتها .. بأن ترك السلاح للمواطنين يتوزعونه كما يشاءون .. وليس هناك ديموقراطية أكثر من ذلك ..

وإن تراجعت المسألة عن ذلك فهو نقص لابد لنا أن نرى كيف نعالجه لنكمل المسيرة من جديد ونعيد طرح المشروع بما يتوافر ويتماشى مع ظروف وتعقيدات الحياة الصعبة المعقدة .. التى بدأت ترى جماعات مصالحها وحياتها اليومية مربوطة بالخارج أكثر مما هى مربوطة بالأرض العربية والتراب العربى ..

شكرا مرة ثانية سيدى الرئيس ،،،

الأستاذ منصور حسن : الحقيقة الأخ فاروق سيادتك قلت إنك كان غرضك أنك تفتح .. لاشك انك فتحت الموضوع بطريقة مخلصة ومنطقية وموضوعية ولعلك أشرت إلى الموتورين ما اسميتهم بالموتورين الذين يأخذون على الناصرية غياب الديموقراطية ..

لا أدعى أننى أعرف من هم هؤلاء الموتورين .. ربما حضرتك تعرفهم أو تقصدهم .. وبالقطع لا أدعى أننى أدافع عنهم ..

لكن قضية الديموقراطية والناصرية لاشك أنها قضية يطرحها كل وطنى مخلص وعلى رأسهم الناصريون أنفسهم بصفتهم من قمة الوطنية فى الوطن العربى ..

وأعتقد يمكن أشرت إليهم فى الخارج بصرف النظر أنهم موتورين أو غيره .. لكن من يعتقدون بأن موضوع الديموقراطية فى المشروع الناصرى كان يعتبر نقصا مهما ـ لعل كان له ظروفه ومبرراته .. لاشك أنها ممكن تبحث .. لكن محتاج إلى تكملة فعلا ..

أعتقد أن هؤلاء الناس الذين يأخذون على الناصرية هذا النقص فى الماضى .. يمكن ماكانوش يقدروا يقنعوا الناصريين بأهمية هذا الموضوع بالطريقة اللى حضرتك أقنعتهم بها فى عرضك للموضوع ..

موجود معنا المهندس عبد الحميد أبو بكر سكرتير هيئة قناة السويس بعد التأميم ويطلب الكلمة .. اتفضل ..

الجلسة الرابعة
القسم الثالث

تأميم القناة واستخدام القوة

كلمة أمين هويدى

و فى تقديرى أنه حين بدأت العمليات العسكرية يوم ٢٩ أكتوبر . كان التوزيع الاستراتيجى لقواتنا ممتازا جدا . وكان فى يدنا احتياطى كبير جدا . يمكن توجيهه نحو أى نوع من أنواع العمليات يمكن أن نفاجأ بها .

- صفقة الأسلحة التشيكية سنة ١٩٥٥ لم تكن كبيرة . ولكن أهميتها أنها كسرت التوازن .
- كيف كان العسكريون يقدرون الموقف أثناء المفاوضات المصرية البريطانية فى بداية الثورة ؟
- الاتفاق الثلاثى بين أمريكا وبريطانيا وفرنسا ضمن أن يكون توازن القوى فى المنطقة فى صالح إسرائيل .

الأستاذ أمين هويدى :

الموضوع الذى سأتحدث فيه هو أزمة السويس واستخدام القوة .

فى الساعات الأولى فى صباح الثلاثاء ١٥ أبريل ٨٦ قامت ١٢٠ طائرة أمريكية من قواعدها فى بريطانيا ومن حاملات الطائرات فى البحر المتوسط بضرب السواحل الليبية ، بغرض القضاء على حكم معمر القذافى رئيس دولة مستقلة ذات سيادة .

وقد حدث نفس الشىء تماما منذ ٣٠ عاما ، حينما بدأ العدوان الثلاثى على مصر ، بعملية قادش الإسرائيلية ، والتى تلتها عملية الموسكيتير البريطانية الفرنسية ، وكان الغرض هو إنهاء حكم جمال عبد الناصر باستخدام القوة .. وكان عبد الناصر رئيسا لدولة مستقلة ذات سيادة ..

وإذا أسقطنا الفوارق العديدة جدا بين العمليتين ، فإن جوهر الوسائل المستخدمة واحد ، وهو استخدام القوة فى السياسة .. وكان الغرض أيضا واحدا وهو تغيير نظام الحكم فى البلدين .

وبين الحدثين تمت عمليات كثيرة استخدمت فيها القوة فى السياسة .. بريطانيا والفولكلاند .. الولايات المتحدة وجرينادا .. نزول القوات الأمريكية فى بيروت أكثر من مرة .. وقبل هذه الأحداث استخدمت القوة .. وبعدها أيضا استخدمت القوة فى السياسة .

فالقوة هى أحد عناصر ممارسة السياسة والسياسة دائما عند ممارستها تمارس على طريقة كلام .. كلام .. قتال .. قتال .

وهناك أحداث أدت إلى أزمة السويس ، أحداث متعاقبة ولا يمكن أن نقول إن أزمة السويس تمت يوم ٢٣ يوليو ١٩٥٦ ، ولكن سبقتها أفعال وردود أفعال كثيرة .

ماهى نقطة الذروة فى أزمة السويس ؟ فى تقديرى أنها كانت معركة كسر احتكار السلاح .. لماذا ؟ لأنها تتعلق بموضوع توازن القوى ، وهو القلب النابض لعملية الصراع ، وللأسف لم أسمع كثيرا أثناء هذه الندوة حديثا عن توازن القوى ، وعن الآلة الجهنمية لإدارة السياسة العالمية وإدارة الصراع العالمى وهو نقل السلاح . والاتفاق الثلاثى الذى تم بين الولايات المتحدة الأمريكية وفرنسا وبريطانيا سنة ١٩٥٠ ، كان ينص على أن تتشاور الدول الثلاث تشاورا مستمرا ، حتى لا تخل شحنات الأسلحة التى تنقل إلى الدول المعنية بالتوازن القائم . والتوازن القائم فى تلك الفترة كان إلى جانب إسرائيل .

ودون الدخول فى التفاصيل الخاصة باتفاق السلاح بين مصر وتشيكوسلوفاكيا فى أكتوبر ١٩٥٥ ، أشير إلى أن الوثائق التى ظهرت حتى الآن ، من جانب أمريكا وانجلترا وفرنسا وإسرائيل ، تكشف عن إحساسهم بخطورة هذه الصفقة ، وهذه الصفقة لم تكن كبيرة ، فقد كانت عبارة عن ٢٣٠ دبابة و ٢٣٠ عربة مدرعة ، ولكنها هزت توازن القوى على المستوى العالمى ، وتغيرت كل القوانين التى كانت تتحكم فى نقل السلاح ، سواء من ناحية الكم أو الكيف .. ودخلت المنطقة منذ تلك الفترة فى حمى سباق التسلح .. وفى حمى الاستقطاب .

ويؤيد ذلك ما قاله كريستيان بينو فى جريدة الأهرام: «قرأت كثيرا عن اتهامات بأن همنا الأول فى هذه الأزمة ، كان الدفاع عن مصالح شركة قناة السويس الفرنسية والبريطانية وأؤكد لك أن هذا ليس له أساس من الصحة ، إذ كنت أعلم من البداية أنه من الممكن الوصول إلى اتفاق على تعويضات مناسبة للشركة من خلال المفاوضات .. ولكن السبب الأهم كان يتعلق بالاستراتيجية

الغربية فى ذلك الوقت ، وهو حرية الملاحة فى القناة ، التى تهددت بظهور الاتحاد السوفيتى بعد صفقة الأسلحة التشيكية كقوة بديلة ، كان ذلك هو الذى يحدد مواقفى خلال هذه الأزمة ، لأن الوضع الجديد كان من شأنه اعادة تشكيل الخريطة العسكرية للعالم كله » .

لقد كان توازن السياسات قد اختل ضمن التحالف الغربى نفسه للمناقشة بين بريطانيا وفرنسا ، والدخيل الجديد وهو الولايات المتحدة ، التى كانت تهيئ نفسها لوراثة نفوذهما فى المنطقة .

وكان توازن القوى المستقر بين البلاد العربية وإسرائيل على الصعيد الإقليمى كان قد اهتز بدوره .

وكما قلت فإن ميزان القوى هو القلب النابض لعملية الصراع .

الاستخدام التآمرى للقوة :

فى أى عمليات مشتركة تنشأ قيادة مشتركة للتخطيط والتجهيز وإدارة العمليات ، ولكن فى العدوان الثلاثى ، لم يكن هذا ماحدث ، لأسباب لاداعى للخوض فيها ، فقد تم تشكيل قيادة مشتركة بين القوات البريطانية والفرنسية ، ولم تشترك فيها قوات العنصر الثالث فى العملية ، والذى كانت له قيادته المنفصلة ، مع الاحتفاظ بضابط اتصال بين القيادتين . ومن الطبيعى أن تتسم هذه العمليات بالسرية ، فهذا من أهم مبادئ الحرب ، ولكن كانت الروح التآمرية ، هى التى سادت تحضيرات هذه العملية التعيسة ، وحتى بعد نهاية العملية ، أصر الجميع على إنكار أى اتفاق مع إسرائيل ، لدرجة أن موشيه ديان حينما أصدر كتابه « يوميات معركة سيناء » كان خلوا من الحديث عن هذه المؤامرة ، ولم يتم تحرير محاضر عن الاجتماعات التى تمت فى سيفر ، بل تم إحراق كل نسخ الاتفاق المكتوب ، بعد العدوان الثلاثى بقليل « ولم تعد هناك سوى صورة صغيرة للغاية من معنى الاتفاق عند بعض الذين أتيح لهم حضوره » كما يقول كريستيان بينو .

وأهم فقرات اتفاق سيفر هذا :

١ ـ تشن إسرائيل هجوما واسع النطاق على مصر ، يوم ١٩٥٦/١٠/٢٩ ، تحتل فيه سيناء حتى المضايق .

٢ ـ توجه حكومتا بريطانيا وفرنسا نداء إلى الطرفين لوقف العمليات الحربية وانسحاب قواتهما عشرة أميال من القناة ، والسماح باحتلال القوات الفرنسية والبريطانية لمنطقة القناة بصفة مؤقتة لتأمين حرية الملاحة .

٣ ـ إذا رفضت مصر المقترحات ، يشن هجوم يوم ٣١ أكتوبر ١٩٥٦ ضد القوات المصرية .

٤ ـ بوسع إسرائيل احتلال الجزء الغربي من خليج العقبة وجزر تيران وصنافير لتأمين الخليج بالنسبة للملاحة .

٥ ـ تتعهد إسرائيل بعدم الهجوم على الأردن .

وفى نفس يوم اتفاقية سيفر ، وقع بورجيس مونورى وزير الدفاع الفرنسى ، اتفاقا مع إسرائيل ، تتعهد فيه فرنسا بحماية المجال الجوى الإسرائيلى ، بإرسال سرب ميستير مدعم إلى إسرائيل ، وكذلك حماية سواحلها بإرسال سفينتين حربيتين إلى موانى إسرائيل عند بدء العمليات .

وماذا كان يحدث على الجانب الآخر ، الجانب المصرى ؟

ليس فى نيتى ولو للحظة واحدة أن أؤرخ أبدا ، لفترة من أهم فترات مصر ، وكل مايمكننى أن أتحدث فيه هو إعطاء تصور للتفكير العام الذى كان يدور فى قمة القيادة العسكرية فى ذلك الوقت . وقد كنت فى المطبخ الداخلى لاتخاذ القرار العسكرى فى تلك الفترة .

منذ قيام الثورة كانت الرياح تهب علينا من الشرق ، وقبل بداية المفاوضات مع بريطانيا بفترة ، طلبت القيادة السياسية من العمليات الحربية ، تقدير الموقف

أثناء المفاوضات المصرية البريطانية ، وقد انتهى هذا التقدير إلى نقط تاريخية هامة :

١ ــ يواجه الجيش عدوين فى وقت واحد ، بريطانيا فى منطقة قناة السويس وإسرائيل على حدودنا الشرقية .
٢ ــ لايمكن نجاح المفاوضات السياسية المقبلة إلا بمساندة القوة العسكرية .
٣ ــ لايمكن لمصر خوض معركة دفاعية أو هجومية ضد إسرائيل ، بينما القوات البريطانية فى منطقة القناة .
٤ ــ العدو الرئيسى فى الوقت الحالى هو القوات البريطانية والعدو الثانوى هو إسرائيل .
٥ ــ لابد من اخلاء سيناء كلية من قواتنا العسكرية الرئيسية حتى لايكون وجودها عامل ضغط علينا ونحن نخوض حرب التحرير فى منطقة القناة وقد عقد مؤتمر فى رئاسة أركان الجيش ، حضره كل من جمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر واللواء محمد إبراهيم واللواء على عامر والمقدم أمين هويدى ، وقد تقرر فى هذا المؤتمر سحب قواتنا من سيناء إلى غرب القناة ، مع ترك وحدات رمزية فى بعض المناطق الحساسة بغرض التبليغ وإظهار السيادة .

وقبيل بدء المفاوضات ، أعطيت إشارة البدء لإخلاء سيناء ، بعد التصديق على الخطط الموضوعة ، وكان علينا أن تتم عملية الإخلاء بمفاجأة كاملة ، وفى أقصر وقت ممكن ، حتى لانترك فرصة للقوات البريطانية لكى تتدخل ، وكانت العقبة الكأداء ، هى توفير وسائل النقل اللازمة ، للمعدات الثقيلة بالقطارات ، ولكن الترتيبات الجيدة ، ساعدت على تنفيذ الخطة بنجاح كامل .

وفى الوقت المحدد ، فوجئت القيادة البريطانية ، بسيل القطارات تعبر

كوبرى الفردان وقد أعيد التوزيع الاستراتيجى للقوات المسلحة تبعا لتقديرات الموقف المتتابعة ، وقسمت مصر إلى عدة قيادات لكل منها قواته : القيادة الشرقية (سيناء ومنطقة القناة) وقيادة القاهرة والقيادة الشمالية وقيادة الدلتا .

وحينما وقع العدوان ، يمكن القول أن التوزيع الاستراتيجى للقوات المصرية قد اتسم بالحكمة ، إذ وزعت فى سيناء الفرقة الثالثة مشاة ، تحتل مواقعها فى القطاعين الشمالى والأوسط من سيناء والذى يشمل رفح ـ العريش ـ أبو عجيلة .. وكان معها مجموعة مدرعة ، وكانت هناك الفرقة الثامنة الفلسطينية فى غزة .. وإلى جانب هذا تم تشكيل قوات الحرس الوطنى التى انتشرت فى أنحاء الجمهورية .

أما الاحتياطى الخاص بالقيادة الشرقية ، والاحتياطى الاستراتيجى الخاص بالقيادة العامة للقوات المسلحة ، فكان محتفظا به جميعه غرب القناة ..

وفى تقديرى أنه حينما قامت العمليات يوم ٢٩ ، كان توزيع قواتنا الاستراتيجى ممتازا جدا ، ومريحا لنا ، ويوفر احتياطيا كبيرا ، يمكن توجيهه لأى نوع من أنواع العمليات يمكن أن نفاجأ بها .

وقد كانت المعركة السياسية بعد التأميم على أشدها ، وكان العدوان متوقعا بعد الأسابيع الأولى للتأميم ، ولكنه أخذ يتضاءل بمرور الوقت ، وكانت هناك شواهد كثيرة جدا تدل على أنه لن يكون هناك عدوان .

أما عن اشتراك إسرائيل فى العدوان فكان مستبعدا ولو أنه كان فى الحسبان . ولكن قيادة القوات المسلحة بكاملها ، كانت متوجسة خيفة طول الوقت ، إلى أن حصل العدوان ، وتقديرات الموقف المتتالية ، التى وضعتها القيادة العسكرية

توضح هذا ، ففى تقرير للقوات المسلحة فى آخر سبتمبر ٥٦ ، يرجح قيام بريطانيا وفرنسا بالهجوم على مصر ، متصورا عمليتى انزال ، واحدة فى الإسكندرية وواحدة فى بورسعيد .

يوم ٢٩ أكتوبر

وأذكر ظهر يوم ١٩٥٦/١٠/٢٩ كنت الضابط النوبتجى فى العمليات الحربية ، وكان المقدم توفيق عبد الفتاح الضابط المناوب فى القيادة العامة للقوات المسلحة ، واتصل بى مؤكدا أن معلومات وصلت الآن تفيد أن جماعات إسرائيلية تقوم بقطع خطوط المواصلات السلكية من سيناء بالقرب من ممر متلا ، وأن الحرب فعلا قامت بيننا وبين إسرائيل .

وكان السؤال المحير بعد قيام إسرائيل بإنزال قوات المظلات على الفتحة الشرقية لممر متلا هو لماذا فى الشرق وليس فى الغرب ، وكان رأيى أن هدف هذا هو تشجيع قواتنا للتمركز فى شرق القناة أى كمصيدة مدبرة لها .

وصدرت التعليمات إلى قوات الفرقة الثالثة على الحدود الشرقية للدفاع عن مناطقها لآخر طلقة وآخر رجل وكذلك الفرقة الثامنة .. وتسببت هذه القوات بتعطيلها تقدم القوات الإسرائيلية ، من تمكين باقى القوات المصرية ، من الإفلات من المصيدة ، ودفعت الفرقة الرابعة المدرعة شرقا فى صباح اليوم الثانى ، وقامت القوات الجوية بطلعات متعددة ، ووجهت المدمرة إبراهيم باشا إلى حيفا ، وصدرت التعليمات إلى اللواء الثانى مشاة بتطهير ممر متلا ، وإلى لواء الفدائيين بالدفاع عن بير عويب ـ المعادى كما جرى التفكير فى إسقاط عملية مظلات غرب نخل ، لقطع الطريق عن قوات المظلات الإسرائيلية .

وعندما بدأت الطائرات البريطانية والفرنسية عملياتها يوم ١٠/٣١ ، أيقنت القيادة السياسية والعسكرية فى مصر ، بوجود التواطؤ ، وصدرت أوامر

الانسحاب من سيناء ، تحت ستار المعركة الدفاعية المستميتة ، التى كانت قواتنا فى الشرق تخوضها وبإصرار ، حتى تعطى الفرصة لقواتنا التى اندفعت فى الشرق ، بالانسحاب غربا إلى مواقعها الجديدة .

وأذكر أننى عدت ليلتها من قيادة المنطقة الشرقية فى الإسماعيلية إلى القيادة ، وكانت عبارة عن صالة كبيرة جدا ، وفى ركن منها حجرة مغلقة عقد فيها الرئيس جمال عبد الناصر اجتماعا للقيادة العامة للقوات المسلحة ، وكان الشك فى التواطؤ قد أصبح يقينا عند جمال عبد الناصر ، وقد رأى سحب قواتنا فورا من سيناء لإنقاذها من الفخ الذى نصب لها . وكنا خارج الحجرة ، وبعد قليل وجدنا صلاح سالم خارجا باندفاع وسألته أين ذاهب ، فقال لى أنا توليت قيادة السويس . وبعد قليل خرج الرئيس مبتسما هادئا وهو يقول ، يبدو أننا وقعنا فى مصيدة ، وقد أعطينا التعليمات لننفذ بجلدنا .

ولم أكن داخل الاجتماع لأعرف مادار فيه ولكن سأنقل من مذكرات البغدادى قوله «كان عامر يرى أن استمرار القتال سيدمر البلاد ، وأن الشعب سيكره النظام ، وهو يفضل ترتيبا على ذلك وقف القتال ، صلاح سالم أيد ذلك مضيفا أنه على عبد الناصر إعلان وقف القتال والاستسلام ، على أن يسلم جميع أعضاء مجلس الثورة أنفسهم لتريفليان السفير البريطانى » .

وقد وضعت خطة الدفاع عن بورسعيد ، وكانت الاستراتيجية العامة لمصر كالآتى فى تلك الفترة :

١ ــ عدم قبول الإنذار البريطانى الفرنسى .. وكانت هذه أول صدمة لقوات العدوان .

٢ ــ إفلات القوات المسلحة المصرية من مصيدة سيناء بأقل خسائر ممكنة تحت ستار المعركة التى كانت قواتنا تقودها فى الشرق .

٣ ـ عدم الدخول فى معارك جوية مع القوات المعادية .

٤ ـ الدفاع عن مدن القناة لآخر طلقة وآخر رجل .

٥ ـ تعطيل الملاحة فى قناة السويس .

٦ ـ صمود الجبهة الداخلية التى التفت حول قيادتها وخرج الشعب العربى من المحيط إلى الخليج فى مظاهرات عارمة تؤيد مصر وقائدها .. وفشل العدوان .

الجلسة الرابعة

القسم الرابع :

مناقشات حول محاضرة تأميم القناة واستخدام القوة

شارك فيها :

محمد عبد السلام الزيات ـ محمد عودة ـ محمود عبد الفضيل

سيد يس ـ بهى الدين الرشيدى ـ أحمد عبد الله

- متى أصدر جمال عبد الناصر قرار الانسحاب فورا من سيناء لإنقاذ القوات من الفخ المنصوب ؟
- ذروة الأزمة لم تكن عقد صفقة الأسلحة التشيكية ولكن الذروة كانت عند رفض مصر الصلح مع إسرائيل .
- معنى ما كتبه والترليبجان منذ ٤٨ أن الولايات المتحدة أقامت إسرائيل لأنها قررت أن توجد فى المنطقة بنفسها وليس عن طريق بريطانيا .

الأستاذ منصور حسن : نشكر الأستاذ أمين هويدى على هذه البيانات القيمة وهذا الحديث المفيد والممتع .. والآن هل هناك أى أسئلة ؟ .. اتفضل ..

أنا باتوقع نتيجة لهذا الحديث أن يكون هناك كثير من الأسئلة والتعليقات فأرجو أن نعود إلى عرف كتابة الأوراق حتى لا يطول بنا الوقت .

الاستراتيجية .. والمبادئ .. والبدائل

د . أحمد عبد الله : شكرا سيادة الرئيس .. الحديث عن استخدام القوة فى السياسة هو حديث فى الاستراتيجية .. وللاستراتيجية مستوياتها المتعددة فهناك الاستراتيجية السياسية والاقتصادية والعسكرية .. وأى حديث عند أى مستوى من هذه المستويات الثلاثة يفترض بدوره أمر المبادئ وأمر البدائل .. فلا استراتيجية بلا مبادئ ولا استراتيجية بلا بدائل ..

خذ مثلا قضية الاستراتيجية السياسية لمجتمع من المجتمعات وليكن مثالنا المجتمع المصرى .. فى المجتمع المصرى قوى سياسية متعددة .. لها مبادئ مختلفة .. هناك مبادئ الوفد .. مبادئ الليبرالية .. مبادئ الاشتراكية .. اليسار الناصرى والماركسى .. مبادئ وسطية متعددة .. مبادئ الحركة الإسلامية ..

مبادئ من هى التى ستصنع استراتيجيتنا السياسية ؟ ..

من هنا ياسيدى الرئيس حين كنا نتحدث عن الديموقراطية لم نكن نقوم تجربة عبد الناصر بقدر ما كنا نتحدث فى استراتيجية المستقبل .

هذه واحدة ..

بخصوص الاستراتيجية الاقتصادية .. أى استراتيجية اقتصادية هى التى ستسود بلادنا ؟ التنمية المعتمدة على الذات ؟ أم التنمية التابعة للسوق الرأسمالى العالمى ؟ استراتيجية إشباع الحاجات الأساسية ؟ .. أم إحلال الواردات .. أم استراتيجية التصدير .. أم .. أم .. أم .. وعندنا الكثير من الشعارات فى هذا الخصوص ..

الانفتاح الانتاجى .. الانفتاح الاستهلاكى .. وغدا سيكون الانفتاح الصناعى بدلا من الانفتاح التجارى .. وما إلى ذلك من شعارات علينا أن نحدد كيف سنختار من بين هذه البدائل الاقتصادية ..

ثم على المستوى العسكرى أيضا ليست هناك استراتيجية واحدة .. هناك بدائل أيضا مطروحة ..

هناك مبدأ الاعتماد على النفس فى صناعة السلاح على المستوى القومى مثلا .. وهناك مبدأ السلاح من مصدر واحد غربيا كان أو شرقيا .. وهناك مبدأ تنويع مصادر السلاح .. فهل درسنا كل هذه المبادئ وصغناها فى شكل بدائل ليحدد أيها سنختار .. ومن سيختار .. هذا على المستوى المصرى ..

فإذا نظرنا إلى المستوى العربى .. سنجد الأمر أكثر تعقيدا بخصوص صياغة استراتيجية عربية .. أى استراتيجية عربية ستسود ؟ استراتيجية النظام الاقليمى العربى .. استراتيجية الدول العربية المستقلة بل والمتعادية .. استراتيجية المحاور العربية .. محور الخليج .. محور مصر وسوريا .. محور مصر وليبيا والسودان مثلا .. محور المغرب العربى .. أم استراتيجية الأمة الواحدة ؟ .. أى استراتيجية ستثار ؟ ! ..

هذه التساؤلات التى أطرحها ياسيادة الرئيس .. أطرحها لأطرح موضوعا أكثر أهمية من وجهة نظرى .

ذلك أن الاستراتيجية إنما ترسمها عقول عالمة .. مثلما تفضل الأستاذ هويدى

وأنهى حديثه بهذه النغمة العظيمة .. وهذا يطرح قضية العلاقة بين المجتمع السياسى والمجتمع العلمى فى بلدنا وفى العالم العربى كله ..

أقصد بالمجتمع السياسى مجتمع السلطة الحاكمة ومجتمع القوة السياسية الموجودة فى الشارع ..

وأقصد بالمجتمع العلمى مجتمع الباحثين والمفكرين والعلماء والخبراء ..

ياسيدى الرئيس أتخيل أن العلاقة بين هذين المجتمعين فى بلادنا هى علاقة من بينهما برزخ لا يبغيان ..

هى علاقة مبتورة للغاية وقد آن الأوان أن نحدد دور : مراكز البحث والجامعات والخبراء والعلماء فى صياغة استراتيجيتنا على المستوى المحلى المصرى أو على المستوى القومى العربى .. فبصراحة شديدة إن الاستراتيجية ترسمها عقول العلماء لا عقول الجهلاء ولو كانوا من الناحية السياسية على ولاء ..

شكرا سيادة الرئيس ،،،

الأستاذ أمين هويدى : لا أستطيع مجاراة الأخ أحمد عبد الله فى السجعتين الأخيرتين .. لكن يعنى موافق .. والبحث لا نهاية له ولابد من إيجاد هذه العلاقة .. لابد ..

ولابد أن أيضا أن هناك واجب على المفكرين .. أنا لا أمل الحديث فيه .. فى موضوع الاستراتيجى وموضوعات الأمن والحاجات دى كلها .. موضوعات الاستراتيجى والأمن وما إلى ذلك لايمكن أن تستقى من مصادر أجنبية .. لابد أن يكون هناك اعتماد على الذات .

ما ألاحظه لدى الكثير من مفكرينا الذين يكتبون فى هذا الموضوع أنهم ينقلون عن الغير.. والغير لن يعمل لنا خطة أمن .. الغير يتحدث عن الأمن الأمريكى فى البحر الأحمر.. حقه ..

يتحدث عن أى حاجة تخصه .. فالبعض ينقل هذا الكلام ويركبه على

سياستنا.. مايركبش.. يبق شوية منظومات جنب بعض إذا وضعتها أمام صاحب القرار لا يمكنه أن يأخذ قرارا .. فكما تطالب بهذا .. هناك مطالبات مشتركة .. علينا أن نعمل الفكر نخطئ ونختلف ونتعارض ولكن لن يصيغ الاستراتيجية أو الأمن المصرى أو الأمن العربى إلا العقول العربية والمفكرين العرب ومراكز الدراسات العربية .. فيما عدا بعض المراكز المحدودة جدا فى البلاد العربية .. لا توجد مثل هذه المراكز.. لا توجد.. وهذه.. ولابد أن تنتشر مثل هذه المراكز والمعاهد وتشتغل فى هذه الموضوعات وترى وتزور..

وإنى متأكد .. أن كثيرين ممكن يكتبون فى موضوعات خاصة بالأمن والاستراتيجى .. لم يزوروا الأماكن الهامة التى ممكن يستخدموها ليأخذوا عنها تصورا واقعيا .

الموضوع يحتاج خبرة .. ويحتاج تصور ويحتاج واقع .. ويحتاج نظرة على الأرض وقبل هذا وذاك يحتاج لقراءة وتطبيق هذا الكلام على حالتنا نحن .

الموضوع أكبر من الكلام الذى قلته ياأخ أحمد فى تقديرى .. ليس مجرد كلمتين ولابد من تمهيد .. طبعا أنا موافق على الاتجاه العام .. لكن أريد أن أقول لك إن العملية كبيرة .. وخطيرة جدا جدا .

وتحتاج فعلا إلى جهد مشترك .. من الناس ومراكز الدراسات والأبحاث أنها تتقدم .. لايهم حجم الدراسة .. المهم أن تكون واقعية وتوضع أمام أصحاب القرار ليقتنعوا بها .. ولابد أن تكون الاستنتاجات مركزة ..

وتتفق مع طبيعتنا ومشاكلنا وإمكانياتنا وتفكيرنا ونوع تعاملنا إلى آخره ..

وشـــكرا ،،،

عندما رفضت مصر
الصلح مع إسرائيل

الأستاذ منصور حسن : الدكتور الزيات ..

الأستاذ محمد عبد السلام الزيات : سيادة الرئيس .. لقد أمضينا وقتا أو متعة من معلومات أو جرعات من معلومات كنا محتاجين إليها بعد الاستماع إلى الأخ أمين هويدى فى كلمته الوافية ..

يمكن لى ثلاث نقاط بارجو استيضاحها ..

النقطة الأولى : إن طبعا الفلسفة فى التعريف بين الأزمة والمعركة وهذا كله أنا موافق عليه طبعا لأنى لا أستطيع أن أصل إلى هذا المستوى من الفهم لكن جاء فى كلام الأخ الصديق أمين هويدى أن ذروة الأزمة وصلت بعد صفقة الأسلحة التشيكية .

أستطيع أن أقول إن ذروة الأزمة لم تكن عند صفقة الأسلحة ولكنها وصلت إلى الذروة عندما رفضت مصر الصلح مع إسرائيل .. لأن بعد صفقة الأسلحة كان هناك حوار فى الإدارة الأمريكية .. وكان هناك آراء أبديت فى الإدارة الأمريكية بأن من حق سيادة أى دولة أنها تتسلح .. أيضا دالاس وصل إلى ذروة الغضب بأن وجه إنذارا .. الإنذار الذى لم تستطع أمريكا أن تقدمه فعلا .. لأن الإنذار استخدمت فيه .. أرسل ألن الذى هو مساعد دالاس إلى مصر عشان يسلم عبد الناصر الإنذار فلم يستطع ألن أن يسلم الإنذار .. وأرسل مندوب من المخابرات الأمريكية .. فلم يستطع مندوب المخابرات الأمريكية أن يسلم هذا الإنذار إلى مصر .. إنما لما أحمد حسين تقابل مع ألن فى واشنطن .. ألن أضاف .. وأقول إنه بالون الاختبار بعد صفقة الأسلحة .. وهو الصلح مع إسرائيل .. يعنى وضع شرطا إلى جانب الشروط التى جاءت فى الإنذار .. ولم يسلم هذا الإنذار فعلا لعبد الناصر .. إنما جاء فى وثائق وكتب :

أولا : أن أمريكا ستسحب التمثيل الدبلوماسى .

ثانيا : أن أمريكا ستوقف أى تجارة مع مصر إذا لم يلغ الاتفاق الخاص بالأسلحة مع تشيكوسلوفاكيا .

ثالثا : أنه عندما وصل أحمد حسين إلى وزارة الخارجية الأمريكية قالوا له لا .. نحن بنضيف شرط رابع .. هذا الشرط الرابع هو الصلح مع إسرائيل .

فرفض الصلح مع إسرائيل دائما لم يكن السبب فى عدوان ٥٦ بل هو السبب فى العدوان الذى أشار إليه الأخ الأستاذ أمين هويدى فى بداية كلمته على ليبيا وسيكون هو السبب فى أى عدوان آخر على أى دولة عربية ترفض الصلح مع إسرائيل ..

فأنا بأقول ذروة .. باستمرار .. ذروة الأزمة هى عدم الصلح مع إسرائيل .. أو عدم تحقيق ما يماثل كامب ديفيد ..

النقطة الثانية أشير إليها عندما استمعت فى جلسة الأمس وجلسة اليوم إلى المقاومة الشعبية ..

الواقع أن هذا الموضوع لم يأخذ مايستحقه من الاهتمام لأن المقاومة الشعبية فى الواقع كانت من العوامل المؤثرة فى تحول دفة الأمور كلها .. مقاومة الشعب فى بورسعيد صفحات خالدة كنا نأمل أن نستمع إليها ونأمل الآن أيضا أن نستمع إليها من الأخ أمين هويدى .. وكيف تم التنسيق بين المقاومة الشعبية والقوات المسلحة ..

النقطة الأخيرة .. وقد كان الأخ الصديق أمين هويدى فى موقع المسئولية فى ذلك الحين .. هو مدى الاتصالات التى جرت فى ذلك الحين سياسيا مع أمريكا والاتحاد السوفيتى خلال فترات المعركة وخلال قبل المعركة وبعد المعركة .

يمكن هذه هى النقط الثلاث التى أردت أن استفسر عنها من الأخ أمين هويدى .

وشـــكرا ،،،،

الأستاذ منصور حسن : لو سمحت دكتور زيات تلخص الثلاث أسئلة فى نقاط ..

الأستاذ أمين هويدى : سأبدأ بالسؤال الأخير لأنه سهل .. لأنه من قال لا أعرف فقد أفتى .. الاتصالات التى جرت بيننا وبين أمريكا والاتحاد السوفيتى فى ذلك الحين لا علم لى بها أنا كنت أحد ضباط القوات المسلحة ورتبتى لم تكن كبيرة ولذلك لم أكن أعرف أى اتصالات سياسية ..

ذروة الأزمة أنا موافق الدكتور الزيات .. بس علينا ألا نخلط .. بين الغرض والهدف ..

الغرض يحوى على عدة أهداف ..

عندما تقول صلح مع إسرائيل .. فالصلح مع إسرائيل لن يتم إلا بالضغط ، كيف ..

عن طريق توازن القوى وعن طريق السلاح ، فالشىء الأساسى هو اضعافنا حتى نصطلح مع إسرائيل إن عاجلا وإن آجلا .. فيمكن أنا نظرت للمسألة من ناحية الغرض .. الأخ الأستاذ الزيات من ناحية الهدف .. ويهيأ لى أنه لا تعارض ..

التنسيق بين القوات المسلحة والمقاومة الشعبية كان موجودا عن طريق ضباط الاتصال وعن طريق تحقيق المهام والأهداف ..

كثيرون دخلوا بورسعيد ، كان من ضمنهم الأخ الصديق محمد فايق .. وأظن أنه كان متنكرا فى زى صياد وقتها .. كان صياد .. ودخل بورسعيد وكانت التعليمات تصله من القوات المسلحة ولم يكن هناك تعارض ..

ولما دخلوا نفس بورسعيد .. ومن داخل بورسعيد كان التنسيق كامل بينهم وبين القوات المسلحة ..

أنا اشتغلت أيضا أركان حرب الحرس الوطنى عند انشائه ولظروف خاصة

سبت الحرس الوطنى ورحت للعمليات الحربية ..

التنسيق كان موجوداً .. وأقدر أقول إن موقفنا العسكرى وموقفنا السياسى كان متينا جدا ..

وعكس مايقال إن معركة السويس كانت معركة سياسية .. من يقول هذا .. من يقول إنها معركة سياسية .. معركة مشترك فيها أساطيل وطيارات وفرق وإسرائيل .. كل دى معارك سياسية .. سياسية إيه .. ماهى الحرب عبارة عن السياسة امتداد للسياسة ولكن بوسيلة أخرى .. وأنا من أنصار ألا أفصل ..

لكن أقول إنها كانت حرب سياسية .. يعنى المئات اللى ماتوا والأسرى اللى اتأسروا والمعارك اللى دارت .. معارك من الوزن الثقيل جدا جدا .. وواجهنا فيها نحن الدولة الصغيرة بقواتنا الشعبية والحرس الوطنى .. وقواتنا المسلحة .. وأسلحتنا التى لم نهضمها بعد .. دول ثلاث كانت بتهجم علينا فى تلك الفترة ..

ولولا صمودنا العسكرى .. المجهود السياسى لم يكن يثمر شيئا ..

لو احنا سلمنا يوم ٣٠ أو يوم أول نوفمبر مثلا .. لماذا كان الاتحاد السوفيتى سيتدخل ويرسل إنذارا، ليه ؟ .. ولماذا كان مايكل فوت يقود المظاهرات .. ولماذا كان انتونى ناتنج سيستقيل .. لم تكونوا ستقومون بأى شىء ما دام العملية انتهت ..

شــكرا ،،،

مطلوب مركز عربى للدراسات الاستراتيجية

الأستاذ منصور حسن : الدكتور سيد يس .

الدكتور سيد يس : شكرا سيادة الرئيس .. أريد فى الواقع أن أعلق على ملاحظة هامة التى ذكرها الزميل الدكتور أحمد عبد الله .. وتعقيب السيد أمين هويدى عليه ..

القضية هامة .. لأنها تتعلق بالحاضر والمستقبل .. قضية مراكز الدراسات السياسية والاستراتيجية .. القادرة علي الإضافة للمجهود الوطنى والقومى فى رسم استراتيجيات قادرة على التصدى للعدوان والتصدى للهيمنة الأجنبية ..

ليس دعاية لمركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام .. لكن أقرر .. المركز أصدر هذا العام التقرير الاستراتيجى العربى لعام ١٩٨٥ .. وهذا فى حد ذاته أول تقرير استراتيجى عربى .. يحاول من وجهة النظر العربية القومية الملتزمة أن يقرأ الأحداث الدولية والأحداث العربية والتحليل المتعمق للمجتمع المصرى فى عام .. صدر هذا التقرير الأول مصدرا بمقدمة .. تعكس النقطة التى ذكرها الأستاذ أمين هويدى وعنوانها «نحو رؤية عربية للدراسات الاستراتيجية» .. ونعنى بذلك أنه آن الأوان لكى تنتهى حقبة النقل المباشر من الكتابات الغربية وتنتهى حقبة الترجمات الرديئة أو الجيدة عن الدراسات السياسية الغربية .. وآن الأوان أن نبلور منهجا عربيا للتعادل مع الحقائق الواقعية فى المنطقة ورصد التغيرات فى النظام الدولى .. ورصد التغيرات فى النظام الاقليمى العربى ..

وليس إصدار هذا التقرير سوى حلقه أولى فى الواقع من خطة شاملة يعدها مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية .. بالتعاون مع مركز الدراسات الاستراتيجية الذى أنشىء فى الجامعة الأردنية .. وهذه الخطة تهدف إلى خلق مايطلق عليه فى الدراسات الاستراتيجية . Defece والـ Community

Community يتكون فى الولايات المتحدة الأمريكية أو فى إسرائيل من مكونات ثلاثة : العسكريون الحاليون والسابقون.. رجال وزارة الخارجية .. والباحثون المتخصصون فى الدراسات السياسية والاستراتيجية ..

ليس لدينا حتى الآن فى مصر مركز دراسات استراتيجية بهذا المعنى وليس لدينا على مستوى العالم العربى هذا المجتمع .. أو التجمع المهتم بقضايا الأمن القومى .

ويهدف مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية إلى خلق هذا التجمع فى

مصر أولا ثم على مستوى العالم العربى ثانيا .. وتم الاتفاق بالفعل مع مركز الدراسات الاستراتيجية فى الجامعة الأردنية على أنه سيعقد فى شهر يونيو القادم ما أطلقنا عليه « المؤتمر الاستراتيجى العربى الأول » نجمع فيه المتخصصين العسكريين والمثقفين والكتاب والباحثين فى الدراسات الاستراتيجية ورجال وزارة الخارجية .

دفعا لهذا التخطيط نرجو فى السنوات القادمة أن نخلق هذا التجمع القدير على إبداع وبلورة نظرية استراتيجية عربية ..

شكرا سيادة الرئيس ،،،

الأستاذ أمين هويدى : لايمكن لأى إنسان أنه يقدر يقلل من قيمة الجهد اللى بيقوم بيه المركز الاستراتيجى بالأهرام .. وفعلا أنا اطلعت على التقرير السنوى بتاعه وكنت أشعر بالفخر أن فى يدى تقريرا مصريا به المعلومات اللى موجودة ..

ولا تعارض بين ماقلته وما قاله الأخ سيد يس .. على أساس أننا مازلنا بنحاول وأن الامكانيات مازالت غير متاحة .. وأنا سعدت جدا بالمحاولات والمستقبلية ولا يمكن للمرء إلا أنه يدعو لهذه المحاولات بكل توفيق .

ولكن ما أستطيع قوله إنه .. بيننا وبين هذا الموضوع مشاوير كثيرة خصوصا فى جانب الاحصائيات ..

وجميعا نشعر إلى أى حد نعتمد فى إحصائياتنا الخاصة إلى المصادر الأجنبية ..

وعندما كنت أعد كتابى عن صناعة الأسلحة فى إسرائيل وتأثيرها على القرار السياسى .. وسافرت إلى « سيبرى » معهد الدراسات فى استوكهولم .. وأنا ذهلت من كمية المعلومات المتاحة والموجودة والإحصائيات التى تخصنا .

الثائر والدبلوماسى

السفير بهاء الرشيدى : كلمة الأستاذ أمين هويدى حملت لنا ، معلومات جديدة ومفيدة وقد سنحت الفرصة لكى يبين أن السياسة هى علم يعتمد على عاملين أحدهما القوة والآخر قد يكون وسائل أخرى منها الدبلوماسية ..

قد يزيل هذا بعض اللبس حول ماتحدث به الطبيب الشاب الذى تحدث من قبل فأقول إن السياسة أو سياسة أى دولة تعتمد على القوة أحيانا .. وعلى غير القوة أحيانا أخرى .. على الدبلوماسية على وسائل الاتصالات على المخابرات على جميع الوسائل الأخرى ..

وإذن وأفرق هنا ـ هذا شرح نظرى أو فلسفى ـ أن السياسة قد تكون سياسة ثورية أو سياسة محافظة .. ده موضوع تانى .. يعنى السياسى قد يكون سياسى ثائر وقد يكون سياسى محافظ ..

الثائر ـ وليس بالضرورة أن الثائر هو الذى يعمد إلى القوة إلى الدم ـ الثائر هذا الذى يرغب فى التغيير .. المحافظ هو الذى يحافظ على الوضع القائم .. يجب التفرقة بين السياسى وبين الثائر وبين المحافظ وبين القوة وبين الوسائل الأخرى ..

يعنى كل دولة لها سياسة .. وكل سياسة ممكن أن تعتمد على القوة وممكن أن تعتمد على غير القوة ..

وهذه السياسة إما أن تكون سياسة ثائرة أو سياسة محافظة بالنسبة لوزارة الخارجية فى عهد عبد الناصر وفى سنة ٥٦ باللذات كان لها دور هام جدا .. وأنا أذكر أنه فى يوم تأميم القناة . اجتمع كل أعضاء السلك الدبلوماسى وهم لا يعرفون لماذا هم جمعوا .. وفوجئنا بإعلان قرار التأميم ..

وحدث من الجماعة الدبلوماسيين الذين قد يكونوا موضع النقد أحيانا .. الحماس والعاطفة وكل مايمكن أن نتصور ..

بعد العدوان وقد تفضل الأخ الكبير وأستاذنا الأستاذ أمين هويدى وقال إنه

قد تم توزيع السلاح .. وأحد المشاركين وصف ذلك بأنه منتهى الديموقراطية .. فأنا أقول إن فى وزارة الخارجية بعد العدوان وكان كل المكلفين فى وزارة الخارجية وقتها بيشتغلوا صباحا ومساء وعاكفين على عملهم الدبلوماسى وهذا لم يمنع من أن تتشكل فرق للمقاومة الشعبية منا إحنا الدبلوماسيين .. وقد نزلنا إلى الشوارع وكنا بنتدرب فى النوادى ونحمل السلاح وكانت فرق للمقاومة الشعبية كغيرها من الفرق المسلحة التى كان عبد الناصر والقيادة السياسية يوزعونها فى كل مكان ..

كان كل واحد سواء فى الوزارة أو كان فى الحى بتاعه إذا كان يحب يتطوع ويحمل السلاح الذى كان يتوزع وقتها ..

هكذا يمكن الجمع بين أن تكون دبلوماسيا وأن تكون ثوريا وهكذا يمكن أن تكون سياسيا وأن تكون ثوريا أيضا .. وليس بالضرورة أن تكون سياسيا محافظا أو دبلوماسيا محافظا .

فوزارة الخارجية وعلى رأسها أشخاص كثيرون منهم على سبيل المثال الدكتور مراد غالب وكثيرون من الذين عملوا فى عهد المرحوم السادات تركوا مواقعهم بسبب مواقف سياسية مرموقة .. وكان لهم مبدأهم وكان لهم مواقفهم المشرفة وحتى الجماعة اللى كانوا معروف عنهم أنهم متعاونين أو ميالين إلى الغرب والتعاون مع أمريكا .. بعضهم كان له موقفه ولم يرض أن يوقع على اتفاقية كامب ديفيد وهذه نقطة تذكر لهم بالخير ..

إذن لا مانع أن يكون الثائر دبلوماسى .. ولا مانع أن يكون السياسى ثائر .. والسيد أمين هويدى كان أصله ضابط من الضباط الأحرار .. والأستاذ محمد فايق كان ضابط من الضباط الأحرار ثم أصبحوا سياسيين .. الأستاذ أحمد حمروش سياسى ومؤرخ ..

والأستاذ هيكل كان أصله سياسى ثم أصبح ثائرا .. إذا لا داعى للتفرقة إطلاقا.

وشـكرا . . .

معركة السويس تبدأ
من معركة أبي قير البحرية

الأستاذ منصور حسن : احنا بنشكر سيادة السفير وهو يعني طبعا بعض السادة المتحدثين في موضع الكلام لفتوا نظرنا إلى بعض الكتب المهمة لعل يكون فاتنا أن احنا نقراهم أو نتوقع نقراهم وطبعا كانت إضافة جيدة من سيادتك أن تنوه بوزارة الخارجية اللي ما اعتقدش أنه غايب عن حد الجهد .. مافيش إساءة أبدا حدثت لوزارة الخارجية من حد ..

الأستاذ عودة اتفضل .. أظن الأستاذ هيكل لوكان هنا ماكان ليسمح لك بالحديث مرتين ..

الأستاذ محمد عودة : لهذا أنا باستغل هذه الفرصة ..

هو في الواقع طبعا من الصعب أن الواحد يتحدث عن الاستراتيجية بعد الأستاذ أمين هويدى وبعد الدكتور سيد يس .. لكن سأعطى نفسى الحق في الحديث عن هذا الموضوع وأقول إنه هو أبسط بكثير مما نحن متصورين .. ولكى نفهم أو ندرك أن الاستراتيجية اللى لابد أن نعتنقها أو نطبقها لابد أن نضع الاستراتيجية المضادة .. الاستراتيجية التى علينا أن نواجهها .. استراتيجية الطرف الآخر ..

ولكى نحيط باستراتيجية الطرف الآخر .. عنوان الندوة « ثلاثون عاما على تأميم قناة السويس » صحيح فات ثلاثين سنة على تأميم قناة السويس لكن هناك فرق بين تأميم قناة السويس وبين معركة السويس ..

أنا باعتقد أن معركة السويس ترجع إلى تاريخ قديم قديم قبل كده بكثير .. وأنا باعتقد أن معركة السويس ترجع إلى سنة ١٧٩٩ إلى معركة أبي قير البحرية بين نلسون ونابليون .. بعد هذه المعركة قررت بريطانيا أنه لا مناص من الاستيلاء على مصر ومن احتلال مصر .. لأن مصر هى أهم محطة على الطريق إلى الهند ..

وفوجئت مصر بعد جلاء الإنجليز بالثورة المصرية التى قادها محمد على وابنه إبراهيم .. ودارت المعركة التاريخية بين محمد على وبين بريطانيا .. هذه المعركة كانت إحدى المعارك الرئيسية فى أوائل القرن التاسع عشر واستطاعت بريطانيا أن تعبئ أوربا فى المرة الوحيدة والأخيرة التى اتحدت فيها أوربا كان للقضاء على هذه التجربة .. وأرسى بالمرستون وكان وزير خارجية ثم رئيس وزراء بريطانيا فى ذلك الحين .. الاستراتيجية التى مازالت مطبقة حتى الآن .. القواعد الأساسية لاستراتيجية العدو التى لازالت سائدة حتى الآن ..

إن مبادئ هذه الاستراتيجية أو أساسها .. قال إن لو كان محمد على وإبراهيم عايزين يعملوا ولاية قوية أو غنية .. كان ممكن أن نتسامح فيها .. ولكنهم يريدون إقامة دولة عربية قوية عصرية .. تحل محل الامبراطورية المريضة وهذا أمر لايمكن أن نسمح به فى الطريق إلى الهند ولهذا فلابد من القضاء على هذه التجربة ولابد أن تعود مصر إيالة عثمانية .. يعنى دولة صغيرة داخل حدودها .. ولم تعبأ القوة العسكرية .. القضاء على القوة العسكرية المصرية .. لابد أن تجرد مصر من القوة العسكرية .. بل وأكثر من كده تقرر وهذا كان السابقة الأساسية أول انفتاح فى تاريخ مصر أو فى تاريخ المنطقة تقرر سنة ١٨٣٨ وعقدت الامبراطورية البريطانية معاهدة الباب المفتوح مع الامبراطورية العثمانية لكى تدخل البضائع الإنجليزية إلى أسواق الامبراطورية وإلى السوق المصرى مباشرة .. ليه .. لأنهم قالوا إن تصنيع مصر وتجريد الاقتصاد المصرى الذى بدأه محمد على سيؤدى إلى إغلاق أسواق الشرق أمام البضائع البريطانية والتجارة البريطانية .

إذن كان تجريد مصر من القوة العسكرية وتجريد مصر من البناء الاقتصادى وإعادة مصر إلى أن تكون محصورة داخل حدودها أصبحت هذه هى الاستراتيجية الأساسية التى وضعت فى أوائل هذا القرن وظلت سائدة إلى الآن فى صور متغيرة .

فى أواسط القرن الماضى سنة ٦٠ أرادت مصر أنها تبنى دولة داخل حدودها بس دولة متحضرة .. دولة أوربية .. اللى الخديو إسماعيل لما رفع شعار مصر

قطعة من أوربا ماكانش عايز ينقل .. كان عاوز يبنى دولة متحضرة بالتعاون مع أوربا فغرقوا مصر فى الديون وبعد كده فرضوا على مصر طريقة لتسديد الديون بأن يعين وزير مالية بريطانى ومراقب فرنسى ويتولى صندوق الدين ..

ميلاد الحركة الوطنية

الحركة الوطنية المصرية ولدت فى ذلك العصر وولدت على أساس يعنى واضح وبسيط .. أى لابد من إقامة نظام ديموقراطى يتولى تسديد ديون مصر وتسوية المشكلة الاقتصادية .. واستطاعت الحركة الوطنية أن تضع خطة كاملة لتسوية الديون ولإقامة نظام ديموقراطى .. وتم إقامة هذا النظام ولكن تدخلت الدول ومنعت مصر.. وكل الجهود المصرية لتسوية المشكلة الاقتصادية ـ والوثائق موجودة والخطط موجودة ـ دفنت وفرض على مصر ألا تسوى ديونها ولا تصلح اقتصادها لكى يكون ده ذريعة لاحتلالها فيما بعد ..

هذا الضغط على مصر .. عن طريق تقويض الاقتصاد المصرى منع مصر من حتى أن تقوم حتى دولة متحضرة داخل حدودها أصبح تكملة لتلك الاستراتيجية ..

أدى هذا إلى قيام الثورة .. التحام الجيش بالشعب هذه الثورة العرابية التى كانت تريد فى نفس الوقت إقامة نظام ديموقراطى وإقامة اقتصاد وطنى .. ووجدوا أن تحول الدولة سواء فى عصر محمد على أو فى عصر إسماعيل كانت دولة .. ولكن فى أيام عرابى تحول الأمر إلى ثورة فأصبح سابقة خطيرة لايمكن القضاء على هذه الثورة إلا بالاحتلال وجه الأسطول البريطانى ستة آلاف ميل من بريطانيا .. وقف قدام شواطئ إسكندرية .. ولما حاولوا يصلحوا الطوابى الأسطول البريطانى أن هذه الطوابى تهدد أمن الأسطول البريطانى .. يعنى دى كانت أول حكاية من نوعها .. طلبوا أن يتوقف إصلاح الطوابى فى ظرف ٢٤ ساعة .. وحينما لم يتوقف الإصلاح ضربت الإسكندرية واحتلت مصر..

إذن هناك استراتيجية للخصم لازالت قائمة حتى الآن .. الاستراتيجية المضادة بدأها محمد على قال كلمة .. شعار مشهور : « إن الجهادية هى أساس العمارية » يعنى لابد أن تكون مصر قوة عسكرية أو قوة مقاتلة تستطيع أن تخوض متكافئة ضد خصم غير متكافئ ..

ولكن هذه الاستراتيجية لا تقوم على بناء جيش .. ولكن لابد أن تقوم على بناء اقتصادى سياسى ثقافى كامل .. لأن القوة العسكرية تكون ذروة بناء متكامل يستطيع أن يواجه قوة غير متكافئة ..

هذه القواعد البسيطة الأساسية طبعا لابد أن تكون واضحة لكى نستطيع أن نبنى .. معاهد الأبحاث والأساتذة والمفكرين والأكاديميين يستطيعون أولا بدون أن يسترشدوا بهذه المبادئ الأساسية التى لابد أن نجعلها دليل البحث الذى تبنى عليه الاستراتيجية المتكاملة ..

بعد .. أو فى خلال الحرب العالمية الثانية (تسمحلى أطول يعنى شوية يعنى دقيقة واحدة) خلال الحرب العالمية الثانية .. إيدن ..

بيتكلموا على أساس معركة السويس .. أساس معركة السويس ما بدأش سنة ٥٦ .. أساس معركة السويس بدأ فى ١٩٤١ .

إيدن كان السياسى الوحيد اللى كان عنده رؤية لمنطقة الشرق الأوسط .. وفى سنة ١٩٤١ إيدن قال التصريح الذى يعتبر أنه بداية قيام الجامعة العربية .. قائم على أساس تكتيل المنطقة العربية لأن بريطانيا كان بدأ يفتر حماسها للتجربة الصهيونية وبدأت ترى أنه من الأفضل أنها تكتل القوى العربية أو الأنظمة العربية الموالية لكى يظل الوجود البريطانى هو الوجود السائد فى الشرق الأوسط ..

صدر هذا التصريح سنة ٤١ ولم يكن مجرد صدفة أن يعقد سنة ٤٢ فى نيويورك مؤتمر بلتيمور الذى نستطيع أن نقول إنه ولدت فيه دولة إسرائيل .. إن

الولايات المتحدة الأمريكية كفغل مضاد لتصريح إيدن .. عقدت مؤتمر بلتيمور وولدت منذ البداية ولدت إسرائيل والحركة الصهيونية حولت ولاءها إلى الولايات المتحدة الأمريكية وفى مقررات بلتيمور ولدت إسرائيل ..

وبترول الشرق الأوسط

وبدأ هذا الصراع ..

لكن إيدن كان يدرك أن الشرق الأوسط منطقة أساسية خصوصا فيما بعد الحرب العالمية الثانية بسبب البترول وبسبب المشروع اللى قالوا إننا حنسيب الهند وحنعمل الامبراطورية الثالثة فى أفريقيا والشرق الأوسط الخ الخ ... وكان يدرك بالأهمية الأساسية للوجود البريطانى فى منطقة الشرق الأوسط .. وفى سنة ١٩٥٤ مشروع حلف بغداد كان مشروع دالاس ولكن إيدن كان يرى أن دالاس يتطفل على منطقة لابد أن يكون الوجود البريطانى هو الوجود الأعلى والسائد فيها .. فاستطاع أنه يختلس مشروع حلف بغداد كما سمى .. وعقدت .. المعاهدة المصرية سنة ١٩٥٤ على أساس أن دى تسوية بين مصر وبين بريطانيا على أساس أن تكون مصر فى إطار غرب .. مصر تظل فى إطار الغرب .. ويظل الوجود البريطانى .. يعنى نرجع إلى أن الاستقلال مع علاقة الند للند مع بريطانيا .. تسوية بريطانية تحافظ على الوجود البريطانى فى هذه المنطقة ..

وبدأ الصراع حينما وجد أن معاهدة ١٩٥٤ لم تؤد إلى ذلك وذهب عبد الناصر إلى باندونج وأعلن أنه لن يبقى فى فلك الغرب ولن تبق مصر فى فلك الغرب بل مصر حتتجه إلى التعبئة العربية وإلى الالتحام بالعالم الثالث وليس البقاء فى فلك الغرب وبدأت من ذلك الحين .. جذور السويس لابد أن نستقطبها إذا كنا عايزين نعرف ونضع استراتيجيات ونضع مبادئ .. لابد أن نستقصى أزمة السويس منذ معركة أبى قير سنة ١٧٩٩ ثم منذ تصريح إيدن سنة ١٩٤١ على السياسة البريطانية فى الشرق الأوسط والصراع بين الهيمنة أو الوجود البريطانى .. والوجود الأمريكى ..

لما وجدت إسرائيل والترليبمان المعلق الأمريكى الشهير قال إن الولايات المتحدة أقامت إسرائيل لأنها قررت أن توجد فى المنطقة بنفسها مباشرة وليس عن طريق بريطانيا ..

يعنى إسرائيل كانت تمثل الوجود المباشر والعضوى للولايات المتحدة فى المنطقة هنا .

والصراع بين ثورة يوليو وبين الامبريالية البريطانية من جهة وبين الامبريالية الأمريكية من جهة كان يجعل الأزمة لابد أن تشير إلى ذروتها بصدام عسكرى فى وقت من الأوقات .

لما جاء دالاس سنة ١٩٥٤ ، وذهب عبد الناصر سنة ١٩٥٥ إلى باندونج شعر دالاس أن هذه البؤرة فى هذا الشاب لابد أن تواجه ، ورفض عرض السد العالى .. وثيقة رفض السد العالى كانت وثيقة إعلان حرب على النظام فى مصر .. نفس نص وثيقة رفض السد العالى فى الآخر كانت تحريض للشعب المصرى وتحريض على النظام فى مصر ..

ولما راح له سلوين لويد وكريستيان بينو فى المستشفى يزوروه قال لهم لماذا لم تقبضوا على عبد الناصر .. لقد منعنى المرض أن أكون أنا سببا للقضاء على عبد الناصر ..

وبعد الحرب مباشرة دعى الملك سعود إلى أمريكا .. وايزنهاور فى كتابه بيقول إن احنا سنخلق قيادة روحية فى المنطقة .. هذه القيادة الروحية ستتولى قيادة المنطقة ..

يعنى أرادوا أنهم يعملوا من الملك سعود قيادة روحية بديلة لقيادة عبد الناصر .. وأعلن فى يناير عام ١٩٥٧ مشروع ايزنهاور الذى قيل فيه إن ده مشروع يملأ الفراغ الذى تركه سقوط الامبراطورية البريطانية والفرنسية فى المنطقة .

يعنى عدم اعتراف بالشعوب .. ونهرو أيامها قال هذه أكبر إهانة وجهت إلى

شعوبنا .. وعبد الناصر رفض وقال مامعنى ملء الفراغ يريدون أن يحلوا .. ونستبدل استعمارا باستعمار تانى ..

وبدأت من سنة ١٩٥٧ .

بيقولوا ايزنهاور أمر بجلاء إسرائيل عن سينا .. هو صحيح أمر بجلاء إسرائيل عن سيناء .. ولكن لأنه كان بيعد لمشروع ايزنهاور ولإقناع العرب والإسرائيليين بأن أنا الحكم وأن أمريكا الآن أصبحت هى القوة المطلقة التى تستطيع أن تكون الحكم فى المنطقة دى .

ومنذ ١٩٥٧ وإعلان نظرية ايزنهاور ورفض مصر لنظرية ايزنهاور بدأت المعركة وبدأت معركة طويلة امتدت عشر سنوات وبلغت ذروتها فى حرب ١٩٦٧ واللى تصوروا أن قضية الشرق الأوسط زى ما قالوا جونسون قال الآن انتهت قضية الشرق الأوسط .. ولكنها ما انتهتش ولازلنا بنقاوم وأعتقد أن يعنى قضية السويس أو معركة السويس لاتزال قائمة وستظل قائمة لمدة طويلة .. النهارده الصبح قالوا على المبادئ أو الطرق أو الميكانزم الجديد للاستعمار الجديد ..

الميكانزم الجديد للاستعمار الجديد يبدأ أولا بتحرير القوى السياسية وتحرير الإرادة السياسية ..

إحنا بالتنمية من سنة ٦١ إلى ٦٧ عملنا تجربة تنمية فى ظل أقسى الظروف ولكن نفذت خطة .. ونفذت الخطة بعد عامين .. وأرسيت قاعدة صناعية الخ الخ ...

من سنة ١٩٧٤ إلى الآن بنعمل خطة تنمية انفتاحية عندنا موارد لم تكن لدينا .. السياحة المغتربين البترول إيراد القناة .. ٣٧ مليار من القروض .. المساعدات الأمريكية .. لكن أهملنا الإنتاج وعايشين عالة على العالم . ووصل الاقتصاد إلى حالته ..

إذن إحنا أول طريقة لمواجهة السويس القديمة ولمواجهة السويس الجديدة .. هى تحرير الإرادة السياسية وأن الإرادة السياسية تكون هى المطلقة وأن قرارنا السياسى .. الحقيق يصدر من هنا لصالح الأغلبية وليس لارتباطه بأى هيئة أجنبية ..

شكرا ،،،

ماهو موقف صلاح سالم ؟

الدكتور عبد الفضيل : شكرا سيدى الرئيس أنا أعلم أن الوقت متأخر لكن أعتقد أن بعض النقاط يجب أن تسجل باختصار ..

تميزت هذه الندوة بدرجة عالية من التوفيق والشهادات التاريخية التى تلقى أضواء لأول مرة على أبعاد حرب السويس ومعركة السويس التاريخية ..

ولكن من خلال العرض الشيق والعلمى والموثق للأستاذ أمين هويدى هناك نقطة تقلقنى حول الوقائع التاريخية خاصة ما دار فى الاجتماع أثناء غياب الأستاذ أمين هويدى والذى اعتمد فى مرجعه على مذكرات السيد عبد اللطيف البغدادى سواء المسألة التى تتعلق بموقف المشير أو بموقف صلاح سالم .. وإذا كان صلاح سالم خرج متحمسا لقيادة السويس فكيف هذا يتسق مع أنه كان موقفه استسلاميا .. ولأن هذه الندوة تميزت بإلقاء ضوء ومزيد من التوثيق والتحقيق العلمى .. تلك نقطة ضعيفة لابد أن تدقق وبشكل علمى حتى لا تكون نهبا للأهواء وللتاريخ ..

دى نقطة ..

النقطة الثانية هى برضك غاب عن هذه الندوة بعد ذكر بأشكال مختلفة ..

ذكر دور القوات المسلحة .. دور القيادة السياسية .. الدور الرائع للقيادة السياسية .. ذكر دور القوات الخاصة أو الضباط الذين أصبحوا فى ثياب مدنية

زى الأستاذ محمد فايق وغيره من الضباط الذين لعبوا هذا الدور التاريخى ..

ولكن غاب عن النقاش وعن التمثيل فى الندوة قوى سياسية لعبت دورا فى بورسعيد تحديدا وكانت جزءا لا يتجزأ من عملية التعبئة الشعبية التى كانت فريدة من نوعها .

وإذا عدنا إلى ماقاله السير انتونى ناتنج حول أن لدى القيادة البريطانية كان هناك سوء تقدير للـ Morale : فى الجيش والشعب الذى لعب هذا الدور فى الـ Morale فترة التحام تاريخى لم تتكرر امتدت من ٥٦ إلى ٥٨ فى تاريخ مصر حينما كان المدنيون فى ثياب عسكرية زى ما قال الأستاذ بالنسبة للخارجية .. وكان العسكريون فى ثياب مدنية .

تلك الحلقة الرئيسية التى تحطمت عليها كل مؤامرات المستعمر .. وإذا كنا نتحدث عن المستقبل .. لماذا انتكسنا بعد ذلك ؟ ! لأنه الكل أراد أن ينفرد بالموقف المدنيون أو العسكريون .. أعتقد ذلك الدرس ـ وكان هناك مجال لورقة من الذين ـ وهناك أسماء معروفة لانريد أن نخوض فيها .. يمكن أن تستدعى لتلقى خبرتها بالذات .. كيف نجحت فى تعبئة وقامت بأعمال تاريخية ..

طبعا هذا لاستكمال التوثيق .. لأن هذه الندوة فريدة فى نوعها .. سق حديث عن السويس .. من منظور تاريخى مستقبلى ..

أتفق مع الأستاذ عودة تماما أن معركة السويس لم تبدأ بقرار تأميم شركة قناة السويس .. معركة السويس بدأت قبل حفر قناة السويس وهناك حديث لمحمد على والى مصر ـ موثق فى كتاب الأستاذ أحمد لطفى السيد ـ أنه عندما طرح على محمد على فكرة حفر قناة السويس رفضها وقال بحدسه التاريخى « إن حفر قناة السويس كممر أساسى للتجارة الدولية إلى الهند هو الطريق إلى احتلال مصر وسيخلق تعقيدا يتعلق بمستقبل مصر .. » .

فمحمد على منذ البداية .. وهو كان أيضا بداية النهضة المصرية وبناء مصر الحديثة ـ كان واعيا إلى أن حفر قناة السويس هو بداية معركة السويس ..

فمعركة السويس بدأت بمحمد على .. كانت الحلقة الأولى فى الانتكاسة .. ثم الحلقة الثانية عرابى ومعركة التل الكبير .. أيضا كانت فى القناة على ضفاف القناة .. ثم حرب السويس ٥٦ ثم حرب السويس القائمة الآن إلى ماشاء الله ..

وإذا كنا بقى نتحدث عن المستقبل وعن الاستراتيجية وعن الدراسات والمعلومات أعتقد أن الحلقة الضعيفة فى الموقف أن حينما نريد أن ننجز عملا استراتيجيا مستقبليا .. القضية الأولية هى حماية تدفق المعلومات وتأمين المعلومات ..

وأعتقد تلك قضية غائبة منذ مدة طويلة .. وسأذكر أمثلة عن نجاح الفترة السابقة حينما قال السيد سكرتير عام هيئة قناة السويس الذى تحدث اليوم وقال إنه من الثلاثة الذين قاموا بإدارة القناة لم يعلموا بالقرار إلا قبلها بخمسة وخمسين ساعة يعنى أقل من ثلاثة أيام قمة التخطيط والكتمان والسرية ..

حينما ذكر الأستاذ أمين هويدى أن تقرر عدم استخدام المكاتبات لتأمين الاتصالات ..

الوضع اليوم فى ظل الأقمار الصناعية ، وفى ظل كومبيوتر ، يمكن أن ينقل كل مافيها بالتليفونات الدولية ..

كيف يمكن أن نؤمن بلدنا فى ظل هذه التكنولوجيا المتقدمة ، وهنا التكنولوجيا قد تكون لعنة وليست نعمة للأسف الشديد .

وهى قضايا وإن لم نعكف عليها فى سرية ودون مؤتمرات مفتوحة أعتقد أننا سنكون مطعونين فى الصميم فى معركة السويس القادمة ..

وشـــكرا ،،،

الأستاذ منصور حسن : أعتقد بهذا يكون الموضوع قد انتهى .. وإلى اللقاء غدا إنشاء الله فى الجلسة الختامية الساعة عشرة صباحا .. بالإضافة إلى الموضوعات الموجودة فى البرنامج سيكون هناك موضوع عام أعتقدأنه مهم للغاية

وهو التعليق العام حول موضوعات الندوة .. كما قال الأستاذ أحمد خمروش إنه سيكون هناك مفاجأة كبرى وسارة وهامة وأنا لا أعرف عنها شيئا ، ولكن فقط أبلغ حضراتكم ..

وشـكرا ،،،

الجلسة الرابعة
القسم الخامس :

تغير ميزان القوى العالمى وتأميم قناة السويس

كلمة البروفيسور مارتن روبا

لم يكن هناك حتى تلك اللحظة أى بلد نام ، وصل إلى ذلك المدى فى النضال المعادى للإمبريالية على الصعيد الاقتصادى مثلما فعلت مصر بتأميم شركة قناة السويس ، هل كان من الضرورى أن يكون الباب مفتوحا أمام الدول الإمبريالية لاستعادة المواقع الاستعمارية القديمة ، ذلك كان هو السؤال المطروح والذى دارت حوله الصراعات .

- تعليق ناحوم جولدمان على اشتراك إسرائيل فى عدوان ٥٦ : «لقد ثبتت هذه المشاركة لدى العالم العربى إلى الأبد صورة اسرائيل كحليف للقوى الإمبريالية »

- وتعليق صحيفة تايمز اللندنية :

إذا مانجح عبد الناصر فى فعلته ، فإن المصالح البريطانية والمصالح الغربية الأخرى ستختفى فى منطقة الشرق الأوسط .

الأستاذ أحمد حمروش : السادة الضيوف .. الزميلات والزملاء ..

نفتتح الجلسة الخامسة من الندوة بحديث وبحث يقدمه البروفيسور مارتن روبا أستاذ التاريخ فى أكاديمية العلوم بألمانيا الديموقراطية والكاتب البارز الذى أصدر أكثر من كتاب حول القضايا العربية الراهنة وخاصة فى الصراع العربى الإسرائيلى .. وهو أيضا رئيس جمعية الصداقة الألمانية المصرية ..

وأود هنا قبل أن يتحدث البروفيسور أن أنوه بالدور الذى تلعبه جمهورية ألمانيا الديموقراطية فى التعاون المبدئى الثابت مع مصر رغم ماقد يكون هناك من خلافات أحيانا فى وجهات النظر .. إلا أنها كانت دائما وفى ظل أحلك الظروف تمد يدها بالمساعدة .. والتعاون والتضامن .. وهو موقف يذكر لجمهورية ألمانيا الديموقراطية فيشكر ..

والآن البروفيسور مارتن روبا ..

بروفيسور مارتن روبا : شكرا سيدى الرئيس ..

أو أن أبدى بعض الملاحظات على موضوع معركة قناة السويس عام ١٩٥٦ الأحداث وخلفياتها ..

تمتلك مصر تاريخا غنيا حافلا بالنجاحات والانتكاسات مثلما هو عليه الحال عموما بالنسبة لحياة الشعوب والأفراد .

إننا نكرم هنا سلسلة أحداث عام ١٩٥٦ ، ذات العلاقة بقناة السويس . فهى لاتمثل حدثا بارزا فى التاريخ المصرى فحسب ، بل أيضا فى الصراعات

الدولية الجارية ما بعد عام ١٩٤٥ من أجل إعادة تكوين العالم . وقد اغتنمت جمعية الصداقة بين جمهورية ألمانيا الديمقراطية ومصر فى برلين هذه الفرصة قبل حوالى أسبوع لتناول تلك السلسلة من الأحداث بالتفصيل من خلال ندوة خاصة بها . إننا نقبل بامتنان دعوة لجنة التضامن المصرية لهذا السيمنار ، وأود أن أعرب عن شكرى لها باسم جمعية الصداقة الألمانية ـ المصرية ولجنة التضامن فى جمهورية ألمانيا الديمقراطية .

لقد كانت أحداثا مثيرة تلك التى وقعت عام ١٩٥٦ على ضفة قناة السويس وحولها . ففى يوليو/ تموز عام ١٩٥٢ استولى العسكريون الوطنيون المتحدون داخل التنظيم السرى « الضباط الأحرار » وبقيادة جمال عبد الناصر ، على السلطة داخل الجيش والدولة فى مصر. ومهدوا الطريق لقيام ثورة معادية للملكية والاقطاع والإمبريالية ، واستمر بذلك انهيار نظام الاستعمار الإمبريالى الذى كان قد بدأ فى الأربعينات فى آسيا. وقاموا فى عام ١٩٥٦ بتأميم شركة قناة السويس التى كانت مازالت تشكل معقلا قويا للرأسمال الأجنبى فى البلاد .

ووضعت الخطوة الآنفة الذكر مقاييس فى النضال من أجل التحرر الوطنى والاجتماعى . وقد ولدت ردود فعل متعاكسة . فقد رحبت بها كافة تلك الشعوب ، كما كتبت الصحيفة الهندية « ناشيونال هيرالد » ، « التى حررت نفسها فى السنوات الأخيرة من السيطرة الأجنبية وأحرزت المساواة السياسية مع الأمم المتقدمة فى الغرب والتى تسعى حاليا إلى المساواة الاقتصادية » وقد أعرب الطرف الإمبريالى عن دهشته وسخطه . فبالإضافة إلى الخسارة المباشرة التى منى بها ظهر الخوف من أن يمنى بما هو أسوأ منها . فقد تحدث رئيس الوزراء البريطانى انتونى إيدن عن عملية « سرقة » . وكتبت صحيفة « تايمز » اللندنية فى ١ أغسطس/ آب عام ١٩٥٦ قائلة : « إذا ما نجح عبد الناصر فى فعلته ، فإن المصالح البريطانية والمصالح الغربية الأخرى ستختفى فى منطقة الشرق الأوسط » .

واندلعت معركة حول قناة السويس ، اتخذت فى البداية طابعا دبلوماسيا وفيما بعد طابعا عسكريا .

وأرادت الدولتان اللتان كانتا متأثرتين بصورة رئيسية من هذه الخطوة وهما فرنسا وبريطانيا العظمى ، ابتزاز مصر ديبلوماسيا . ولهذا الغرض وجهتا الدعوة لعقد مؤتمر دولى فى أغسطس/آب وسبتمبر/ أيلول عام ١٩٥٦ فى لندن . إلا أنهما لم تحققا أى نجاح فى ذلك .

وأوضحت المناقشات التى جرت فى مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة فى سبتمبر/ أيلول وأكتوبر/ تشرين الأول عام ١٩٥٦ عدم التوافق فى المواقف . وأبدت مصر استعدادها لضمان حرية الملاحة فى القناة ، إلا أنها رفضت أى تدخل فى سيادتها . وساند كل من الاتحاد السوفيتى ويوغوسلافيا موقفها المبرر تماما . وتحدث وزير الخارجية السوفيتى قائلا بأن هناك قوى إمبرالية تريد إعادة الأوضاع الاستعمارية البالية فى مصر تحت راية مايسمى بتدويل قناة السويس .

وهذا ما كان عليه الأمر بالفعل . فلم يكن هناك حتى تلك اللحظة أى بلد نام وصل إلى ذلك المدى فى النضال المعادى للإمبريالية على الصعيد الاقتصادى مثلما فعلت مصر بتأميم شركة قناة السويس . فهل كان من الضرورى أن يكون الباب مفتوحا أمام الدول الإمبريالية لاستعادة المواقع الاستعمارية القديمة ، ذلك كان هو السؤال المطروح والذى دارت حوله الصراعات ؟

ومارست الدول الاشتراكية إضافة إلى تضامنها فى الساحة الدولية ، تضامنا عمليا من أجل تقوية موقف مصر . فقد أرسل الاتحاد السوفيتى ٢٠٠,٠٠٠ طن من القمح . وأرسلت بعض الدول ومن بينها جمهورية ألمانيا الديمقراطية ، مرشدين للسفن ، ساعدوا فى استمرار عملية الملاحة فى قناة السويس .

ونظرا لعدم تمكن كل من فرنسا وبريطانيا العظمى من إحراز أى نجاح ،

حضرتا سوية مع إسرائيل للقيام بهجوم عسكرى . ولم تريدا فقط استعادة السيطرة على قناة السويس بل فضلا عن ذلك توجيه ضربة قوية لحركة التحرر الوطنى بمجملها . وكانت فرنسا مهتمة بالدرجة الأولى بخصوص الجزائر ، التى كان قد بدأ فيها الكفاح المسلح من أجل التحرير فى عام ١٩٥٤ . وكان الفرنسيون مقتنعين ، كما كتب فيما بعد أنتونى نوتنغ ، وهو وزير دولة سابق فى وزارة الخارجية البريطانية بأن « المقاومة الجزائرية ستنهار فى اللحظة التى يتم فيها القضاء على عبد الناصر » .

الحرب الباردة التى شنتها الإمبريالية ضد الدول الاشتراكية وضد قضية التحرر الوطنى قد وصلت فى تلك الآونة إلى ذروتها . وكان سياسيون فى دول إمبريالية ما زالوا يعتقدون ، متأثرين بروح الحرب الباردة ، أن بإمكانهم العمل وفقا للطريقة القديمة للأسياد الاستعماريين .

وهاجمت إسرائيل فى ٢٩ أكتوبر/ تشرين الأول مصر فى شبه جزيرة سيناء بعد أن كانت قد اتفقت مع حلفائها . وشاركت القوات الفرنسية والبريطانية بدءا من ٣١ أكتوبر/ تشرين الأول فى العدوان . وقامت بقصف المدن الكبيرة والمطارات المصرية من أجل مساندة الهجوم الإسرائيلى وتحطيم معنوية المواطنين المصريين .

ووقعت مصر فى وضع حرج . إذ كان الأمر يتعلق بسيادتها كدولة كما كان يتعلق بمصير الثورة التى بدأت فى عام ١٩٥٢ . وتوجه ناصر إلى الشعب المصرى قائلا : « إننا سنناضل ولن نستسلم . إننا سندافع عن كل قرية وعن كل بلدة . إن كل مصرى هو اليوم أحد أفراد جيش التحرير الوطنى » .

وشجبت الحكومة السوفيتية فى ٣١ أكتوبر/ تشرين الأول العدوان الإسرائيلى . وطالبت الجمعية العامة لمنظمة الأمم المتحدة ـ تعذر انعقاد مجلس الأمن بسبب الفيتو الفرنسى والبريطانى ـ فى ٢ نوفمبر/ تشرين الثانى بالأغلبية الساحقة الطرفين المتحاربين بوقف إطلاق النار فورا ، وعقد اتفاقية

لوقف إطلاق النار وسحب قواتهما إلى ما وراء الحدود الأصلية .

وتجاهل المعتدون مطالب الأمم المتحدة وواصل الإسرائيليون تقدمهم واحتلوا من بين المناطق الأخرى شرم الشيخ . واتخذ الفرنسيون والبريطانيون موطئ قدم لهم فى الجزء الشمالى من منطقة قناة السويس . وعرقلت أكثر من ٥٠ من السفن التى تم إغراقها ، الملاحة فى قناة السويس .

وفى الخامس من نوفمبر/ تشرين الثانى بعد الظهر ، أثر امتداد رقعة المعارك وجه الاتحاد السوفيتى رسائل إلى كل من بريطانيا العظمى وفرنسا وإسرائيل . وحذر بكلمات جدية من مغبة استمرار الحرب ، التى وصفها بأنها حرب استعمارية سافرة . واتخذت دول اشتراكية أخرى ومن بينها جمهورية ألمانيا الديمقراطية موقفا حازما أيضا ضد العدوان وأعربت عن تضامنها مع الشعب المصرى . وجاء فى بيان بهذا الخصوص بأن حكومة جمهورية ألمانيا الديمقراطية « تدعم بكل حزم النضال العادل للشعب المصرى » . وهى « تعلن عن تضامنها مع المطالب العادلة للشعب المصرى ، وعلى الأخص مع مطالبته بإعادة السيادة الكاملة لمصر على أراضيها ، وهى ستقدم لها الدعم بكل ما يتوفر لديها من وسائل » . وتكونت فى جمهوريتنا لجنة « المساعدة الودية لمصر » التى تولت تنسيق العمليات التضامنية لمواطنى جمهورية ألمانيا الديمقراطية .

ووجدت البلدان النامية نفسها نتيجة لما حدث على ضفة قناة السويس بأنها فى مواجهة التحدى بشكل مباشر . فقد كان الاستقلال عن الإمبريالية ، الذى كان الصراع يدور من أجله ، من صلب مهامها .

وفى ٣١ أكتوبر/ تشرين الأول بالذات أدانت الحكومة الهندية العدوان الإسرائيلى . وتحدثت عن انتهاك سافر لميثاق الأمم المتحدة ، يمكن أن يؤدى إلى اتساع رقعة الحرب .

وفى اليوم التالى أعلن جواهرلال نهرو بخصوص التصرف البريطانى الفرنسى قائلا : إنه لم يشهد من خلال خبراته التى اكتسبها فى ميدان السياسة الخارجية ،

أى حالة أكبر من هذه العدوانية الغاشمة . إن الأمم المستقلة والواعية فى آسيا وأفريقيا لن تسكت على مثل هذا الشيء . وفجر المناضلون الوطنيون فى سوريا كتضامن فعلى مع مصر ، أنابيب النفط ومنشآت الضخ التابعة لاحتكارات إمبريالية . وقطعت العربية السعودية العلاقات الدبلوماسية مع فرنسا وبريطانيا العظمى وحظرت شحنات النفط إلى البلدين . وفى العراق امتزج السخط ضد عدوان السويس بالاحتجاج ضد نظام الحكم المحلى الرجعى والمؤيد للإمبريالية .

واصطدم المعتدون أيضا بمقاومة فى بلدانهم بالذات فقد قام بريطانيون بمظاهرات احتجاج لدى توارد أنباء الغارات الجوية على مصر ، فخرج الشغيلة إلى الشوارع واحتج نواب حزب العمال فى مجلس العموم . وسادت أثناء المناقشة البرلمانية مظاهر اضطراب بحيث كان من الواجب قطع الجلسة ــ ولم يحدث شيء من هذا القبيل منذ ٢٠ عاما .

وكانت كل من فرنسا وبريطانيا العظمى وإسرائيل على وشك إحراز انتصار عسكرى . ولم يكن ذلك أمرا يبعث الاستغراب . إذ كانت القوى الثلاثة متفوقة من الناحية العسكرية ، وكان المصريون قد فوجئوا بالهجوم .

وكان المعتدون قد تهيأوا للاحتفال بالنصر . وتباهى ديفيد بن غوريون أمام الكنيست بأن الإسرائيليين قد احتلوا منطقة تبلغ مساحتها ثلاثة أضعاف مساحة بلدهم بالذات وذلك قبل أسبوع واحد . وأصبحت الحدود المتفق عليها مع مصر حسب اتفاقية وقف إطلاق النار عام ١٩٤٩ لاغية ، ولا يمكن لأى ضغط مهما كبر أن يزعزع تصميم إسرائيل على التمسك بالمواقع الحالية . ووصف صحفيون بورجوازيون الخطاب الذى ألقاه بن غوريون بأنه « خطاب النصر » .

ومع ذلك فقد أخطأ المعتدون الحساب . فالانتصار الذى ظنوا أنه بين أيديهم قد أفلت منهم . ومنوا بالهزيمة .

كيف حصل التحول المفاجئ ؟

لقد تغير العالم بشكل حاسم عما كان عليه عندما كانت تتوج فيه الممارسات الاستعمارية القديمة بالنجاح . فقد قام النظام الاشتراكى . وكانت قوته الرئيسية الاتحاد السوفيتى بدرجة كافية من القوة بحيث تضع حدا للمعتدين الإمبرياليين . وكان الانذار الذى وجهه محذرا من عمليات عسكرية ، حسب رأى نهرو ، عاملا حاسما أدى إلى قبول فرنسا وبريطانيا العظمى وإسرائيل بوقف إطلاق النار . وحطمت حركة التحرر للشعوب المستعمرة وشبه المستعمرة مدعومة من قبل الاشتراكية ، نظام الاستعمار الإمبريالى ، وجرى عام ١٩٥٥ بمشاركة وفد مصرى برئاسة عبد الناصر مؤتمر باندونج الذى شكل علامة بارزة من خلال ولائه المعادى للاستعمار وكذلك من خلال إقراره لمبادئ التعايش السلمى . ولم تكن الحركة العمالية شأنها شأن بقية القوى الديمقراطية فى دول إمبريالية ، مستعدة للقبول بالعودة إلى الممارسات الاستعمارية القديمة .

وتبع ذلك منافسات بين الأطراف الإمبريالية .

وقد أرادت الولايات المتحدة الأمريكية أن تحقق فائدة مضاعفة من هذا الوضع . فقد كانت تؤيد بصورة أساسية توجيه ضربة قوية لحركة التحرر الوطنى بغية إضعافها . ومن هذا المنظار أيدت تصرف المعتدين الثلاثة . وكانت تريد فى نفس الوقت أن تحتل فى الشرق الأوسط مواقع القوى الاستعمارية « التقليدية » وهذه هى السياسة التى بدأت بوضع مخططاتها فى عام ١٩٤٣ . وهذا ما جعلها تؤكد على تقاليد ديمقراطية خاصة بها وتندد بالاستعمار « القديم » . ويدخل فى إطار هذا النهج ما أعلنه ايزنهاور فى رسالة إذاعية بخصوص ما يدور حول قناة السويس ، بأن حكومته « لاتعتبر استخدام العنف ضربا من الذكاء وليس الشكل المناسب لحل أزمات دولية » . ولم يستطع المعتدون الثلاثة على هذا النحو الاعتماد على دعم الولايات المتحدة الأمريكية عندما أصبح الوضع حرجا بالنسبة لهم .

وأوقفت كل من فرنسا وبريطانيا العظمى ، بعد أن كررت الجمعية العامة

للأمم المتحدة مطالبتها بوقف إطلاق النار ، عملياتها الحربية فى السادس من نوفمبر/ تشرين الثانى ، وقامتا بسحب قواتها من الأراضى المصرية لغاية ٢٢ ديسمبر/ كانون الأول .

وتردد الحكام الاسرائيليون فى البداية فى التخلى عن المناطق المحتلة . إلا أنه وجب عليهم هم أيضا اتخاذ قرار بالانسحاب . وأعربت جولدا مايير فيما بعد عن أسفها لعدم قيام كل من فرنسا وبريطانيا العظمى بالتصرف السريع والحازم عسكريا بصورة كافية ، وبسبب ذلك ظهرت بوادر احتجاج فى الرأى العام فى الدولتين . « فلو كان هذا الهجوم الانجليزى ـ الفرنسى على السويس أكثر مفاجأة وفعالا لكان من المحتمل أن يهدأ تيار الاحتجاج فى البلدين أمام الأمر الواقع . وكانت هذه الفكرة تشغلنى مرارا منذ ذلك الحين » .

تعود الأحداث التى دارت حول قناة السويس عام ١٩٥٦ فى هذه الأثناء إلى ثلاثين عاما مضت ، غير أن لها علاقة مع الوقت الحاضر من جوانب متعددة ، ولهذا السبب التقينا نحن هنا اليوم أيضا .

أولا : كان على الشعب المصرى فى عام ١٩٥٦ أن يجتاز مرحلة اختبار قاسية . فقد أطلت الثورة المضادة برأسها ، كما أكد ذلك عبد الناصر فى وقت لاحق . وأردف قائلا : « وكان هناك خونة فى ذلك الوقت ... لكن أمانة الشعب تغلبت عليهم ... لقد دافع هذا الشعب عن الثورة » . وقد نالت مصر الآن بالفعل استقلالها حسب تقييم السياسى والناشر البريطانى فينير بروكوى . وانهارت الهيمنة البريطانية نهائيا .

وانبثق عن الصراعات التى دارت حول قناة السويس واقع جديد تماما ، أثبت على أنه واقع دائم .

وأثبت عبد الناصر جدارته كمناضل وطنى صلب على رأس شعبه وعلى رأس الثورة التى بدأت فى عام ١٩٥٢ . وازدادت هيبته فى مصر وفى كافة أنحاء العالم العربى بصورة سريعة. ولم يتجرأ أى رئيس دولة عربى آخر تقريبا على مهاجمته

بصورة علنية . وعندما تشكلت عام ١٩٦١ فى بلغراد حركة دول عدم الانحياز ، كان هو إلى جانب نهرو وجوزيب بروز تيتو من رموزها القيادية . إن القرن العشرين ما زال يدخر حوالى عقد ونصف من الزمن . إلا أنه يمكن القول منذ الآن : بأن عبد الناصر هو من بين أولئك الأشخاص الذين ساهموا مساهمة حاسمة فى صياغته .

ثانيا : ظهر فى عصرنا بأن هناك ارتباطا متزايدا ما بين الأحداث الوطنية والعالمية . فمقاومة مصر لقوتين إمبرياليتين ، كانتا سابقا رائدتين فى التقسيم الاستعمارى للعالم لم تكن ممكنة إلا لأن ميزان القوى العالمى قد تغير لصالح القوى الثورية والمعادية للإمبريالية ولأن المصريين حظوا بمساندة على النطاق العالمى من قبل قوى متباينة إلى أقصى حد فى طابعها الاجتماعى أوالسياسى- الايديولوجى ، غير أنها كانت موحدة فى تصميمها على حماية السلام والسيادة الوطنية لشعب من الشعوب . وساهمت الصلابة المصرية بدورها فى مواصلة تغير العالم ، بعيدا عن هياكل الاستغلال والاضطهاد ، وصولا إلى المساواة السياسية والاقتصادية فى تعايش الشعوب والدول . وتحسنت المواقع بالنسبة للوطنيين الذين كانوا مازالوا يناضلون من أجل الحصول على دولة خاصة بهم ـ كما هو الحال فى الجزائر وفى شبه الصحراء الأفريقية ـ وحصلوا على تشجيع فى نضالهم .

وهذا ما ظهر أيضا فى الحركة الوطنية الفلسطينية التى كانت فى طور التكوين من جديد . وكان الوطنيون الفلسطينيون كجميع العرب متأثرين أشد التأثر بالجرأة التى تحدى فيها عبد الناصر كلا من بريطانيا العظمى وفرنسا ، كما أعلن ذلك أبو إياد (صلاح خلف) وهو من بين مؤسسى حركة فتح . فقد أعاد الرئيس المصرى لشعبه ملكية مشروعة ـ إلا أنه أعاد فى نفس الوقت أيضا لجميع العرب لابل لكافة شعوب « العالم الثالث » كرامتها وثقتها بالنفس .

ثالثا : فى نوفمبر/ تشرين الثانى عام ١٩٤٧ صوتت الجمعية العامة للأمم المتحدة بغالبية الثلثين المطلوبة على تقسيم فلسطين وإقامة دولتين على أرضها هما

دولة عربية فلسطينية ودولة يهودية وكذلك تدويل منطقة القدس . وكان ذلك بمثابة حل وسط كان من المقرر أن يتم بواسطته إتاحة الامكانية للشعب العربى كما للشعب اليهودى فى فلسطين ، لتحقيق حقها فى تقرير المصير الوطنى ، إلا أن هذا الحل الوسط لم يتحقق فى ذلك الوقت . وتأسست فى الحقيقة إسرائيل فى مايو/ أيار عام ١٩٤٨ ، بيد أن الفلسطينيين ظلوا بدون دولة . وبذلك فشلت حينذاك مهمة منظمة الأمم المتحدة فى إيجاد حل متكامل لأزمة فلسطين . وتولدت أزمة الشرق الأوسط كأزمة إقليمية .

وقامت إسرائيل بخطوة ذات عواقب وخيمة، عندما وقفت فى عام ١٩٥٦ إلى جانب كل من فرنسا وبريطانيا العظمى فى الحرب فى خضم الوضع المحتدم . وتظاهرت علانية على أنها بمثابة « قوة لحفظ النظام » موالية للإمبريالية فى الشرق الأوسط . وأشار ناحوم جولدمان قائلا : « إن تلك العملية ثبتت لدى العالم العربى إلى الأبد صورة إسرائيل كحليف ـ للقوى الإمبريالية ـ » . واتسع الشرخ القائم سلفا بين إسرائيل والدول العربية .

الجلسة الرابعة :

القسم السادس :

العلاقة بين معركة الجزائر ومعركة السويس

كلمة : الجنيدى خليفة

فى ذلك الصيف الحار من سنة ٥٦ ، وبينما كانت القيادة المصرية تعد لتأميم شركة قناة السويس ، انعقد فى إحدى المناطق المحررة بالجزائر مؤتمر الصمام الشهير الذى كان أول لقاء شامل بين قادة الثورة لتنظيم الكفاح وتصعيده . وعندما كانت الثورة المصرية قيادة وشعبا تتصدى للعدوان الثلاثى بعد إعلان التأمين كانت شقيقتها فى الجزائر على أبواب دخول عامها الثالث من كفاحها المظفر وهى أشد كرامة وأقوى عزيمة من ذى قبل .

ـ نص المقال الذى نشرته مجلة المجاهد الجزائرية السرية بعد إعلان تأميم قناة السويس .

ـ مسئول بجبهة التحرير الجزائرية وشاهد عيان يكتب فى مجلة المقاومة « مارآه فى القاهرة يوم ٢ نوفمبر ١٩٥٦ » .

الأستاذ أحمد حمروش : شكرا للبروفيسور مارتن روبا على كلمته القيمة وأعتقد أننا فى حاجة لسماع كلمة شعب الجزائر الذى نحتفل معه اليوم بعيد انطلاق ثورته فى الفاتح من نوفمبر ١٩٥٤ ..

يحدثنا الأستاذ الدكتور الجنيدى خليفة الأستاذ بجامعة الجزائر وأحد المناضلين القدامى للثورة الجزائرية .. وصاحب مؤلفات عدة فى قضايا الجزائر والعالم العربى .. فليتفضل الأستاذ الدكتور الجنيدى خليفة ..

الدكتور الجنيدى خليفة : السيد الرئيس .. سيداتى وسادتى ..

اسمحوا لى أن أبدأ كلمتى بأن أوجه الشكر الجزيل الصادق للأخوة الأفاضل مسئولى اللجنة المصرية للتضامن على كرم الضيافة وحسن الاستقبال ونبل العواطف التى ماتزال إلى اليوم يحظى بها الجزائر فى أرض الكنانة كما حظى بها من قبل وأثناء ثورة التحرير وخلال مراحل الدراسة وفى غيرهما من المناسبات ..

وإنه إذا كان الشىء من معدنه لايستغرب كما يقول بحق مثلنا العربى القديم فلابد من أن أنوه بهذه الفرصة التى أتاحت لنا حضور مناسبة عظيمة كهذه .. عظيمة من حيث موضوعها ومن حيث عناصرها الدوليين وشخصياتها الوطنية الجليلة التى أسهمت فى مجريات الأحداث وتسييرها فتشبعت الندوة بثراء الفكر وزخم الخبرة والمعاناة ..

وهل أنا فى حاجة أيها السادة إلى القول بأن كل هذا يأتى ونحن فى إحدى الذكريات السنوية لثورة نوفمبر العظيمة .. وإذا كانت براعة تنظيم الندوة قد جعلتها تختار هذا اليوم بالذات غرة نوفمبر.. موعدا لإلقاء كلمة الجزائر حتى

نشترك جميعا فى إحياء المناسبة .. فإن الأحداث الفعلية هى التى اختارت ومنذ ثلاثين سنة أن تتزامن عبر الأسابيع والأيام والساعات موجات المد الثورى فى كل من الجزائر ومصر..

فنى ذلك الصيف الحار من سنة ٥٦ وبينما كانت القيادة المصرية تعد لتأميم شركة قناة السويس انعقد فى إحدى المناطق المحررة بالجزائر مؤتمر الصمام الشهير الذى كان أول لقاء شامل بين قادة الثورة لتنظيم الكفاح وتصعيده .. وعندما كانت الثورة المصرية قيادة وشعبا تتصدى للعدوان الثلاثى بعد إعلان التأميم كانت شقيقتها فى الجزائر على أبواب دخول عامها الثالث من كفاحها المظفر وهى أشد مراسة وأقوى عزيمة من ذى قبل ..

وفى كلتا المناسبتين .. وأيضا فى غيرهما كانت الجزائر وهى تصارع ببطولة قدرها تعيش من على البعد المكانى ما يعيشه أى وطنى فى أرض الشقيقة الكبرى .. الشقيقة الكبرى من الأسماء التى كان يستعملها الثوار فى نعت الشقيقة الكبرى كما لقبت بحق ولاتزال .. مايعيشه من غضبة الأبى والاستعداد للتضحية وفرحة الانتصار ..

ولولا هذا البعد المكانى أو بالأحرى العمق الجغرافى والتهاب المشاعر لما ميز الجزائرى فى الجبال أو الفدائى فى المدن بين مايقوم به هو وما يقوم به إخوانه فى بورسعيد والإسماعيلية وغيرهما أثناء العدوان .

ومعركة الجزائر أيضا

وكل من يعرف تعطش الشعب الجزائرى للحرب ويعرف كذلك عواطفه تجاه ثورة ٢٣ يوليو وشدة تقديره للرئيس الراحل جمال عبد الناصر كرمز واعتزازه به وبمبادئه ومواقفه كبطل نادر للعروبة يعرف أو يستنتج متأكدا أن معركة تأميم القنال ومعركة العدوان الثلاثى كانت وبدون مجاز معركة للشعب الجزائرى .. وأن الانتصار الذى توجت به المعركتان هو انتصار له أيضا .

أكيد أن هذه المشاركة كانت تشمل الوطنيين فى أنحاء العالم العربى بل وفى أنحاء كثيرة أخرى من مواطن الشعوب المكافحة أو على المستوى الفردى والحزبى لشخصيات ومؤسسات جعلت من حياتها ومبادئها مناصرة الشعوب المكافحة من أجل السيادة والحياة الأفضل .

نعم .. هذا صحيح والندوة الموقرة تدل عليه بمواضيعها وإسهام بعض الشخصيات الدولية والعربية فيها .. ولكن اسمحوا لى أن أضيف أن المشاركة من أرض المعركة هى إلى جانب التجاوب أو بالإضافة إلى التجاوب هى حضور حى للحدث معاناة وتقمصا وتحويلا إلى فعل يحمل مده الأول وتفاعلاته الجديدة معه ..

ولست أقول هذا من باب منافسة إخواننا العرب بالآخرين ولكن لكى أشير إلى أن العنوان الذى أعطى لكلمتى أى « موقف الجزائر مفهومه من تأميم قناة السويس والاعتداء الثلاثى » .. تكتنف معالجته صعوبات منهجية وعملية إذ أن العنوان يشير إلى إمكانية اختلاف أو تعدد فى وجهات النظر كما حدث مثلا فى موقف كل من أمريكا والاتحاد السوفيتى أو على الأقل كما يمكن أن يحدث بين الأصدقاء العرب والعرب أنفسهم من الوطنيين الثوريين .

وهذا بداهة ليس واردا .. وقد سبقنى إلى التنبيه إلى ذلك أمس مساء الأخ ممثل منظمة التحرير الفلسطينية . ومن هنا فلم يكن للجزائر الثائرة من موقف آخر تجاه تأميم القناة وما تلاه من أحداث سوى موقف الشعب المصرى نفسه وقيادته الثورية ..

وحتى بالنسبة للذى يجهل العلاقة الروحية بين الثورتين يمكنه أن يستدل عليها من واقع العدوان نفسه .. فسواء .. فسواء أكان ثالوث الطرف الفرنسى جى موليه ولاكوست .. وبورجيس مونوريه يؤمنون فعلا .. أولا يؤمنون بأن إعانة حاسمة كانت تتلقاها ثورة الجزائر من مصر بحيث يؤدى ضرب مصدرها إلى القضاء على الفلاجه بين قوسين .. أقول بصرف النظر عن ذلك فإنهم يعلمون ـ

ولعل هذا هو مطلبهم الأساسي ـ أنه لو تم انتصار للعدوان لأصاب ذلك ثوار الجزائر بجرح عميق وربما يخفض معنوياتهم ..

كما أن أى أنتصار فى أى قطر عربى وخاصة فى موقع الأحداث الساخنة بمركز الثقل : مصر.. سيرفع من هذه المعنويات ويمدهم بطاقة روحية جديدة ..

فليس من الوارد إذن أيها السادة أن أستعرض موقف الجزائر على النحو المشار ليه .. وإذا كان ولابد من الاحتفاظ بجذر العنوان احتراما للندوة وبرامجها .. فليكن بدلا من موقف الجزائر .. وقفة الجزائر .. وقفة الجزائر مع معركة القتال .. لا أن هذا بدوره لايخلو من صعوبة عملية ..

فالناس ـ لكى تتبع افتراضيا تلك الوقفة ـ فالناس فى ذلك الوقت فى الجزائر ـ حيث كانوا يصنعون التاريخ ـ لم يتسع وقتهم ولا اهتمامهم لكتابة مذكرات عنها أو البحث عما إذا كان من الممكن تسجيل الأحداث بالصوت الصورة .. على كل حال لم تتقدم هذه الوسائل إذ ذاك بعد .. وأغلب ما حصل ن ذلك على قلته كان يتم بواسطة الأصدقاء من صحفيى الخارج أو بواسطة لأجهزة الاستعمارية نفسها التى تختار بطبيعة الحال ما تسجله أو تنشره .

ثم إن ردود الفعل لاتتمثل فقط فى الظواهر المشاهدة .. فقد تكون المعاناة الداخلية أورم وأشد .. وعلى أية حال .. وبصرف النظر عن كل هذه الاعتبارات عملية فإن النتيجة الوحيدة لهذه الوثائق الافتراضية ـ أقصد لو أنها كانت موجودة ـ لن تؤدى إلى أكثر من البرهنة على بديهية .. أوكما مثل القدماء للجملة غير المفيدة : بالسماء فوقنا .. والأرض تحتنا .. أو تعريف الماء بالماء بعد الكد لعناء .. واستسمحكم فى ذلك .

بلى .. قد يكون من المقبول منهجيا أن يحدد جانب من الموضوع ويدرس من وية معينة بالطريقة التى تناسبه .. لو كنا محتاجين إلى ذلك ..

مثلا : ماهو الطابع الأبرز الذى اتخذه العمل العسكرى والسياسى فى هذه الفترة ؟ أقصد فى الجزائر ..

هل تناقص أم ازداد مثلا معدل هذا النشاط ؟ وما هو نوع الارتباط مع معركة القنال ؟.. وماهى الدلالة الاجتماعية لانخفاض هنا أو ارتفاع هناك ؟.. وقد يكون الانخفاض عائدا مثلا إلى صرف مزيد من الوقت فى الاستماع إلى الإذاعات لالتقاط أخبار معركة القنال ..

إلا أن مثل هذه البحوث فضلا عن احتياجها إلى وقت طويل للانجاز ــ وأنا حضرت كلمتى هذا الصباح ــ هى إلى الطرافة أقرب منها إلى ندوتكم الموقرة التى فهمنا من كلماتها ومناقشاتها وروحها السائدة أنها دعوة إلى النضال انطلاقا من نماذج رائعة فى النضال .. وأبعد ماتكون عن التمارين العلمية والاحصائية ..

سيداتى سادتى ..

إنكم تعرفون عن جزائر الثورة وخاصة فى علاقتها الحميمة مع شقيقتها الكبرى .. ما أعرفه أنا على الأقل .. أى ما يعرفه جيلى من المنتمين إلى الثقافة الوطنية .. وإذا كان البعض هناك فى الجزائر أو من الجزائريين قد يعرف أشياء إضافية بحكم الاحتكاك .. فلا شك أن الشخصيات الموقرة التى كان لها ارتباط بالثورة وبالقيادة الثورية فى مصر .. لتعرف ــ لام توكيد ــ المزيد وبالجملة فإنى أعتقد أن الهدف الأساسى من برمجة عنوان الكلمة على النحو المذكور هو إلى الدلالة الرمزية أقرب .. ولا سيما وقد أشرت إلى ذلك بداية أنه يصادف الاحتفال بالذكرى السنوية لثورة غرة نوفمبر والذكرى السنوية لمعركة القنال .

وليس أبلغ رمزية .. وأوضح دلالة من أن تتعانق المناسبتان وبهذا الجمع الموقر فى قاعة واحدة .. كما تعانقت من قبل احتفالات الانتصار على العدوان فى الاسماعيلية وبورسعيد .. والاحتفال بالانتصار على الاستعمار فى الجزائر .. طيلة سنتين .. والاستعداد بعزم لاستقبال باقى سنوات الكفاح ..

وخلافا لما يوحى به الاعتذار أو الفقرة الآنفة .. فإنى إذا سمحتم سأواصل مع

ذلك كلمتى .. ليس فقط لأنه من غير المستساغ التكلم عدة دقائق للاعتذار عن الكلام .. وإن كان المنهج فى أساسه عزيزا بحكم المهنة .. ولكن أيضا لأن هناك مستوى آخر غير الشهادة الحية مقبول عالميا فى الاعتماد عليه كمرجع فى قراءة الأحداث واستدلال المواقف والاتجاهات التى تتخذ بصددها ..

هذا إضافة إلى أننا لانعرف سلفا نوع القارئ الذى قد تقع بين يديه هذه الكلمة إن هى أتيح لها الحفظ .. وقد يكون أجنبيا بعيدا أو شابا لم يعايش تلك الأحداث وبالتالى لايعرف تلك العلاقات الحميمة بين الجزائر الثائرة والقيادة المصرية الثائرة والشعب المصرى الثائر..

بل لماذا لانقول إن كثيرا من الأحداث الوطنية إن لم تظل تتلقى التغذية والتعهد المستمر بطريقة أو بأخرى قد يعتريها الانكار أو حتى النسيان ..

من مجلة المقاومة الجزائرية

والمرجع الذى سأعتمد فى بيان موقف الجزائر مع كل التوضيحات السابقة هو مجلة المجاهد وهى اللسان المركزى لجبهة التحرير الوطنى.. ومجلة المقاومة الجزائرية .. وهى لسان حال جبهة وجيش التحرير الوطنى ..

ويمكن إذا سمحتم أن أقسم المقتطفات التى سأقدمها بحسب نوعها إلى نماذج أربع ..

نموذج من التحليلات للموقف .. وثانى من المواقف المعلن عنها فى صيغ رسمية .. وثالث تعليقات ورابع شهادات حية ..

أما من حيث الموضوع .. فباستثناء تأميم القناة .. فإنه من الطبيعى أن يتداخل هذا مع موضوع العدوان الثلاثى والتصدى له والانتصار عليه ..

أولا : نموذج من التحليلات للموقف وأرجوكم المعذرة ..

إذن أولا التأميم .. وقبل حصول العدوان .. وإنما بعد الإعلان عن

التأميم .. تحت العنوان : بين قناة السويس والجزائر .. كتبت مجلة المجاهد فى عدد رقم ٢ الصادر فى يوليو ١٩٥٦ .. وعلى فكرة لايوجد تاريخ صدور العدد وإنما استنتج بالتقريب من واقع بقية الأحداث الواردة فيه ..

لم يتعد البكباشى عبد الناصر - كلمة قديمة كانت مستعملة حتى هنا فى مصر فيما أظن - لم يتعد البكباشى عبد الناصر بتأميمه قناة السويس أن استرجع لمصر ممتلكا كلفها تشييده مائة وعشرين ألف نسمة بشرية .. وكان استثماره وابلا من الذهب على الرأسماليين الغربيين بينما لاتتقاضى البلاد التى يخترقها شيئا من محصولاته أو تكاد ..

ومن ناحية أخرى فقد كانت القناه بموجب أهميتها الاستراتيجية والاقتصادية هى الداعى الأساسى لسيطرة الانجليز على مصر فقد كانت بريطانيا العظمى إلى هذه الأيام الأخيرة تفرض سلطانها على هذه البلاد ولم ينتـه هذا السلطان إلا بعد أن تخلص الشعب المصرى من حكم فاروق المزرى وأصبح شاعرا بإهانة الاحتلال الأجنبى وجوره ..

وتمضى الصحيفة قائلة : ثم استمر النفوذ الغربى لاسيما البريطانى معرقلا لكل نمو أو تقدم لمصر خصوصا فى الميدان الاقتصادى .. ومما زاد هذه العرقلة شدة موقف حكومة الرئيس عبد الناصر بعيدة عن كلتا الكتلتين المتنافستين - الملاحظ بين قوسين أن جريدة المجاهد فى طبعتها العربية والفرنسية يتناقلان فهناك مشكلة الترجمة وقد لاتبدو الترجمة دائما سليمة - .

وعندما تعين على مصر تنمية امكانياتها الاقتصادية لصيانة استقلالها السياسى .. امتنع الانجلو ساكسون من تمويل سد أسوان دون شروط سياسية .. مع أن ماكان لهذا البناء من مقصد ثانى لم يترك مجالا للشك ..

وبعد أن تقدم المجلة بعض الأرقام عن فوائد السد وعن الأرباح الطائلة التى يتقاضاها الرأسماليون الأجانب والقليل الذى يعود إلى مصر يلخص الشرعية فى التأميم كما يلى : (وكل الأقوال بالحرف الواحد) ..

فهل كان من الخارق للعادة أن يقع تأميم هذه الثورة لفائدة الشعب المصرى ولتمويل أسوان بوجه أدق .. إنها عملية مطابقة للقانون وهى ترجع للسيادة الداخلية دون استثناء ولايمكن إلا الترحيب بها حيث إنها لا ترمى إلى غير رفع مستوى المعيشة لسكانها وزيادة عن ذلك فإن المساهمين السابقين سوف تعوض لهم حصصهم كما يضمن لهم حق المرور .. أو كما يضمن عموما حق المرور على القناة طبقا للاتفاقيات الدولية والمصالح المصرية ..

وتنتقل الصحيفة إلى الموقف الاستعمارى من التأميم فتقول :

ويتضح لنا أن هذه الحقيقة الجلية لايمكن بحال أن تبرر حملة المقت الاستعمارى والهستيريا الرأسمالية التى تشنها باريس ولندرة فإن هذين البلدين بما قاما به من السعى الجنائى البغيض ضد حق الشعب فى التصرف بتراثه الطبيعى قد بين لنا أوضح صورة لاستعمارهما التقهقرى ..

ويركز المقال بعد ذلك على تعلات فرنسا التى حاولت من خلالها تبرير حملتها الإعلامية والتحريض على مصر ونفتح القوس للتذكير بأن المقال كتب بعد الإعلان عن التأميم ولكن قبل العدوان الثلاثى ..

تقول المجلة فى هذا المهرجان مهرجان الصخب والتأليب والحملات الهستيرية فى هذا المهرجان تبدى فرنسا نشاطا فائقا فقد ـ نسبت خطأ ـ فيه إشارة إلى أنه يجب مراعاة الوقت ولكن لا أدرى ماهو هذا الوقت .. لم يحدد لى سلفا هذا الوقت .. فهل الوقت وكأنه جزء من الأبدية .. إذن لسه أمامنا وقت .. أنا لن أكون أبديا .. يعنى إذا سمحت سأستعرض .. طيب ياسيدى شكرا .. أقول ويتضح لنا أقول فى هذا المهرجان كما تقول الصحيفة فقد نسبت خطأ أو كيدا لمصر نوعا من الاشراف ـ وهذه نقطة قد تكون هامة فى المناقشة ـ فظنت أنها بمهاجمة القاهرة ستضع حدا لزحفنا التاريخى المظفر الذى لايد فيه إلا يدنا .. ولا محرك له إلا من صميم بلادنا .. والحكومة الفرنسية إذ تقوم بهذه العملية التضليلية إنما تظهر إصرارها على خداع الرأى العام واخفاء هزائمها المريرة

بالجزائر .. والتصريحات التى توازدها موليه ولاكوست ليست فى الحقيقة إلا انتهاز فرصة التأميم لإخفاء جرائمهم وتعليل عمليات حساباتهم الفاسدة ثم حقدهم وحماقتهم لسيادة البلاد يدفعهم إلى اتخاذ كل هذا .. يعنى يدفعهم إلى اتخاذ تدابير صارمة فى رأيهم ضد مصر .. ولو أدى إلى ذلك اشتعال حرب عالمية تغرق فيها حرب الجزائر ..

وتختم الصحيفة هذا المقال بالإشارة إلى أن القضية حتى كتابته ـ أى المقال ـ مازالت فى بدايتها مع التعبير عن الأمل فى ألا يجرى الانجلوساكسون على مجارات الفرنسيين فى موقفهم ..

سميت هذا موقفا تحليليا لأنه يعتمد على معطيات خارجية أكثر من اعتماده على انطباعات الكاتب مثلا .

برقية لعبد الناصر

ثانيا : الموقف الرسمى وقد عثرنا على نموذج منه فى مجلة المقاومة الجزائرية العدد اثنين كذا مرجع مكتوب ويتمثل فى برقية من المسئولين إلى الرئيس عبد الناصر مع مقدمة من الجريدة تحت العنوان التالى :

« الجزائر الثائرة ومصر المحاربة » ولما للتقديم نفسه من صفة تعبيرية عن الموقف فإننا نثبته بنصه مع البرقية .. النص : نص التقديم للبرقية :

أثار العدوان الانجليزى الفرنسى الصهيونى على مصر موجة سخط عارمة فى جميع الشعوب المؤمنة بالحرية والمحبة للسلام مما أجبر المعتدين الآثمين على أن يتراجعوا مدحورين مذمومين أمام المقاومة البطولية التى أبداها شعب مصر وجيش مصر بقيادة بطل العرب ومنقذ الكنانة الرئيس جمال عبد الناصر الذى حظيت سياسته الرشيدة بتأييد جميع الأحرار فى العالم وأحرار الجزائر أعرف مايكونوا بقيمة الحرية وتمدد الاستعمار .. ولقد أرسلت إدارة جبهة التحرير وجيش التحرير الوطنى نيابة عن الشعب الجزائرى المناضل برقية إلى الأخ الأكبر ـ وهذا لقب

الرئيس الراحل المرحوم جمال عبد الناصر عند الثوار الجزائريين ـ إلى الأخ الأكبر رئيس جمهورية مصر المكافحة تعرب له فيها عن تضامن أحرار الجزائر مع أبطال وادى النيل وهذا نص البرقية :

المرسل جبهة وجيش التحرير الوطنى الجزائرى ..

المرسل إليه : السيد جمال عبد الناصر رئيس الجمهورية المصرية ..

النص : إن الاستعمار العدو الألد للشعوب الطامحة نحو الحرية قد شن هجوما شنيعا جديدا ضد الأمة العربية محتقرا فى ذلك جميع القوانين العالمية فباسم جبهة وجيش التحرير الوطنى الجزائرى نعلن لكم عن غضبنا الصارخ ونرفع احتجاجنا مع سائر شعوب العالم مجرمين هذا العدوان الغادر ونؤكد لكم تضامننا الايجابى الكامل فى هذه المحنة القاسية الرهيبة التى تجتازها مصر فى بطولة ونعرب لكم عن ثقتنا فى انتصاركم السريع التام على المعتدين الآثمين » انتهى النص ..

ثالثا : تعليقات وأقصد بها الانطباعات الاجمالية التى تدور حول حدث بارز مازالت حرارته تتأجج أو هو فى أوج الغليان مع إمكانية الاستعانة بما يناسب الموقف من أقوال الآخرين صحف أو شخصيات بارزة ..

وطبعا الحدث البارز الذى يدور عليه التعليق ـ سأسرع يا أستاذ حمروش ـ هو معركة القنال وتفاعلها وقد أخذت صدفة تقريبا مثلا بعنوان « هزيمة فرنسية أخرى » وتحت عنوان بخط أصغر : « معركة السويس هى ديان بيان فو شمال أفريقيا » وطبعا مصر من شمال أفريقيا .. أو يجوز أن تعتبر كذلك جغرافيا وإن لم تشتهر بهذا الوصف ..

والصدفة والاختيار فى هذا المقال هو أنه قد نشر فى الصفحة الأولى من مجلة المقاومة الجزائرية العدد ٣ أول ما فتحت وجدت الواحد فكان هذا صدفة وكان اختيارا .. وفيما يلى مقتطفات منه :

نص : عندما كانت الحكومة الفرنسية تعانى سكرات الاخفاق الهائل فى

حملتها العسكرية على مصر لم تجد أمامها من وسيلة سهلة تصرف بها الأنظار عن هذا الإخفاق إلا إثارة الضجيج المصطنع حول مسألة المجر ـ معروفة فى ذلك الوقت ـ ولما كان حبل الكذب قصيرا فإن الساسة الفرنسيين لم يستطيعوا أن يمددوا كثيرا فى نفس الصخب المجرى واضطروا إلى السكوت عنه فى النهاية والاهتمام بالحقائق التى أخذ شعبهم يعيشها فى مرارة فى حياته البيتية وفى متجره المتواضع ـ واحد من الشعب يعنى ـ وفى مصنعه الضخم وفى وسائل تنقله وأسفاره الجوية نتيجة للحروب والمعاناة التى أدت بفرنسا إلى الانهيار الاقتصادى على الأقل ..

والهزيمة العسكرية والسياسية التى منيت بها فى مصر والتى سماها أحد ساستهم « نصف هزيمة ونصف نجاح » ـ تابع الكلام للنص ـ هى فى الواقع ثالث هزيمة تاريخية تصاب بها فرنسا فى مدة لاتزيد عن خمسة عشر عاما وهى هزيمتها فى السويس هزيمتها أخيرا فى السويس أمام مقاومة الشعب المصرى .. وهزائمها الأخرى أمام الشعوب المختلفة .

بل يذهب المقال إلى أن هزيمتها ـ هزيمة فرنسا فى قناة السويس قد تفوق كل هزائمها الأخرى ويورد فى ذلك ما قالته جريد لاموند الفرنسية : إنه من النادر جدا أن نجد فى التاريخ سياسة أفلست بمثل هذه السرعة وبمثل هذا الكمال وبمثل هذا الثبوت (المقصود اليقينية) وبمثل هذا الثبوت الذى لاشك فيه فهى إذن فى رأى هذا التعليق أكبر هزيمة حتى ذلك الوقت ـ أى قبل انتهاء ثورة التحرير الجزائرية ـ قد أصيبت بها فرنسا ..

وبعد أن يتطرق المقال إلى الموقف التحريضى على الاعتداء الذى وقفه سياسيون بين قوسين مزيفون وعلى رأسهم بطل المدلس يقصد لاكوست ـ وينتهى المقال بالعبارة التالية : أما الجزائر التى كانت محور المؤامرة كلها فستظل واقفة فى حلق لاكوست وأذنابه إلى أن يهوى على ركبتيه أمامها كما هوى من قبل الجبابرة المدلسين فى التاريخ .

وهذا اليوم يشهد على صدق النبوءة .

رابعا وأخيرا : من الشهادات الحية .. سأقتصر هنا على فقرة واحدة تمشيا على مبدأ المنهجية الذى حاولت أن ألتزم بصرامته ..

شاهد عيان

فالشهادة إذا كانت موضوعية فهى لاتعبر عن موقف وإن كانت مزورة فهى ليست بشهادة .. ولكننى مع ذلك أثبت نموذجا منها بسبب نشرها فى المجلة الرسمية للجيش والجبهة معا أى « المقاومة الجزائرية » العدد ثلاثة فى ٣ ديسمبر ٥٦ .. وبسبب أن الذى قدم الرواية عما شاهده بالقاهرة كان أحد مسئولى جبهة التحرير الوطنى كما جاء فى المانشيت بتاع المقال ..

يقول المسئول نقلا عن المقال المثبت فى المرجع ..

كنت بالقاهرة حينما كانت أسراب الطائرات البريطانية الفرنسية تشن غاراتها الواحدة تلو الأخرى فى الأربع والعشرين ساعة حتى أصبحنا لكثرة الغارات لانفرق بين صفارة الإنذار وصفارة الأمان ولكن فماذا كانت حالة الشعب المصرى أمام هذه الغارات هل ارتبك وخارت قواه ؟!.. هل خاف وتملكه الذعر وهل نقم على جمال عبد الناصر كما كان يرجو المغيرون واغتنم هذه الفرصة للتخلص منه .. كلا .. فالروح المعنوية للشعب المصرى كانت عالية جدا ومازادتها هذه الغارات الوحشية إلا حماسا واندفاعا نحو معسكرات جيش التحرير لحمل السلاح والوقوف صفا واحدا فى وجه الطغاة المغيرين وما زادتهم أبواق الدعاية التى كانت تنبعث من لندن وباريس ومن صوت بريطانيا بقبرص .. غير زيادة التعلق بشخص عبد الناصر والاستماتة فى الدفاع والمقاومة وليس أدل على ذلك من الهتافات التى كانت تتصاعد من حناجر الجماهير الشعبية المنادية بحياة جمال عبد الناصر وهو يشق طريقه بينهم فى سيارة عارية من غير حارس .. كان هذا فى أخطر أيام مصر وفى الوقت الذى كانت فيه الغارات الجوية على أشدها ..

كان هذا يوم الجمعة ٢ نوفمبر ١٩٥٦ أى فى اليوم الخامس من بدء العدوان الغادر على مصر.» انتهى النص.

سيداتى سادتى

لقد قلت فى تقديم النص أنه رغم الاحترازات المنهجية لايخلو من تمثيل للموقف الجزائرى وقد يضاف إلى هذا الآن.. وقد يضاف الآن إلى هذه الاحترازات أنه فى فحواه تعبير عن الموقف المصرى وهذا أيضا صحيح ولكن ألم أقل من قبل إن موقف ثوار الجزائر وثوار مصر فى معركة القنال وفى غيرها من معارك العروبة هو موقف واحد فلعلى إذن أن أكون قد حاولت فى عجالة من الوقت أن أبرز نماذج من ذلك ومابقى كما يقول أندريه جيد فهو عندك..

شكرا على حسن الاستماع..

الأستاذ أحمد حمروش: أشكر الأستاذ الدكتور الجنيدى خليفة على كلمته القيمة التاريخية التى أوضحت لنا موقف شعب الجزائر خلال فترة تأميم وأزمة السويس وأمامى بعض طلبات للأسئلة والتعقيبات اسمحوا لى أن أطلب وأرجو من الأخوة المصريين أن يتساهلوا قليلا فى طلباتهم حيث إن ضيق الوقت يحول دون مزيد من الحديث.. ولو أنى سأشير إلى ماقدم من طلبات.. السفير عبد المنعم النجار الملحق العسكرى السابق بباريس اشترك فى مساعدة الثورة الجزائرية عندما كان فى مدريد من ٥٤ إلى ٥٨.. وكان سفيرا لمصر خلال عهد ديجول وكان له علاقة وطيدة بالجزائر وأظن.. هذا يعطينا لمحة لما كان سيتحدث عنه فمعذرة للسفير عبد المنعم النجار..

الأخ عصام الجمل عضو نقابة الصحفيين ومدير مكتب صحيفة الوطن الكويتية فى القاهرة يرجو إعطاءه الكلمة للتعليق ـ حسب تعبيره ـ على هذا الجهد العظيم للندوة التى تحولت إلى برلمان عربى عالمى ونقدم له الشكر على هذه التحية وأعتقد أن فى هذا تعبير عن رغبته فشكرا للأخ عصام..

الأستاذ أحمد طه طلب بالأمس الكلمة من الأستاذ هيكل وأظن مرة أخرى من الأستاذ منصور حسن ويسمح لى الأستاذ أحمد نيابة عنه أن أؤجل كلمته أو أعطيها له إذا كان هناك مزيد من الوقت .

ألمانيا الشرقية وإسرائيل

سؤال من الأستاذ محمد سعد هجرس إلى البروفيسور روبا يقول : نعرف أن ألمانيا الديموقراطية من البلاد التى لم تقم علاقات دبلوماسية رسمية مع إسرائيل منذ إنشائها على عكس معظم البلدان الإشتراكية .. يسأل ما هى الأسباب لهذا الموقف المتميز ..

الإجابة للبروفيسور روبا ..

البروفيسور روبا : ألمانيا الديموقراطية لها علاقات دبلوماسية مع كل بلاد العالم ، أما بالنسبة لإسرائيل فهى تقوم بالعدوان على جيرانها الدول العربية ولهذا العلاقة بين ألمانيا الديموقراطية وبين إسرائيل لم تقم حتى الآن .. ومن المعروف أن ألمانيا الديموقراطية لها هدف سلمى فى الشرق الأوسط واعتقد أنهم فى انتظار أن تحسن إسرائيل علاقاتها مع جيرانها من الدول العربية وأن تسالمهم وأن الفلسطينيين يحصلوا على وطنهم الخاص بهم فى فلسطين واعتقد أنه إذا تم تحقيق المطالب .. أقصد تحسين العلاقات بين إسرائيل والدول العربية ففى هذه الحالة سيتم إقامة علاقات دبلوماسية بين ألمانيا الديموقراطية وإسرائيل .

ويذكر البروفيسور مارتن أن كلنا نعيش فى عالم واحد وكلنا نبغى السلام على أساس أن السلام يشمل كل العالم ولا أحد يعيش وحده فى العالم ولهذا ندعو أن تعيش كل الشعوب فى سلام مع بعض ..

الأستاذ أحمد حمروش : شكرا جزيلا للبروفيسور مارتن روبا ومرة أخرى أكرر الاعتذار للأخوة المصريين محمد شطا وحلمى شعراوى وأحمد طه وأمامى

رغبة من الأستاذ محمد لطفى الصباحى أمين عام مجلس القضاء الأعلى فى اليمن العربية عضو مجلس السلم والتضامن وعضو مجلس الشعب وعضو لجنة التقنين الشرعية وعد بأن يتحدث خمس دقائق فقط . فليتفضل ..

أول مظاهرات فى اليمن

الأستاذ الصباحى : بسم الله الرحمن الرحيم .. السلام عليكم والسلام على الأمان طبعا أولا وقبل كل شىء اللجنة لجنة التضامن الأسيوية الأفريقية وعلى رأسها الأخ الأستاذ أحمد حمروش لا على دعوتى أو دعوة اليمن للتمثيل ولكن أولا وقبل كل شىء وأرجو ألا يتشاغل بالكلام مع من بجانبه ليسمعنى على الأقل ليسمع شكرى .. أرجو ذلك شاكرا فأنا أقدم له أجزل الشكر لا على الدعوة ولكن على إقامة الندوة لأهميتها وجدواها العظيمة فى اقتناعى ..

أما موضوع الموعد الذى تكلم عنه فهو شرط له شرطه على قبل أن أتكلم فأنا كقاض والقضاء يعنى الوضوح دائما يعنى الدوغرى كما تقولون فى مصر وأنا قبلت بالشرط على أساس أنه التسامح والتجاوز بين الخمس والعشر دقائق ولذلك لا أطيل ..

لى تعليق عام أو تعقيب عام أولا قد يكون التعليق والتعقيب على شخصى فأولا أنا لست بروفيسورا ولا دكتورا ولا سياسيا ولا صحفيا ولا زعيما يعنى من زعماء الفكر أو زعماء هذه كلها الصحافة وغيرها بل أنا كما عرفنى الأستاذ مشكورا أحمد حمروش ..

أولا بعد الشكر .. الكلام عن موضوع الساعة أو موضوع الندوة وهو الكلام عن تأميم قناة السويس بما تحويه من كل الجوانب أنا أعتقد أن كل ما قد قيل وإن كان فى رأيى ليس كما يجب ليس كما ينبغى إن لم يكن كما يجب وأنه لم يوف التأميم حقه ..

أولا أتكلم عن موقف بلادى فقد لا تصدقونى إذا قلت لكم إن أول ما

عرف فى بلادى التظاهر أو الخروج بالمظاهرات كان من أجل قناة السويس وقد لاتصدقوا ما حصل ولأنه هذا لأول مرة وأيضا لاتصدقونى إذا قلت لكم إنه كان إلى ذلك التاريخ يعنى ماقبل قيام الثورة أنه لاتوجد أى مدرسة حديثة فى بلادى اليمن سوى ما كان من مدرسة واحدة ثانوية فى العاصمة فقط بل كان نظام التعليم هو نظام بدائى قديم يعنى لايزال نظام القرون الوسطى فهو يتمثل فى الكتاب وفيما نسميه بالمعالم ثم يعنى فى التدريس فى المساجد فى الجوامع الخ ...

لذلك كان من المستغرب جدا أن تزج هذه المظاهرات من دون مدارس من غير يعنى أشكالها كانت كلها تأييد وكانت النتيجة بعدها أن أخذ من مواطنى مدينة إب فى المنطقة الوسطى للجمهورية العربية اليمنية التى تمثل مابين شمال اليمن ومابين جنوبه أخذوا هؤلاء الأطفال إلى السجن وأين فى القلعة أو فى السجن الحربى العسكرى وهذه السجون تعرفون يعنى من طراز يعنى خاص .. أخذوا على السيارات وبوسائل لا أريد أن أصفها لكم لئلا أرعبكم .. فكانت وسائل يعنى قد أقول إنها جهنمية لأنها أغلال فى الأعناق وأغلال فى الأيدى وأغلال .. إلى آخره إلى آخره ..

هذه هى النقطة الأولى عن موقف بلادى ..

ثانيا أنى أريد أن ألمح لمحة عن انطباعى الشخصى واستفادتى .. فانطباعى الشخصى هو يتمثل فى شيئين الأول : الاعجاب .. والثانى : الاستفادة فأنا قد أعجبت جدا جدا من هذه الندوة ومن كل ماجرى فيها سواء ما اتفق معه أو ما لا اتفق معه والذى لا أتفق معه لأنى استفدت منه وأعترف بأنى استفدت لأنى كما قدمت عن نفسى خاوى الوفاض خالى الذهن من كل مايعنى ذكرته لكم ..

أما الإعجاب ويتركز إعجابى واسمحوا لى ولاتظنوا أنه إعجاب انتماء أو إعجاب ولاء . لأنه .. إنما هو إعجاب شخصى فكرى فقط .. هذا الإعجاب تركز أولا على شخصين هما مايكل فوت إن كنت قد استطعت أن انطق الاسم

والثانى انتونى ناتنج هكذا لا أدرى إذا كنت قد وفقت إلى نطق الاسم تماما فأنا أيضا خالى من اللغة اللاتينية ..

هذان الشخصان برغم مجيئهما من ـ أرجو أن يركبا سماعة على الأقل حتى أستريح يعنى يسمعا كلامى الاثنين .. أو يقول لهما واحد يركبوا سماعة ـ هذان الشخصان سجلا موقفين عظيمين تاريخيين مع الحق ومع العدل لا مع شخص أو أشخاص . مع حق الشعوب ومع الدول ووقفا أمام حكومتيهما ومع من ؟ مع من يعتبر حينئذ عدو على الجبهة وعلى خط النار ..

وهنا ألمح لمحة بسيطة .. أتساءل هل يوجد فى عالمنا ـ مش العربى بل العالم الثالث والشرق الأوسط كله من يستطيع أن يقول لى إن أحدا يستطيع موقفا من هذه المواقف ثم يعنى يظل بصراحة حيا يرزق حتى يأتيه الهرم زى هؤلاء الشيخين فنحن نعرف أوضاع يعنى عالمنا الثالث وأننا نتلاحق ونتتابع من بلد إلى بلد للتصفيات والـ .. الخ ..

قد لايعجب البعض كلامى ولكنه كما قلت لكم كلام قاض وكلام القاضى طبعا يجب أن يكون دوغرى ..

عبد الناصر ورفاقه

أنا لم أنظر إلى الساعة وأنا ما أدرى هل كلامى معجب وإلا انسحب ـ هل استمر أولا أستمر ..

الأستاذ أحمد حمروش : الكلام عظيم وبس ..

الأستاذ الصباحى : بس لو سمحتم عناوين ..

الأستاذ أحمد حمروش : طيب اتفضل ..

الأستاذ الصباحى : العنوان الأول زعامة عبد الناصر لا خلاف فيها لكن لامع التفريط ولا مع الافراط .. الزعامة هذه فذه فعلا .. وقد بدأ عبد الناصر فذا وانتهى فذا .. وكل إنسان لابد له أن يكون له جانب مشرق جانب مضىء

وجانب على العكس أو له سلبية وله إجابية وهذا يكفى ..

فلست مع من يقول بالكمال المطلق فالكمال المطلق لله وحده .. ليس لأحد من هؤلاء المخلوقين .. ولست مع من يشكك فى زعامة عبد الناصر أو يستنقصها أو يقلل منها .. لست معه أيضا ولكن مع الوسط انطلاقا من تعاليمنا الإسلامية «كنتم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ..» .

و ..

خير الأمور الوسط	حب التناهى غلط
ما طار طير وارتفع	إلا كما طار وقع

ثانيا : تأكيد الأحداث العظيمة .. الأحداث العظيمة هذه مثل قناة السويس وقرارات عبد الناصر معظمها أحداث عظيمة غيرت مجرى التاريخ .. هذه أيضا أنا لست مع من ينسبها ويسندها إلى شخص واحد .. أبدا .. لأنه تعرف الثورة قامت بحوالى ما أدرى ٢٨ أو ٣٠ عضوا كلهم كان له دور يعنى إيجابى بقدره طبعا أن الزعامة وشخصيتها الجذابة لابد أن يكون لها دور ..

لهذا أصحح وأؤكد أنه ليس لشخص واحد لماذا.. لأن رأيان أفضل من واحد ورأى الثلاثة لاينقبض .. وكما تقول العرب : المرء قليل بنفسه كثير بإخوانه .. والرئيس عبد الناصر هو وإن كان ربما الجزء الأول من الحكمة لاينطبق عليه قليل بنفسه لأنه كان شخصا عظيما وكان اسما ينطبق عليه والناس ألف منهم كواحد .. وواحد .. كالألف ..

إلا أنه لابد ولابد .. وعلى رأى المثل المصرى اليد الواحدة ما تصفقش ولابد أن نعتبر الجميع وأن يكون لكل دوره .. ولا نهضم أحدا سواء من رحمه الله فتوفاه أو من بقى وقدمه على جنب إلى آخره ..

فهو وراء تحرير الشعوب العربية .. اليمن يعنى قامت بثورات لم يتحقق لها النجاح إلا لما يعنى كان يعتبر عبد الناصر مبعوث العناية الإلٰهية الذى جاء إلى

اليمن وجيشه وشعبه وتضحياتهم ، ودماؤهم التى نسجل لها هنا كل الإكرام كل التقدير الإجلال ..

ولولا أن الله يعنى سبحانه هو الذى مَنَّ بها علينا لما نجحت الثورة ولكانت فى سائر الثورات التى ذهبت بالرءوس والعمائم والبيوت والأموال إلى آخره ..

ثالثا : أذكر على أن الاختلاف لا مفر منه وأن المطالبين الذين قاموا وطلبوا هذا اعتبروه تعقيب تعليق .. أنا قلت لكم أنا مش دارى هو كلام .. لكن أظن أنه كلام مفهوم ..

إن الاختلاف مطلقا أمر لا مفر منه .. فلا نستطيع أن نقول إن نتفق على سياسة استراتيجية واحدة موحدة لا سيما مع الديموقراطية التى لا أقول نتشدق بها ولكن أقول إننا نرفع شعاراتها .. يعنى فى العالم الثالث كله ..

أما ما يطالب بالعكس فهو كالمطالب بالجمع بين النقيضين طبعا مع الديموقراطية كمكلف الأشياء ضد طباعها وتمام البيت هذا وتطلب بالماء جذوة نار ..

كمكلف الأشياء ضد طباعها كمتطلب فى الماء جذوة نار .. هل يتصور أن يجد فى الماء جذوة نار ؟!.. لا أعتقد أن هذا يحصل ..

وكما أنه أيضا قد جاء فى الآية الكريمة « ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم » واختلفوا على خلقهم فيه أقوال فى اسم الإشارة هذا ذلك إلى ماذا يعود ؟ هل خلقهم للرحمة أم خلقهم للاختلاف أم لهما معا ؟!.. أعتقد أن الصحيح أنه لهما معا .. والمرحومين هم القلة .. والمختلفين هم الكثرة والأغلبية ..

ولا سيما قد جاء الاختلاف أولا من بين الأنبياء بين ولدى آدم كما تعرفون وبين أبناء يعقوب إلى آخره ..

لهذا يعنى اعتقد مع الديموقراطية لابد أن يكون أن يجمع أن يكون الحكم

شموليا والنظام شموليا وكله شموليا شموليا مافيش يعنى أنه بعد الواحد وحده لا ..

أختتم أيضا بتسجيل موقفى وإعجابى بهذين الشخصين وبتعليقى على من عقب عليهما بشىء من الحدة أو بشىء مما لا أدرى ماذا أسميه لأننا كعرب وتقاليدنا وعندنا مثل فى اليمن يقول « تحت الخشبة » .. إلا إذا كان الآن ما عادش فيه خشبة وكله مسلح .. واختلف الوضع ما أدرى ..

إنما الشخص إذا كان تحت الخشبة وكان ضيفا .. يعنى هنا له حقوق عربية على الأقل يكون الكلام من نوع كلامه .. فقد كان كلامهما الذى أعجبت به فى الطرح والأسلوب والأعصاب الإنجليزية التى نعرفها المثلجة الجيدة .. واحنا الأعصاب العربية اللى يعنى مستفزة ومنفعلة .. هذا فى رأيى إعجاب وأرجو ألا يظن أنى يمينى أو غربى .. أنا لا شرقى ولا غربى لا أنا يعنى ربما جنوبى ولا شمالى ولا واحد من دول كلهم على الاطلاق .. لذلك أرجو أن تتحملونى وأن يعذرنى الأستاذ حمروش إذا كان بيراقب الساعة أنا لم أراقبها لئلا أحرج وأحرجه ..

وشكرا لكم على استماعى وربما على ثرثرتى إن كانت يعنى ثرثرة وإن كنت قد بدأت بالسلام والسلام يعنى أمان من التعليقات والتعقيبات الحادة والتى انتقدتها لكيلا تصب على ولكن أنا آمن أن الوقت قد فات وكله فات .. ولا أدرى ان كان هذا من سوء حظى أو حسن حظى ليكون الكلام مختصرا والسلام عليكم أخيرا كالسلام عليكم أولا ..

الأستاذ أحمد حمروش : شكرا جزيلا للأستاذ محمد الصباحى على كلمته المعبرة ..

والآن نستريح عشر دقائق فقط لنبدأ الجلسة الختامية حيث أن السادة الضيوف مرتبطين بموعد محدد يجب أن يغادروا فيه هذه القاعة ..

عشر دقائق ونلتقى هنا مرة أخرى ..

الجلسة الرابعة
القسم السابع :

مستقبل قناة السويس

بحث : للمهندس محمد عزت عادل

رئيس هيئة قناة السويس

لدى قناة السويس حاليا مشروع تخطيطى كامل لازدواج المجرى الملاحى للقناة بكاملها ، وذلك بتوصيل الأجزاء المزدوجة فى القناة ببعضها لنخلق قناة مزدوجة بالكامل ولكن هذا لن يحدث على مرحلة واحدة ولأن المستقبل القريب ، وكذلك فإن الرؤية البعيدة لإدارة القناة الحالية أدت إلى التنسيق والربطة بين مشروعات القناة ومشروعات تطوير الموانى الرئيسية التى ترتبط بالقناة مثل موانى البحر الأحمر والبحر الأبيض والشرق الأقصى .

– هكذا كانت تخطط شركة القناة للضغط على الحكومة المصرية لمد الامتياز بعد عام ١٩٦٨ .

– ٢٣ مليون جنيه كل المبلغ الذى حصلت عليه مصر منذ افتتاح القناة وحتى التأميم سنة ١٩٥٦ .

سجل التاريخ أن الإنسان المصرى هو أول من شق قناة صناعية عبر أراضيه لتيسير تبادل التجارة بين الشعوب .. وكان ذلك فى عام ١٨٧٤ قبل الميلاد حينما قام سنوسرت الثالث أحد ملوك مصر فى عصر الرخاء لحفر قناة تربط بحر الشمال (البحر الأبيض المتوسط) وبحر أروترى (البحر الأحمر) مستخدما نهر النيل وفروعه ..

وعلى مر العصور تعرضت تلك القناة للإهمال أو الردم ثم إعادة الفتح عدة مرات ..

وفى بداية النصف الثانى من القرن التاسع عشر استطاع فرديناند دى لسبس إقناع والى مصر حينئذ محمد سعيد باشا بإنشاء قناة السويس واستصدر منه فرمان الامتياز الأول فى ٣٠ نوفمبر ١٨٥٤ بإنشاء القناة ...

واستطاع دى لسبس بشتى الأساليب المشروعة وغير المشروعة أن يجعل حكومة مصر تسوق أكثر من ٢٠ ألف عامل مصرى شهريا لحفر قناة السويس تحت نير السخرة وفى ظل أقسى الظروف الجوية والمعيشية .. واستمر الحفر أكثر من عشر سنوات أستشهد خلالها أكثر من ١٢٠ ألف مصرى بسبب القهر وتفشى الأوبئة خلال عمليات حفر القناة ..

وافتتحت القناة للملاحة الدولية فى ١٧ نوفمبر ١٨٦٩ فى احتفال لم يشهد له العالم مثيلا وسط مظاهر فى البذخ والإسراف أدت إلى تفاقم الديون على مصر لصالح انجلترا وفرنسا ونتج عن ذلك بيع أسهم مصر فى شركة القناة (٤٤٪ من الأسهم) لانجلترا وأطلق على تلك الصفقة صفقة القرن .. وفى عام ١٨٧٩

ميلادية تنازل الخديوى توفيق حاكم مصر عن حصة مصر فى الأرباح السنوية للشركة وكانت تساوى ١٥٪ من صافى الأرباح وفاء لبعض ديون مصر التى اتخذتها انجلترا إحدى ذرائعها لاحتلال مصر فى أغسطس ١٨٨٢ مستخدمة فى ذلك قناة السويس.

وبعد ٦٨ عاما .. وفى ١٩٣٧ قررت شركة قناة السويس منح مصر مليون ونصف مليون دولار سنويا من عائدات القناة استبدلت فى عام ١٩٤٩ بحصة قدرها ٧٪ من الربح السنوى للقناة ..

وخلال إدارة الشركة للقناة وعلى مدى ٨٧ عاما قامت الشركة بتنفيذ سبع مشروعات لتطوير وتحسين القناة وكان آخرها إنشاء تفريعة البلاح عام ١٩٥١ وامتنعت الشركة عن إجراء أى تطوير أو تحسين للقناة أو مرافقها بعد ذلك إلا إذا حصلت على موافقة على مد امتيازها الذى كان ينتهى عام ١٩٦٨ ..

كما تميز أسلوب إدارة الشركة للقناة بالتفرقة فى المعاملة بين المصريين والأجانب وكانت ترفض باستمرار تطبيق القوانين واللوائح المصرية ..

وفى ٢٦ يوليو ١٩٥٦ أعلن الرئيس الراحل جمال عبد الناصر تأميم الشركة العالمية لقناة السويس .. وكان لى الشرف أن أكون من القلة التى علمت بقرار التأميم قبل تنفيذه ومن المجموعة التى نفذت عملية التأميم ..

ويجدر بالذكر أن مصر لم تستول على القناة دون مقابل ولكنها عوضت حملة الأسهم بقيمة أسهمهم وفقا للأسعار العالمية المنشورة بالبورصة الدولية فى اليوم السابق للتأميم ..

التحديات التى واجهت الإدارة المصرية للقناة :

ولقد واجهت الإدارة المصرية بعد تأميم الإدارة الأجنبية عدة تحديات أسجلها بترتيبها الزمنى وهى : انسحاب كل المرشدين الأجانب فيما عدا سبعة مرشدين يونانيين و٤٠٪ من الموظفين والفنيين الأجانب دفعة واحدة ليلة ١٤/١٥

سبتمبر ١٩٥٦ .. أى بعد ٥٠ يوما من التأميم لتثبت للعالم أن مصر وحدها غير قادرة برجالها على إدارة القناة . ولما فشل ذلك المخطط حدث العدوان الثلاثى فى ٢٩ أكتوبر ١٩٥٦ وإغلاق القناة نتيجة إغراق بعض الوحدات البحرية فى المجرى الملاحى للقناة ثم كانت عملية تطهير القناة بمعاونة أجهزة هيئة الأمم المتحدة من ٦ يناير ١٩٥٧ وحتى ٩ أبريل ١٩٥٧ .

- العدوان الإسرائيلى فى ٥ يونيو ١٩٦٧ وإغلاق القناة لفترة استمرت ثمانى سنوات خسرت مصر خلالها ١٥٠٠ مليون جنيه كإيرادات للقناة بالإضافة إلى تدمير منشآت وورش ومعدات قناة السويس وتدمير المرافق والمنازل بمنطقة القناة والتى بلغت خسائرها ١١٢ مليون جنيه وتهجير $\frac{3}{4}$ مليون نسمة من منطقة القناة إلى عمق مصر ..

وقد خسر العالم خلالها ١٤ مليار دولار كنفقات زائدة فى تكاليف النقل البحرى ونتيجة تعطل مئات الألوف من العمال بموانى أوربا وإصابة موانى البحر الأبيض المتوسط والبحر الأحمر وشرق أفريقيا بالكساد وانخفض التبادل التجارى بين آسيا وأوربا بنسبة ١٦٪ سنويا ..

- وعقب انتصار مصر فى حرب السادس من أكتوبر ١٩٧٣ وفى أوائل عام ١٩٧٤ أعطت القيادة السياسية لمصر توجيهات لهيئة قناة السويس ببدء تطهير القناة وإعدادها للملاحة الدولية ..

وقد كان ذلك تحديا واجهه إنسان قناة السويس وانتصر عليه فى فترة قياسية بالنسبة لحجم الأعمال التى أنجزها خلال عمليات التطهير ..

- وأعيد فتح القناة فى ٥ يونيو ١٩٧٥ لتسهم فى رفع المعاناة الاقتصادية عن كاهل الشعوب وانطلقت هيئة قناة السويس بأقصى طاقاتها وقدراتها لتطوير القناة لتستوعب عبور ناقلات البترول التى تضخمت أحجامها إبان فترة إغلاقها ولمواجهة التطوير فى سفن البضائع والتى اتسمت بالسرعة فى إبحارها واستطاعت هيئة قناة السويس تنفيذ أضخم مشروع لتطوير القناة شهده

مجرى ملاحى فى التاريخ فى غضون خمس سنوات من ١٩٧٥ حتى نهاية عام ١٩٨٠ .

وفى بداية عام ١٩٨١ دخلت القناة عصر الناقلات العملاقة وارتفعت معدلات الحمولات العابرة وزادت أحجام السفن المستخدمة للقناة وتصاعدت إيراداتها .

واقتضى تطوير القناة وتوسيعها رفع حقول الألغام من الضفة الشرقية وإزالة خط بارليف ونقاطه الحصينة على امتداد الضفة الشرقية للقناة .. وأصبح كل ذلك حاليا مغمورا بمياه القناة بعد توسيعها ..

وثمة تحد آخر واجه هيئة قناة السويس وهو الحرب الدائرة الآن بين العراق وإيران وضرب الناقلات المتجهة إلى دائرة الصراع العسكرى فى منطقة الخليج العربى .. ومما لاشك فيه أن هذه الحرب تؤثر على القناة وتؤدى إلى انخفاض كميات البترول العابر بها من منطقة الخليج إلى أوربا ودول جنوب البحر المتوسط .

وكان آخر تحد للقناة هو بث الألغام البحرية فى المدخل الجنوبى للقناة بخليج السويس فى يوليو ١٩٨٤ مما أثار الذعر فى الأوساط السياسية الأمر الذى اقتضى الاستعانة ببعض الأساطيل البحرية العالمية لإزالة هذه الألغام التى ألقيت لضرب شريان اقتصادى هام لمصر .. وبفضل الله تم التغلب على ذلك المخطط فى أقصر وقت ممكن واستعادت القناة أهميتها .

مصر .. وشركة القناة

ويهمنى فى هذا المجال أن أذكر بعض الملاحظات حول استرداد مصر لقناتها بقرار التأميم الذى اتخذه الزعيم الراحل جمال عبد الناصر فى ٢٦ يوليو ١٩٥٦ وهذه الملاحظات يجب أن تلقى كل عناية حينما نُقيم ذلك القرار الوطنى .. وهى :

أولا : أن شعب مصر هو الذى حفر القناة .. وهو الذى استشهد فى سبيلها على

مر العصور .. وهو الذى تحمل عبء الديون التى واكبت حفر القناة وافتتاحها .

ثانيا : مصر لم تحصل على أية إيرادات من القناة منذ افتتاحها وحتى عام ١٩٣٧ أى لمدة ٦٨ عاما .. ومن عام ١٩٣٧ وحتى عام ١٩٥٦ حصلت مصر على ٢٣ مليون جنيه من الشركة المؤممة .. فى حين كانت مصر تدفع رسوم عبور سفنها .

ثالثا : لم تحترم الشركة المؤممة حقوق السيادة المصرية ولم تطبق القوانين المصرية ولم تفتح أبوابها لعمل المصريين إلا فى أضيق نطاق .. ولم تعط للعاملين المصريين أية حقوق إلا بعد عام ١٩٤٨ حينما لجأ العمال المصريون بالقناة إلى لجان التحكيم والتوثيق التى أصدرت قرارا بمساواة المصريين بالأجانب فى الحقوق وليس فى المرتبات ..

رابعا : يخطئ البعض إذا ظنوا أن الشركة الأجنبية التى كانت تدير القناة قبل التأميم كانت ستسلم القناة إلى مصر فى عام ١٩٦٨ عند نهاية امتياز إدارتها للقناة لأن التاريخ يقول « إن الشركة المؤممة بمساندة حكومات بعض الدول كانت تبذل الجهود لمد امتياز القناة مستخدمة فى ذلك شتى وسائل الضغط وكانت تسعى فى حالة فشلها فى مد الامتياز إلى تسليم القناة إلى لجنة دولية أسوة بلجنة الدانوب والدليل على ذلك التصريح الذى أدلى به مسيوفرنسوا شارل رئيس مجلس إدارة شركة قناة السويس فى عام ١٩٥٠ والذى جاء فيه ضرورة إدارة القناة بعد عام ١٩٦٨ بواسطة لجنة دولية تحت إشراف هيئة الأمم المتحدة .

ولذلك أنشأت الشركة مكتبا لها فى نيويورك للاتصال المستمر بالحكومة الأمريكية وبممثلى الدول الأعضاء فى هيئة الأمم المتحدة .

كما جندت عددا من الكتاب والصحفيين لبث رأى عام فى أوربا

وأمريكا يزعم بأن إدارة القناة ستكون إرثا ثقيل الحمل على كاهل مصر..

خامسا: لو استمرت الشركة المؤممة فى إدارة القناة حتى عام ١٩٦٨ وفشلت كل الجهود فى مد الامتياز أو سلب القناة من مصر مرة أخرى فإن الشركة المؤممة كانت ستسلم القناة لمصر دون مستوى التطور فى سفن النقل البحرى العالمى عام ١٩٦٨ والدليل على ذلك أن الشركة المؤممة لم تقم بأية تحسينات للقناة منذ عام ١٩٥١ وأعلن رئيسها صراحة فى عام ١٩٥٥ بأنه لايمكن أن يطلب أحد من الشركة وقد دنا أجل امتيازها أن تنفق أموالا ضخمة يستحيل استردادها..

لذلك فقد كان من المتوقع أن تتسلم مصر قناتها بعد إنهاء الامتياز وهى دون مستوى الوفاء بمتطلبات الملاحة الدولية بكثير..

سادسا: إن إدارة مصر لقناة السويس جعلتها منذ التأميم وحتى الآن فى مقدمة الممرات الملاحية الدولية التى تضمن أمن وسلامة السفن العابرة بها نتيجة للمشروعات الضخمة التى أنجزتها الإدارة المصرية ونتيجة للتطوير المستمر سواء فى المجرى الملاحى للقناة أو بالنسبة للمساعدات الملاحية التى تعاون السفن العابرة..

سابعا: إن الشركة المؤممة لم يكن لها أى دور فى تنمية وتطوير الإنسان والمرافق فى منطقة القناة بينما هيئة قناة السويس تقوم بواجبها الوطنى فى هذا المجال منذ التأميم وحتى الآن.

وقد وضعت إدارة قناة السويس نصب عينيها دور قناة السويس الهام للتجارة البحرية الدولية وفى نفس الوقت استمرار وزيادة دور قناة السويس فى دعم الاقتصاد المصرى وذلك عن طريق اتباع سياسة حكيمة لتحديد رسوم العبور بالقناة وتطوير دائم لها وزيادة طاقاتها الحجمية والتصريفية لضمان استمرار

مواكبتها لتطور الأسطول العالمى ، كذلك زيادة مساهمة القناة فى إنشاء الشركات والمشروعات التى تخدم الاقتصاد المصرى .

نظرة مستقبلية :

لضمان استمرار قناة السويس فى أداء دورها البناء فى خدمة التجارة الدولية فلابد من دراسة مستمرة لحركة هذه التجارة وتوقع حجمها فى السنين المقبلة وكذلك التطورات المنتظرة فى الأسطول العالمى لنقلها بين الدول المختلفة وخصوصا تلك التى تؤثر على قناة السويس . وبصفة عامة يمكن تقسيم البضائع المارة بالقناة كالآتى :

بضائع بترولية   وبضائع غير بترولية

كما هو معروف أنه فى عام ١٩٦٦ (آخر عام ملاحى كامل قبل عدوان ١٩٦٧ وإغلاق قناة السويس) كان حوالى ٧٥٪ من مجموع الحمولة التى مرت بالقناة مواد بترولية والباقى مواد غير بترولية .

عـــام ١٩٦٦

بضائع بترولية	بضائع غير بترولية	المجمـــوع
٢٠٦,١	٦٨,١	٢٧٤,٢

مليون طن صافى

وبعد إعادة الملاحة للقناة فى ٥ يونية ١٩٧٥ تغير الوضع كثيرا وأصبحت المواد البترولية المارة بالقناة عام ١٩٨٥ تمثل حوالى ٣٥٪ فقط من مجموع الحمولات .

نسبة الحمولة الصافية للناقلات إلى مجموع الحمولات الصافية لجميع أنواع السفن :

العام	٧٦	٧٧	٧٨	٧٩	٨٠	٨١	٨٢	٨٣	٨٤	٨٥
النسبة ٪	٤١,٥	٣٤,٣	٢٩,٨	٣٢,٨	٣١,٦	٣٩,٥	٣٧,٥	٣٦,٤	٣٥,٤	٣٤,٨

عـام ١٩٨٥

بضائع بترولية	بضائع غير بترولية	المجمـــوع
١٢٢,٧	٢٢٩,٩	٣٥٢,٦ مليون طن

بمقارنة كميات البضائع غير البترولية التى مرت بالقناة فى عام ٨٥ وعام ٦٦ نجد أنها تضاعفت ٣,٣ مرة وهذا يتفق ومعدلات الزيادة فى حركة التجارة العالمية المنقولة بحرا .. وذلك نتيجة أن القناة بعد تطويرها أصبحت قادرة على استقبال كل السفن التى تحمل بضائع غير بترولية بحمولاتها كاملة .

وبالنظر إلى نوعيات وحمولات هذه البضائع وأماكن شحنها وتفريغها نجد أنها متنوعة بشكل كبير وتبدأ بالمواد الخام وتنتهى بالمهمات المصنعة وعلى الرغم من التغير الملحوظ الذى حدث فى نوعيات وكميات البضائع غير البترولية التى مرت بالقناة خلال السنين الماضية وتبادل الأهمية النسبية للأنواع المختلفة علاوة على التغيير الكبير فى أماكن التصدير والاستيراد والذى صاحب عمليات التنمية والتصنيع فى منطقة الشرق الأقصى إلا أنه من الملاحظ أنه توجد دائما زيادة فى مجموع حركة التجارة الدولية المنقولة بحرا وأيضا زيادة مضطردة فى نصيب قناة السويس من هذه الحركة .

وعلى ذلك فيمكن القول أن حمولات البضائع غير البترولية المنتظر عبورها بقناة السويس سوف تتزايد باستمرار مع السنين القادمة ولكن مع تغيير فى النوعيات وأماكن الشحن والتفريغ وأكبر اتجاه يبدو حاليا هو تناقص الأهمية النسبية لسفن البضائع العامة التقليدية مع تزايد الأهمية للسفن النمطية وخصوصا سفن الحاويات ومن المتوقع استمرار هذا الاتجاه مستقبلا .

كذلك فإن أهمية سفن البضائع الصب تتزايد ومن المتوقع استمرار هذا

الاتجاه ، كما وأن الأهمية النسبية للخامات والمعادن والقمح والفحم والأسمدة والأسمنت تتزايد أيضا مع الوقت ..

أما بالنسبة للمواد البترولية فنجد أن الأمر يختلف كثيرا ، فبمقارنة الكميات من هذه المواد التى كانت تمر بالقناة قبل عدوان ١٩٦٧ ، بمثيلاتها بعد عودة الملاحة للقناة عام ١٩٧٥ وحتى أوائل الثمانينيات (قبل الانتهاء من تنفيذ المرحلة الأولى من مشروع تطوير القناة) نجد أنه على الرغم من الزيادة الكبيرة التى حدثت لكميات البترول المنقولة بحرا من الخليج العربى لشمال غرب أوربا نجد أن نصيب قناة السويس من هذه الكميات كان محدودا للغاية ، ولكن ابتداء من عام ١٩٨٢ زاد نصيب قناة السويس من التجارة العالمية للمواد البترولية ويرجع السبب الرئيسى لذلك هو الانتهاء من تنفيذ المرحلة الأولى من مشروع تطوير القناة والذى يهدف إلى زيادة طاقتى القناة الحجمية والتصريفية .

ومن المتوقع استمرار هذا الاتجاه حيث أنه من المعروف أن أوربا الغربية وأمريكا الشمالية سوف تحتاج إلى استيراد كميات كبيرة من البترول المطلوب فى المستقبل لاستكمال متطلباتها من البترول سواء لأغراض الصناعة أو كمصدر للطاقة . إذ على الرغم من الانخفاض المستمر فى استخدام البترول كمصدر من مصادر الطاقة إلا أنه مازال أكثر أنواع الطاقة المطلوبة على الأقل حتى سنة ٢٠٠٠ .

والجدول التالى يوضح كل مصدر من مصادر الطاقة فى عام ٨٤ وتقدير ذلك فى عام ٢٠٠٠

	عام ١٩٨٤	عام ٢٠٠٠
البترول الخام	٤٨٪	٤٠٪
الفحم	١٩٪	٢٢٪
الغازات الطبيعية	١٨٪	١٨٪
بقية أنواع الطاقة	١٥٪	٢٠٪

ومن المعلوم أن الاحتياطى الثابت المعلن بمنطقة الشرق الأوسط والتى ينتظر أن يستمر من ٩٠ ـ ١٠٠ سنة وباعتبار معدلات الإنتاج المتوسط نجد أن منطقة الخليج العربى سوف تستمر كمصدر للبترول لأوربا الغربية وأمريكا الشمالية لعدد كبير من السنين القادمة ، ومع شكل الأسطول العالمى الحالى لنقل البترول واحتمالات تطوره والتى تشير إلى الاستغناء كلية عن ناقلات البترول فوق العملاقة تشير إلى أن قناة السويس سوف تستمر صالحة وآمنة لمرور معظم سفن الأسطول العالمى بما فيها ناقلات البترول .

مما سبق يمكن القول بأنه بالمتابعة المستمرة لحركة التجارة العالمية وسفن الأسطول العالمى بأنواعه المختلفة تتبع قناة السويس سياسة حكيمة وعادلة لتحديد رسوم العبور بالقناة حتى تستمر قناة السويس الشريان الحيوى الهام فى خدمة التجارة العالمية المنقولة بحرا .

وبالنسبة لمشروعات تطوير قناة السويس فى المستقبل فإن ازدواج القناة أمر وارد ولكن على مراحل وسوف يفرض نفسه بالنسبة للأجيال القادمة إذا زاد المعدل اليومى للسفن العابرة باستمرار بحيث تجاوز الطاقة القصوى الحالية للقناة وهى ٧٨ سفينة يوميا ... ولدى قناة السويس حاليا مشروع تخطيطى كامل لازدواج المجرى الملاحى للقناة بكامل طولها وذلك بتوصيل الأجزاء المزدوجة من القناة ببعضها لنخلق قناة مزدوجة بالكامل .. ولكن هذا لن يحدث على مرحلة واحدة ولا فى المستقبل القريب .

وكذلك فإن الرؤية البعيدة لإدارة القناة الحالية أدت إلى التنسيق والربط بين مشروعات القناة ومشروعات تطوير الموانى الرئيسية التى ترتبط بالقناة مثل موانى البحر الأبيض والبحر الأحمر والشرق الأقصى ..

ولقد بدأت أولى الخطوات فى هذا الاتجاه بالتنسيق بين مشروعات تطوير موانى إيطاليا بمشروعات المجرى الملاحى للقناة .. وهذا يؤكد دائما بأن الفكر

المصرى فى قناة السويس يتحرك فى دائرة رحبة تحتوى الخطوط الملاحية العالمية المستخدمة للقناة .. ولذا ستظل القناة بإذن الله هى أهم شريان ملاحى عالمى يربط بين الشرق والغرب سواء فى تجارته أو الاتصال بين الحضارات ونماء الشعوب .

الجلسة الخامسة والأخيرة

القسم الأول :

العمل المشترك بين أمريكا وبريطانيا لمواجهة عبد الناصر

كلمة : كيث كايل

فى سبتمبر ١٩٥٥ بدأت مرحلة صفقة الأسلحة بين مصر وتشيكسلوفاكيا . وأستطيع أن أقول إن عبد الناصر قد لعب دوره ببراعة ، مستخدما تكتيكات العلاقات العامة . فقد دأب خلال الأيام القليلة التالية على إعلان الصفقة ـ بل وخلال أسابيع بعدها ـ على أن يؤكد بوضوح أن هذه الصفقة ماهى إلا مجرد صفقة يتيمة وحيدة ، ليس فى النية عقد صفقات أخرى مماثلة لها . وأنه مازال مهتمًا وحريصا على حسن العلاقات مع الغرب .

- أسرار « بان ألفا » مبادرة إيدن السرية بتسوية نهائية للقضية الفلسطينية
- وأسرار جديدة عن مؤتمر سيفر.
- فى محاولة يائسة من إيدن لإقناع أمريكا بتمويل السد العالى يكتب لايزنهاور : إن ماسوف نقرره نحن الإثنان خلال اليومين أو الثلاثة القادمين سيحدد مصير أفريقيا لزمن بعيد .
- الفرق بين تقدير المخابرات الأمريكية وتقدير المخابرات البريطانية لعبد الناصر.

الجلسة الختامية

عقدت الجلسة مساء أول نوفبر ١٩٨٦ وكانت برئاسة الأستاذ أحمد حمروش

الأستاذ أحمد حمروش : الزميلات والزملاء .. نبدأ الجلسة الختامية بحديث يقدمه مستر كيث كايل من المعهد الملكى للعلاقات الخارجية .. كان مراسلا للايكونوميست سنة ١٩٥٦ فى واشنطن ويعد حاليا كتابا عن تأميم قناة السويس ..

الأستاذ محمد حسنين هيكل : أريد أن ألقى بكلمة قبل أن يتكلم هو..

الأستاذ أحمد حمروش : والأستاذ محمد حسنين يقول كلمة قبل أن يبدأ ..

الأستاذ محمد حسنين هيكل : فى واقع الأمر أن ما سوف أدلى به ليس كلمة ، وغاية الأمر هو أنى أريد راجيا من كل الإخوان هنا والأخوات طبعا قبل الإخوان ، أن يصغوا إلى الكلام الذى سيقوله كيث كايل باهتمام شديد ، لأنه هو فى وضع فريد حسبما أعتقد.. لأنه يعمل بإعداد كتاب عن السويس.. سيصدر فى العام القادم .. وكتابه معتمد على الوثائق البريطانية والأمريكية والإسرائيلية ، ويكاد يكون هو الوحيد من بين الذين كتبوا عن السويس ، الذى أتيحت له الفرصة ــ وبكل التسهيلات ــ لكى يقرأ كل الأوراق بما فيها مجموعات الأوراق الخاصة التى لم تتح لأحد منا جميعا .. أقصد الناس الذين كتبوا عن السويس .. وهذا بطبيعة الحال كان سببا من الأسباب التى جعلتهم يدعونه أيضا إلى الندوة التى عقدت فى إسرائيل .. لأنه ــ ونستطيع أن نقول ونحن مطمئنون ــ أنه واحد من أكثر الناس الذين يمكن أن يبقى عندهم معرفة بخفايا مادار فى الكواليس فى السويس .. ولأنه فوق هذا قرأ الأوراق التى طبعت كلها من مجلس

الأمن القومى الأمريكى .. وقرأ كل ماهو متاح فى انجلترا .. أخيرا كانت عنده الفرصة وهو موجود فى إسرائيل أن يرى الأمور ويسمع عنها .. من مصادرها الأصيلة مباشرة ..

ومن ثم فإنى أعتقد أن من واجبنا جميعا أن نصغى إليه باهتمام لأن حديثه فيما أعتقد يكتسب وزنا خاصا .. حينما قلنا له : المرة القادمة أن يتكرم ويقول لنا شيئا عما رآه فى إسرائيل ، وعن الندوة التى نظمت فى إسرائيل .. حول الموضوع ذاته .. وأنا طلبت منه أول أمس أنه يعطينا فكرة عما كانوا يتحدثون فيه ، بصورة سريعة .. لكن الحقيقة أننا فكرنا فى ختام هذه الندوة ، وأنه يوجد من أتيحت له الفرصة ، لكى تكون لديه هذه الحصيلة ، فليتفضل بالحديث إلينا ، ليس عما شاهده فى إسرائيل فحسب .. بل الموضوع .. صورة الموضوع ، وبالتالى فإنى أردت بإذنكم أن أضيف هذه الإضافة ..

كيث كايل : السيد الرئيس ..

كما تلاحظون فإننى الآن أتناول الموضوع كمؤرخ على نفس الأرض التى تابعت أحداثها فى الماضى كصحفى .. ولابد أنكم تلاحظون الفارق بين نظرتى فى الحالتين ..

ولكى نتفهم تطور أزمة السويس واستفحالها من وجهة النظر البريطانية فإنى واثق أن السير أنتونى ناتنج قد عرض عليكم بدقة صورة الأحداث فى اليوم الأول من هذه الندوة والذى لم أكن فيه حاضرا لسوء الحظ ..

لقد أبرز لكم الدور الذى كان يعيشه أنتونى إيدن فى ذلك الوقت وكيف أنه كان شخصية بارزة ومتألقة على صعيد السياسة الدولية.. وكنجم النجوم على المسرح الدبلوماسى الدولى .. كانت المكانة التى أحرزها عظيمة بالقياس إلى الأحداث التى سبقت .. ذلك أن عام ١٩٥٤ كان عام الانجازات الرائعة بالنسبة لأنتونى إيدن .. قد أحرز فيها نصرا إثر نصر .. كانت أغلب هذه الانتصارات ـ مقارنة بما كان يجرى لأمريكا فى فيتنام ـ كانت فى اتجاه إقامة سياسة خارجية

لبريطانيا مستقلة لا تخضع لسيطرة الولايات المتحدة الأمريكية .. وفى نفس الوقت كانت هذه السياسة الخارجية لإيدن ترمى إلى استعادة إقرار السلام فى جهات مختلفة من العالم ولا تماشى سياسة الحرب الباردة ..

وفهم هذه الخلفية أمر ضرورى لكى نستطيع متابعة الأحداث التى انجرفت فى تجاه أزمة السويس ..

وباقتراب نهاية هذه السنة .. سنة ١٩٥٤ التى يمكن أن تسمى سنة المعجزات لدبلوماسية إيدن .. فإن إيدن قد أقدم على مبادرتين فى الشرق الأوسط .. واحدة منهما كانت فى العلن .. والثانية كانت فى الخفاء والسرية ..

وأعتقد أنه يمكن الحكم على هاتين المبادرتين بأن كلا منهما بمفردها كان لها ما يبررها وكان ممكنا أن تحقق له النجاح .. ولكن خطأ إيدن أنه أقدم على المبادرتين معا .. فأما تلك التى كانت فى العلانية فهى تأييده للحلف الذى سمى فيما بعد بحلف بغداد .. وكان حلفا إضافيا بين تركيا والعراق ..

مبادرة بان ألفا

والمبادرة الثانية التى كان يتابعها إيدن فى سرية مطلقة والتى لم تعرف إلا هذه الأيام بسبب الافراج عن وثائقها حديثا .. كانت تعرف باسم «بان ألفا» .. وكانت نتيجة اقتراح من إيدن قدمه لدالاس .. لكى يعمل الاثنان سويا فى جهد مشترك لتدعيم تسوية نهائية للقضية الفلسطينية .. وشكل لهذه الغاية فريق مشترك من المفاوضين البريطانيين والأمريكيين .. وكان السير إيفلين تشاك هو العضو الرئيسى عن الجانب البريطانى .. وفرانسيس رسل العضو الرئيسى عن الجانب الأمريكى .. وكان الاثنان مخولان للعمل بمعزل عن وزارة الخارجية الأمريكية ووزارة الخارجية البريطانية .. وكانت معظم الأجهزة الدبلوماسية العادية فى البلدين معزولة تماما عن هذه الخطة .. وأعنى بذلك على سبيل المثال أن نشاطها

قد حجب حتى على السفراء العاملين فى المنطقة .. واتصل العمل فى هذه الخطة عام ١٩٥٥ وحتى عام ١٩٥٦ ..

ومفهوم ضمنا أن هذه الخطة كان لها الأولوية على أية تطورات جرت فى تلك الفترة .. فقد أعطت القيادات السياسية العليا فى كل من البلدين الأولوية المطلقة لهذا الهدف ألا وهو الوصول إلى تسوية نهائية للنزاع العربى الإسرائيلى ..

وفى رأيى إذا ما أعدنا النظر فى هذه العملية بإمعان أن هذه المحاولة كان مقضى عليها بالفشل لأنها كانت محاولة غاية فى التعقيد .. وهناك فى الملفات والوثائق الكثير عن هذه العملية يصل إلى أدق التفاصيل الدقيقة حول التسوية الفلسطينية الممكنة تشمل اللاجئين .. والأراضى وكل شىء .. ولكن مشكلة المشاكل فى هذه القضية أنها افترضت تعديلات فى الأراضى والحدود كان من المستحيل ـ من وجهة نظرى ـ أن تتقبلها إسرائيل ..

كانت الفكرة الأساسية أن يكون تناول المشكلة على غرار الطريقة التى سويت بها قضية تريستا .. وقد اسميت بالفعل « نمط تريستا » لأنه قد بدا لهم أن هذه القضية تتشابه تعقيدا وعمقا مع قضية تريستا والتى أمكن الوصول فيها إلى تسوية بين يوغوسلافيا وإيطاليا ..

وكانت الخطة أن بريطانيا وأمريكا فى عملها المشترك كان عليهما قبل كل شىء أن يتناولا معا التعامل مع أحد أطراف الصراع وأن يحاولا أن يساوماه على مطالبه حتى يصلا بهذه المطالب إلى أقصى حد أدنى لها .. ثم ينتقلا بعد ذلك إلى الطرف الآخر فى النزاع لكى يصلا معه بدوره إلى الحد الأدنى لمطالبة .. على أن تتم هذه الاتصالات تحت أقصى درجات السرية المطلقة ..

كان الزعيم المعبر عن العالم العربى فى تقديرهما هو الرئيس ناصر ..

وكان الرئيس ناصر فى نظرهما هو الشخصية الوحيدة فى العالم العربى التى تستطيع أن توقع اتفاقية سلام دائم مع إسرائيل وأن تضمن لهذا السلام أن يبقى ..

ولكى يوفرا فرصة النجاح لخطة «بان ألفا» فقد أصبح اهتمام بريطانيا وأمريكا منصبا على تدعيم مركز ناصر وتقويته سياسيا ..

ولكن فى نفس الوقت كان إيدن متورطا فى العلن فى مبادرة حلف بغداد وكان هذا لسوء الحظ متعارضا مع أهداف خطة «بان ألفا» .. ليس من الناحية النظرية فقط وإنما أيضا من الناحية العملية .. لأنه بإدخال العراق بزعامة نورى السعيد فى حلف دفاعى كان ذلك معناه اتخاذ اجراءات تتعارض مع المصالح السياسية للرئيس عبد الناصر..

وصحيح حقيق أن بريطانيا والعراق كانتا مندفعتين لتحقيق الاتفاق العراقى التركى .. ولكننى أعتقد أن الدفع والضغط لتعجل تحقيق هذا الحلف كان من جانب تركيا .. فخلال عام ١٩٥٥ كانت تركيا تدفع بعنف متواصل الأطراف الأخرى للسير قدما فى إجراءات تشييد الحلف ومؤسساته ..وكانت باستمرار تتهم هذه الأطراف وخاصة بريطانيا بأنها تتقاعس وتتباطأ وقد أفلحت بالفعل فى أن تدفع بريطانيا إلى القيام بأفعال لم تكن تريد أن تقوم بها طواعية .. ولقد أفلحت تركيا أيضا فى حث الخطى نحو استكمال العضوية لحلف بغداد .. واستكمال مؤسساته وتعيين مجلس الحلف ودفعه قدما .. واضطرت بريطانيا رغم إرادتها أن تذهب إلى آخر المدى لكى تظهر أنه مازال لها الحضور والمكانة فى المنطقة ..

كانت تركيا قد فازت بعضوية حلف الاطلنطى وكان ذلك شرطها المسبق التى طالبت بتحقيقه قبل أن تباشر أى دور يطلب منها فى الشرق الأوسط .. كانت تريد قبل كل شىء أن تدعم مصداقية أنها دولة أوربية فى الأساس .. وكانت فى سبيل ذلك مستعدة بجنون أن تفعل أى شىء فى الشرق الأوسط .. وكانت تركيا هى التى صممت على إلحاق إيران بحلف بغداد .. وكانت هى التى أصرت على فرض الحلف على الأردن .. الأمر الذى أدى فى نهاية ذلك العام إلى تلك النتيجة التى تعرفونها .

مغزى صفقة الأسلحة التشيكية

وسأقفز فوق الأحداث التى تعرفونها حرصا على الوقت لنصل إلى سبتمبر نهاية سبتمبر ١٩٥٥ .. تلك كانت مرحلة صفقة الأسلحة بين مصر وتشيكوسلوفاكيا ..

وأظن أن الوقت لا يسمح لى بتناول التفاصيل والأسباب وأعتقد أنكم تعرفونها الغارة على غزة وخلافه ..

ماذا كان رد فعل هذه الصفقة على وزارة الخارجية فى لندن .. أنتم تعلمون بأمر هذه الصفقة .. وببعض ردود الفعل .. وقد تناولها السير أنتونى ناتنج فقد كان هو هناك فى الوزارة حيث لم أكن .. ولكن من قراءة الوثائق أعتقد من المثير أنه أهم ردود الفعل لنبأ هذه الصفقة يتمثل فى أمرين :

أولها : أن الاستمرار فى تحقيق التوازن بين البلاد العربية وإسرائيل قد أصبح أمرا لا معنى له ولا يمكن الاستمرار فيه لأنه لم يعد فى مقدور القوى الغربية أن تحكم حركة التسليح فى المنطقة بأسرها ومن ثم لم يعد ممكنا أن نتحكم فى حصص السلاح التى تحصل عليها كل دولة .. وأنه لم يعد فى استطاعة بريطانيا أن تواصل دورها كمحكم بين البلاد العربية وإسرائيل وأن على بريطانيا إذن أن تنحاز إلى مصالحها الوطنية الأمر الذى يعنى أن تنحاز إلى جانب العرب ..

والأمر الثانى : أن من المحتمل أن عبد الناصر قد تجاوز الحد فى اتجاه الاتحاد السوفيتى وأنه قد ذهب بعيدا .. إلى حد أنه أصبح إما عميلا للاتحاد السوفيتى أو على الأقل أداة فى أيديهم .. وأنه أصبح من الصعب استرجاعه من هذا الاتجاه .. ومن ثم فقد وجبت الاطاحة به وازاحته من السلطه ..

كانت هاتين النتيجتين هى خلاصة ما وصلت إليه إدارات الخارجية البريطانية فور تلقيها نبأ الصفقة ..

وأستطيع أن أقول إن عبد الناصر قد لعب دوره ببراعة مستخدما تكتيكات

فن العلاقات العامة .. فقد دأب خلال الأيام القليلة التالية على إعلان الصفقة ـ بل وخلال أسابيع بعدها ـ على أن يؤكد بوضوح أن هذه الصفقة ما هى إلا مجرد صفقة يتيمة وحيدة .. ليس فى النية عقد صفقات أخرى مماثلة لها .. وأنه مازال مهتما وحريصا على حسن العلاقات مع الغرب .

ولقد كان غريبا حقا أنه وقد تمت هذه الصفقة فى أواخر سبتمبر ، فإن أنتونى إيدن ظل حتى آخر نوفمبر .. يحاول بجهد مستميت يائس أن يحمل واشنطن على اعتماد القرض اللازم لبناء السد العالى .. وكانت هناك مداولات تدور فى واشنطن منذ مدة ليست بالقصيرة.. مداولات متأنية ومتروية بين الولايات المتحدة والبنك الدولى حول تقديم عرض لمصر لمساعدتها على بناء السد .. ولكن الضغط لكى تذهب الأموال إلى مصر جاء من جانب أنتونى إيدن .. وكان أنتونى إيدن يؤكد فى رسائله إلى واشنطن أن دوافعه سياسية وأن السد العالى أمر سياسى بالدرجة الأولى وأن مساعدته فى بناء ذلك المشروع ستضمن ربط مصر اقتصاديا بالغرب رغم صفقة الأسلحة السوفيتية ..

ورغم المعارضة القوية فى واشنطن إلا أن إيدن استطاع أن يكسب دالاس إلى جانب رأيه بل وفى آخر الأمر تمكن من اقناع ايزنهاور نفسه ..

ولكن المعارضة فى الأروقة التى تملك الكلمة كان قويا .. كان جورج همفرى وزير الخزانة الأمريكية والذى كان شخصية لها وزنها المؤثر إلى جانب أنه كان مقربا جدا إلى ايزنهاور .. كان جورج همفرى ضد المشروع وكان يعارضه معارضة قوية منذ البداية .. كذلك كان هربرت هوفر الأصغر والذى كان له نفوذ سياسى قوى فى مثل هذه الأمور ..

وهكذا منذ البداية واجه المشروع متاعب سياسية قوية فى الكونجرس .. وعلى أية حال فإن ما يهمنا من هذا هو أن أنتونى إيدن كان يريد أن يربط مصر أكثر وأكثر بالغرب وذلك عن طريق مساعدتها اقتصاديا ..

وفى رسالة تكاد تكون يائسة أبرق بها إيدن إلى ايزنهاور قال :

«إن ما سوف نقرره نحن الاثنان خلال اليومين أو الثلاثة القادمين سيحدد مصير أفريقيا إلى زمن بعيد ..» بهذه الكلمات المتوسلة كان مدى تقدير إيدن للسد العالى ..

رأى المخابرات الأمريكية والموقف من عبد الناصر

ومرة أخرى مراعاة للوقت أقفز على هذه المرحلة إلى ما بعدها .. فقط أود أن أركز على مدى التذبذب والتناقض الذى اعترى السياسة البريطانية ذلك الوقت فمن رد فعلها تجاه صفقة الأسلحة السوفيتية إلى مساندتها لمشروع السد العالى .. ثم بعد شهر أو اثنين.. إذا بها تعدل نهائيا عن تأييد ناصر..

وأنتم تعلمون الأحداث التى وقعت .. الاضطرابات والمظاهرات فى الأردن حول حلف بغداد وطرد الجنرال جلوب إلى آخر هذه الأحداث ..

كانت المخابرات البريطانية أكثر رسوخا فى الشرق الأوسط فى تلكم الأيام عن المخابرات المركزية الأمريكية .. وكانت المخابرات البريطانية قد حسمت موقفها تجاه الرئيس ناصر فى تقييم نهائى .. وهناك برقية بتاريخ أول إبريل ١٩٥٦ من ويلبور ايفلاند.. عميل المخابرات الأمريكية والذى كان مفروضا أن مقره كان دمشق .. ولكنه كان يبعث بتقاريره من لندن ... عن مجموعة من المحادثات الخطيرة التى جرت بين خبراء الـ «م ١٦» أى المخابرات البريطانية وبين خبراء المخابرات المركزية الأمريكية ..

كانت المخابرات البريطانية تعرض وجهات نظرها واكتفى مندوبو المخابرات الأمريكية بالاستماع ونقل تقاريرهم إلى ألن دالاس فى واشنطن ..

كانت وجهة نظر المخابرات البريطانية فى أول أبريل ١٩٥٦ .. وأول أبريل دائما مناسبة هامة فى غير الأمور السياسية ـ أن ناصر قد أصبح : «أداة طيعة كلية» فى يد الاتحاد السوفيتى .. وأن نواياه هى تحطيم إسرائيل نهائيا .. وأن يحرز سيطرة كاملة على العالم العربى .. وأنه ليس هناك أى أمل البتة فى استرجاع ناصر

للصداقة مع الغرب .. وقد استندت المخابرات البريطانية فى تقييمها الجديد هذا عن الرئيس ناصر والذى جاء فى البرقية المرسلة إلى واشنطن .. إلى مصدر جديد عالى المستوى .. يحتل مركزا مهما فى دائرة المسئولية الضيقة المحيطة بالرئيس ناصر .. وقالت البرقية إن هذا المصدر العالى المستوى أطلق عليه الاسم الكودى « Iuclly Breale » وأن هذه المعلومات أمكن الحصول عليها اعتبارا من نوفمبر ١٩٥٥ وهو الذى أدلى بهذه المعلومات على شكل وثيقة جرى تهريبها من القاهرة إلى لندن .. وأن هذه الوثيقة اعتبرت من الوثائق السرية للحكومة المصرية وأن المعرفة بمحتوياتها لم تخرج عن الحلقة الضيقة فى قمة السلطة فى مصر .. وأن هذه الوثيقة يقال إنها تكشف عن الالتزام الكامل للرئيس ناصر ومستشاريه بخط السياسة السوفيتية ..

وواضح من البرقية أن هناك اختلافا كبيرا وعميقا بين المخابرات البريطانية والمخابرات الأمريكية وأعتقد أن الكثيرين منكم يعرفون أنه كانت للمخابرات المركزية الأمريكية صلات قوية بالرئيس ناصر ..

كانت هناك اتصالات غير رسمية على المستوى الشخصى بين بعض مندوبى المخابرات الأمريكية والرئيس ناصر .. وكانت تتم هنا فى القاهرة لقاءات ودية وشخصية بين الرئيس ناصر وبين عملاء المخابرات الأمريكية وتجرى فيها المناقشات وتبادل المعلومات على أسس من العلاقة الشخصية الودية والوثيقة والحارة .. وكان هؤلاء العملاء الأمريكيون مقتنعون تماما بفكرة تدعيم مركز الرئيس عبد الناصر ورفعه حتى تصبح له القيادة والزعامة فى العالم العربى فى الشرق الأوسط ويصبح الزعيم الناطق باسم العرب القادر على أن يعطى التعهدات باسمهم ..

هذا فى الوقت الذى كان فيه تقدير المخابرات البريطانية مختلفا .. وكانت إعادة تقييمها للرئيس ناصر مبنى فى الأساس على وجهات نظر نائب رئيس المخابرات البريطانية فى ذلك الوقت جورج كيندى الأصغر .. وكان هذا التقييم

يلقى معارضة ذات اعتبار .. ولقد التقيت حديثا بواحد من خبراء المخابرات البريطانية الذين عاصروا هذه المرحلة وقد تناقشت معه حول هذا الموضوع فقال لى إنه كان يعتقد أن تقدير الموقف البريطانى وفق مفهوم ذلك التقييم كان ضربا من الغباء المجنون ..

ولقد طرحت أمور عديدة على بساط البحث وكان البريطانيون يعدون لعديد من المبادرات .. وأود أن أؤكد أنه إذا ماكانت المخابرات البريطانية قد وصلت إلى هذه النتائج فإن هذا لا يعنى أن الحكومة البريطانية قد تبنت وجهة نظرها ولا يعنى أنها أخذت بنصائح المخابرات واقتراحاتها .. وأنه من المهم .. المهم جدا أن أشد انتباهكم إلى أننى عندما أشرت إلى التقييمات البريطانية فإنما كنت أقصد تقييمات المخابرات لا تقييمات الحكومة البريطانية .

ولقد اقترحت المخابرات البريطانية اتخاذ مجموعة من الخطوات فى الشرق الأوسط .. كان من بينها إحداث انقلاب فى سوريا وفى السعودية وقالوا إن الإجراء الذى ستقوم به ضد الرئيس ناصر سيتوقف على رد فعله تجاه هذه الأحداث ..

ومن بين الأشياء المثيرة التى جرت فى اجتماع أول إبريل هذا عام ١٩٥٦ .. أنهم توقعوا أن ردود فعل الرئيس ناصر ربما تضمنت الاستيلاء على قناة السويس وأنه من الضرورى أن يعرفوا ماذا سيكون عليه رد فعل الحكومة الأمريكية تجاه مثل هذه الخطوة ..

والآن .. أكرر مرة أخرى ـ وأنا آسف لهذا التكرار ولكننى أظن أنه ضرورى وهام ـ أن هذا كله قد دار فى اجتماع بين جهازى المخابرات البريطانى والأمريكى وأن هذا لا يعنى أن الحكومة قد أخذت بوجهات النظر التى دارت فيه ..

وبغض النظر عن هذا كله .. فإن هناك بعض الدلائل .. وعلى الأخص تلك التى أوردها السير أنتونى ناتنج فى حديثه .. والتى تبين أن الروح التى سادت هذا التقرير المشار إليه فى اجتماع أول إبريل هذا .. هذه الروح لم تكن بكليتها

متعارضة مع ماكان يضمره رئيس الوزراء إيدن ومع ماكان يتنامى فى نفسه من نوايا ..

ومعروف جيدا أن رئيس الوزراء كان قد أمر بأن يرسل إليه فى مقر رئاسة الوزارة . داوننج ستريت .. ليس فقط الملخص العادى لتقارير المخابرات وإنما كان يطلب نسخة من النص الكامل لكافة تقارير المخابرات الواردة من الشرق الأوسط ..

دالاس والسد العالى

وأتحرك بسرعة من هذا .. لأورد رواية أعتقد أنها صحيحة إلى أبعد الحدود .. فقد عرفتها من مراسلنا فى واشنطن وهى واحدة من الحكايات العديدة التى لا نهاية لها والتى عرفتها بصفة شخصية ..

كان دالاس فى الحقيقة يواجه متاعب سياسية عديدة ومعقدة نتيجة تعهده بتمويل السد العالى ..

كانت هناك معارضة قوية للمشروع من جانب الأعضاء السناتورز عن ولايات الجنوب والغرب والذين كانوا يريدون الاعتمادات المالية لبناء سدود ومنشآت فى ولاياتهم ورفضت طلباتهم من جانب الإدارة الجمهورية المحافظة .. ولم يكن هؤلاء السناتورز ليستطيعوا أن يفهموا لماذا بحق السماء يحرمون من الأموال لمشاريع ولاياتهم .. ثم يذهب جانب ضخم من الأموال الأمريكية لبناء سد فى بلد بعيد يزرع القطن المنافس لما تنتجه ولاياتهم ..

كان كثير من هؤلاء المعارضين من ولايات منتجة للقطن فى أمريكا .. وكان هناك هذا النوع من المعارضة .. وكان واضحا جليا أن الإدارة ستواجه صعوبة فائقة فى تمرير اقتراح دعم مشروع السد العالى ..

ثم جاءت بعد ذلك أحداث عديدة أدت فى النهاية إلى انقلاب دالاس ضد المشروع .. من بين هذه الأحداث كان اعتراف مصر بالصين الشعبية .. كانت

هذه الضربة تعنى بالنسبة لدالاس نوع من الاذلال والتجاهل لمشاكله السياسية ..

هنا كان هو يصارع معارضيه لتسوية الأمور من أجل مصر لتبنى سدها .. وها هو رئيس مصر يتصرف هكذا فيضيف شريحة جديدة من أعضاء الكونجرس إلى صف المعارضة .. فلم يكن خافيا أن هناك جانبا كبيرا من أعضاء الكونجرس فى صف شيان كاى شيك وكانوا ضد أى عمل من أى نوع مع الصين الشعبية ..

كذلك كان هناك شىء آخر .. كان جون فوستر دالاس يعيد تقييم ما يجرى داخل الاتحاد السوفيتى .. الذى كان يتطور بسرعة .. كان ستالين قد مات .. وأصبح خروشتشيف وبولجانين هم الحكام الجدد .. وكان الاتحاد السوفيتى قد بدأ وللمرة الأولى أن يعطى اهتماما لتقديم المساعدات الاقتصادية للشعوب خارجه ..

وكانت نظرة دالاس للمشكلة أنه إذا ما أصبحت القوتين الأعظم تزاولان عمليات تقديم المساعدات الاقتصادية فما الذى يمنع قوى العالم الثالث من أن تضرب إحدى القوتين بالأخرى وتلعب على كليهما فى سبيل الفوز بمغنم أكبر..

ولقد قرر دالاس أن يجعل العرض المقدم لمشروع بناء السد العالى بمثابة خطوة استطلاعية .. وفى مرحلة مبكرة من الاجراءات .. أوضح بجلاء تام .. أن أمريكا لن تقبل المزايدة فى مثل هذا المزاد العلنى العالمى ..

وكانت وجهة نظر دالاس أنه إذا ما سحب العرض فإن مصر ربما لجأت إلى الاتحاد السوفيتى وهنا سيحدث واحد من أمرين : فإما أن يتراجع الاتحاد السوفيتى عن التورط فى هذا المشروع وفى هذه الحالة سيفقد الاتحاد السوفيتى الكثير من مكانته وهيبته .. وإما أن يتورط الاتحاد السوفيتى فى المشروع وعندئذ سيجد نفسه قد غرق إلى أذنيه فى مستنقع من المشاكل والمتاعب المتعلقة بالتعامل مع الشرق الأوسط إلى جانب مشاكل ومتاعب آليات ومتطلبات هذا المشروع الضخم .. وتصور دالاس بهذا .. أنه هو الرابح فى الحالتين .. سواء تملص

السوفييت من المشروع أو تورطوا فيه .. ومن ثم فقد أراد أن ينتصر على السوفييت بهذه اللعبة .. وبالفعل سحب عرضه بتمويل السد العالى عامدا متعمدا بهذه الطريقة الفجة الباردة .. المهينة .. وهو لم يقصد أن يتعمد الإهانة .. ولكن تصرفه بدا فى مصر مهينا ..

وكانت النتيجة بالطبع .. الأمر الذى لم تتوقعه واشنطن على الاطلاق .. هى تأميم شركة قناة السويس ..

والآن ننتقل إلى رد فعل بريطانيا .. والذى أصبح اليوم غاية فى الوضوح فى الأوراق والوثائق التى كشف عنها روبرت جيمس فى كتابه «حياة انتونى إيدن» حيث قال إن مجلس الوزراء البريطانى قد اجتمع لدراسة الاقتراح الأمريكى لعقد مؤتمر للقوى البحرية .. وقد قرر المجلس قبول هذا الاقتراح ولكن على أساس أن تتقدم فيه بريطانيا بمجموعة من المطالب .. تكون بمثابة إنذار نهائى بأن هذه المطالب إما أن يقبلها جميعها الاتحاد السوفيتى .. أو يرفضها .. وأنه لن يكون هناك أى مناقشة .. أو تباحث بشأن هذه المطالب .. وكان التوقع فى المجلس أن استخدام القوة وارد .. كان هذا واضحا وواردا حقيقة منذ الدقيقة الأولى التى بدأ مجلس الوزراء البريطانى يستعرض فيها أزمة السويس ..

كان هارولد ماكميلان الذى كان وزيرا للخزانة وأصبح وقتها وزيرا للخارجية وبعد ذلك بقليل أصبح رئيسا للوزراء بعد إيدن ..

كان هارولد مكميلان منذ البداية يدعو إلى استخدام إسرائيل ضد مصر .. ولكن هذا الاقتراح رفضه إيدن بشدة وحزم فى ذلك اليوم بالذات وهو الثالث من أغسطس ١٩٥٦ ..

تعرفون طبعا أمر مهمة منزيس وعملية التفاوض التى جرت من بعد فى نفس الوقت كان واضحا أن ايزنهاور منذ البداية كان معارضا تماما لاستخدام القوة فى هذه القضية .. أما دالاس الذى كانت قد تجمعت عنده الأسباب للنفور من

الرئيس ناصر .. لم يكن أبدا معارضا لأية إجراءات تؤدى إلى التخلص منه .. ولكنه كان على يقين من أن رئيسه ايزنهاور لن يؤيد استخدام القوة .. ومن ثم كان كل ما فعله هو أنه حاول أن يكسب الوقت وأن يورط البريطانيين والفرنسيين الذين كانوا «يطفحون الدم مع الدبلوماسية» واستمر على طريقته هذه ..

فرنسا وإسرائيل

كان الفرنسيون يرون أن البريطانيين قد أصبحوا بلا حيلة وقد وقعوا فى شراك متاهات الدبلوماسيين مؤتمرات ومباحثات وأفكار .. لذلك اتجه الفرنسيون إلى إسرائيل ..

كان العامل الأساسى والفعال فى العلاقات بين فرنسا وإسرائيل هو بالطبع قضية الجزائر التى خلقت بينهما مصالح مشتركة .. ولكن من المهم أيضا أن نتذكر أن هذه الحكومة الفرنسية بالذات كان يسيطر عليها عناصر كانت بارزة فى حركة المقاومة الفرنسية لألمانيا أثناء الحرب العالمية الثانية وكان أغلبهم شبابا فى ذلك الوقت .. ومن ثم لم يكن هناك أدنى شك أنه ما أن بدأ الفرنسيون فى الاتصال بالإسرائيليين حتى تحركت عوامل نفسية عميقة بين الجانبين جعلت التفاهم بينهما تلقائيا وأحس كل منهما تجاه الآخر بألفة وأمان .. كان بروجيس مانورى هو الذى قام بالمبادرة الأولى فى هذه الاتصالات .. كان وقتها وزيرا للدفاع وأصبح بعد ذلك رئيسا للوزارة ..

بروجيس مانورى كان واحدا من العناصر القيادية للمقاومة الفرنسية ضد الألمان ..

أخذ الفرنسيون يستفسرون من الإسرائيليين عن عدة أمور ..

كم من الوقت يلزمكم إذا ما هاجمتم سيناء .. وكم تستغرقون من الوقت لبلوغ قناة السويس .. وكان رد الإسرائيليين أنه يلزمهم ستة أو سبعة أيام ..

وكانت هذه مفاجأة للفرنسيين الذين قال لهم الخبراء .. إن تلك العملية تستغرق ثلاثة أو أربعة أسابيع .. ولكن الإسرائيليين أصروا على تقديرهم .. ودارت مباحثات عسكرية بين الفرنسيين والإسرائيليين .. شارك فيها الجنرال ديان .. والذى تعرفون أنه إلى جانب أنه عسكرى فإنه على درجة عالية من الثقافة والفكر .. وسرعان ما كان له تأثيره على الجانب الفرنسى واستطاع اقناعهم بأن فى إمكانه أن يقوم بالعملية ..

اجتماع التواطؤ

وسأعبر نتائج هذه المرحلة لأنكم تعرفونها وأصل إلى اجتماع التواطؤ الذى كان بالطبع موضع استغراب شديد سواء فى بريطانيا أو فى غيرها ..

كانت هناك طائرة أمريكية قدمها الأمريكيون إلى الجنرال ديجول كهدية .. فأرسلها الفرنسيون لاستحضار بن جوريون من إسرائيل ليحضر اجتماع «سيفر» وهى إحدى ضواحى باريس .. وعقد فيها الاجتماع تحت قيود من السرية عالية ..

حضر بن جوريون إلى الاجتماع وهو مبهور إذ يشعر أنه لأول مرة تعامل إسرائيل معاملة الند فى لقاء دولى وأراد أن يبدأ الاجتماع باستعراض رئيسى للحدود الاقليمية فى الشرق الأوسط .. ومن أجل هذا قدم عدة اقتراحات كان من بينها تقسيم لبنان لإقامة دولة مسيحية فيها .. وأشياء أخرى من هذا القبيل .. كتقسيم الأردن أيضا بين العراق وإسرائيل وهلم جرا ..

وهنا تدخل بروجيس مانورى وقال «إنه لا الوقت مناسب ولا المكان مناسب لمناقشة مثل هذه الأمور .. فإذا أردت أن تشارك فى هذه العملية إذن علينا أن نتدارس جوانبها .. ولا نستطيع الآن أن نتناول مثل هذه الأمور الجغرافية» .

وعلى الرغم من أن البعض قد أضفوا أهمية كبيرة على دور بن جوريون فى أنه هو الذى دفع قدما هذه الخطة الكبيرة ولكن الحقيقة أنه لم يسمع منه شىء جديد خلال مناقشة باقى جوانب الخطة ..

ولكن العبء الأكبر..

هنا أود أن أقول إنه رغم أن هذا المؤتمر فى حد ذاته كان مؤتمرا بين أطراف ثلاثة .. إلا أن الحقيقة أن طبيعة العلاقات بين المجتمعين كانت متباينة ..

كانت العلاقات بين إسرائيل وفرنسا فى هذا الوقت قد أحرزت بالفعل تقدما جوهريا على أساس أن فرنسا قد استمرت فى توريد السلاح لإسرائيل فى الوقت الذى عزفت فيه باقى الدول الأوربية عن مدها بالسلاح ثم إلى جانب هذا يضاف هذا التجاوب النفسى والتقارب الذى نما بين رجال المقاومة الفرنسية ضد النازى وبين الإسرائيليين..

أما العلاقات بين إسرائيل وبريطانيا فكانت دون ذلك بكثير.. بل إنه فى حقيقة الأمر فإن بريطانيا قبل أسابيع من هذا اللقاء كانت قد وصلت إلى حافة الحرب مع إسرائيل ..

ومن المثير للدهشة والاستغراب أنه عندما يتفحص المرء أوراق لجنة هيئة أركان حرب العمليات البريطانية فى السنتين السابقتين على عام ٥٨ أن يرى كم من الوقت استغرقته هذه الهيئة فى دراسة كيف تشن بريطانيا الحرب على إسرائيل بسبب التزام بريطانيا بالمعاهدة البريطانية الأردنية من ناحية وبسبب سياسة إسرائيل فى تكثيف غاراتها الانتقامية ضد الأردن وخلق مشاكل مع الأردن على الحدود .. الأمر الذى بدا أنه يشكل خطرا حقيقيا ومهددا إلى درجة أن البعض كان يساوره الجزع من أن بريطانيا سرعان ما تضطر إلى التورط فى حرب ضد إسرائيل ..

ومن هنا يمكن أن يقال إن العلاقات بين بريطانيا وإسرائيل فى ذلك الوقت

لا يمكن أبدا أن تكون وثيقة .. هذا إلى جانب أن بن جوريون لم يكن .. على أقل تقدير .. يرى فى إيدن السياسى البريطانى المقبول إلى نفسه .. كان بن جوريون يحمل عليه أنه هو الذى دفع إلى تأسيس الجامعة العربية .. بل إن بن جوريون فى خطاب له فى نوفمبر ١٩٥٥ قد وصف إيدن بأنه يشجع على مطالبة إسرائيل بتقديم تنازلات أرضية لتعديل حدودها مع العرب .. بل إنه طالب إسرائيل علنا بذلك فى إحدى خطبه .. وعلى أية حال فإن أقل ما يمكن أن يقال هو أن بن جوريون كان يرى أن إيدن هو آخر السياسيين البريطانيين الذى يمكن الميل إليهم ..

ولذلك يمكن القول باطمئنان إن الفرنسيين فى اجتماع سيفر قد بذلوا جهدا كبيرا فى اقناع الإسرائيليين بأنه يمكنهم الثقة فى البريطانيين .. وأنه لا يمكن للفرنسيين أن يقوموا بهذه العملية دون أن تشترك فيها بريطانيا .. وأن الإسرائيليين إذا لم يكونوا مستعدين أن يضعوا قدرا من ثقتهم فى بريطانيا فإنه عليهم أن ينفضوا أيديهم من الأمر كله .. ومن ثم فإن على الإسرائيليين أن يخففوا من غلواء مطالبهم وشروطهم وأن يجعلوها فى حدود المعقول ..

كان سلوين لويد حاضرا فى اجتماع سيفر .. وهناك كثير من التفاصيل عن طريقة حضوره وكيف أنه وضع شاربا مستعارا وهو فى طريقه إلى الاجتماع لكى يخفى شخصيته متنكرا .. وقد عرضت تفاصيل الترتيبات التى توصلوا إليها فى الاجتماع على مجلس الوزراء البريطانى الذى اجتمع عدة مرات فى الأسبوع التالى لاجتماع سيفر .. وقد استخدم إيدن نفسه كلمة «ذريعة» فى وصفه لسيناريو العملية .. وقال «إننا لن نجد ذريعة أفضل من هذه لتسوية أمورنا نهائيا مع ناصر» .. ومن المناقشات التى دارت فى المجلس لم يكن هناك أدنى شك على الاطلاق فى أن الإطاحة بالرئيس ناصر كانت الهدف الرئيسى والأساسى للعملية كلها .. إلى درجة أن سلوين لويد قال أمام المجلس ـ وقد قال نفس الشىء فى اجتماع سيفر ـ إنه رغم ما أمكننا القيام به فى مفاوضاتنا بنيويورك تحت رعاية داج همرشولد بوصفه السكرتير العام للأمم المتحدة .. فإن لقاءنا بوزراء الخارجية

وبوصولنا إلى المبادئ الستة التى تم الاتفاق عليها بين هؤلاء الوزراء .. فإنه من الممكن أن نصل إلى اتفاق بخصوص قناة السويس ولكن العيب الوحيد أن هذا الاتفاق لن يوفر الاطاحة بالرئيس ناصر ..

وأخيرا قرر المجلس فى النهاية المضى قدما فى تنفيذ العملية .. بالطريقة التى تعرفونها جميعا .. ولكن المجلس لم يحط علما باجتماع سيفر .. ولم يعرفوا أن سلوين لويد كان حاضرا مع بن جوريون ..

كل ما أحيطوا به علما هو أنه أصبح من الواضح أن إسرائيل ستقوم بهجوم على مصر .. وقال إيدن فى هذا الاجتماع : إنه من المحتمل أن نتهم جميعا بالتواطؤ .. وكان إيدن نفسه هو أول من نطق بكلمة «تواطؤ» فى هذه المناقشات ثم أردف بعد ذلك بملاحظة أرى أنها كانت بارعة فقد قال : «وعلى أية حال فإننا سنتهم بالتواطؤ لأن مجلسنا قد أعلن خلال قراراتنا السابقة أننا مستعدون لاستخدام القوة من أجل الموضوع الرئيسى لهذه المشكلة وهو من الذى سيدير ويشرف على قناة السويس .. وإذا ما نحن تدخلنا وفق هذا السيناريو فإن إسرائيل ستتدخل حتما لتستغل هزيمة مصر فى الحصول على مكاسب لها وأن تستولى على أجزاء من أرض سيناء .. وهكذا فإن من المحتمل أنه كنتيجة للأحداث التى تعقب تحقيق الهدف الأساسى من تدخلنا لإقرار تأمين وإعادة ترتيب عملية إدارة قناة السويس .. فإن ذلك سوف يؤدى إلى توجيه تهمة التواطؤ لنا .. وهكذا ترون أن اتهام التواطؤ سيوجه إلينا مهما عملنا .. ولكن سيكون الموقف أفضل بالنسبة لنا لندفع عن أنفسنا هذه التهمة إذا ماكنا نتدخل كمحايدين للفصل بين قوتين متنازعتين ..

وهكذا .. وعلى أساس هذا التوضيح .. وافق مجلس الوزراء البريطانى على تأييد العملية ..

وشكـــرا ، ،

الأستاذ أحمد حمروش : نشكر السادة الضيوف الأعزاء الذين وفدوا من دول أجنبية وتجشموا مشقة السفر .. نشكرهم على أن لهم كلمات سوف تثرى هذه الجلسة الختامية ..

قبل أن يبدأوا فى الحديث الأستاذ محمد حسنين هيكل له تعقيب سريع على الكلمة التى قيلت الآن ..

الأستاذ هيكل : الحق أنى لم أكن أريد المغالاة فى التدخل .. ولكن من المفروض أننا فى هذه الندوة ، وفى هذه الجلسة الأخيرة ، نخرج وقد تمثلنا جميعا صورة قريبة مما حدث ..

إن صديقنا العزيز كيث كايل أفضى بسرعة بأمور كثيرة جدا ، وبعضها يستحق التوقف ، ولكن هناك وراء جميع هذه الأمور خلفيات ، لذلك طلبت الكلمة لإيضاح بعض الخلفيات ، من أجل أن توضع فى مواقعها على وجه الدقة ..

إنه حينما تحدث مثلا عن مجموعة «ألفا» وقال راسل ، فإن هذا الكلام قد لا يبدو مفهوما لأول وهلة .. على الأقل لبعض إخواننا ، خصوصا الشباب .. وعفوا فأنا أتحدث كثيرا جدا عن الشباب ..

ماذا حدث ؟ .. تماما كما قال هو أنه فى أول مجىء إيزنهاور ، كانت الفكرة العامة ، أن قضايا أوربا بشكل أو بآخر قد سويت على الأقل ، أو فى طريقها للتسوية فى أوربا الغربية ، وحلف الأطلنطى والحدود ، وبدأت تبقى مناطق العمل واضحة إلى حد ما ..

الشرق الأوسط كانت نقطة مفتوحة تماما .. وهم حريصون عليها بالأهمية المتزايدة طبعا للطاقة .. وبأهمية الموقع الاستراتيجى إلى آخره .. فى هذا الوقت

ايزنهاور ألف مجموعة فى البيت الأبيض أطلق عليها «مجموعة ألفا» رأسها الذى قال عنه إن اسمه راسل.

مجموعة «ألفا» تألفت بعدها مجموعه اسمها «مجموعة أوميجا» .. ومجموعة راسل الأولى كان هدفها أن تعمل بالتنسيق مع الحلفاء على تحقيق تسوية فى الشرق الأوسط .. أما مجموعة أوميجا فقد أنشئت فيما بعد ، وكان رئيسها ريموند هير الذى كان بعد ذلك سفيرا عندنا ، وكان هدفها تسوية الأوضاع بوسائل أخرى .. وطالما لم تنجح عملية الوصول إلى تسوية فإنه يبقى الدخول فى عمليات أخرى ..

سوف أبدأ بعملية ألفا : عملية ألفا وضعت تصور .. هم تصوروا .. وكان التصور بالغ الدقة ، وهو أن المشكلة الفلسطينية هى أساس كل الأزمة فى الشرق الأوسط .. وبالتالى لابد من تحقيق صلح بين العرب وإسرائيل .. المجموعة ألفا .. أول عمل من عملها أنها اقترحت .. أنكم تذكرون اللى اسمه Joluston Plan التى هى مشروع توزيع مياه الأردن ..

حينما جاءت هذه المجموعة أو حين بدأت تشتغل .. بدت تشتغل باعتبار - وقد كان هذا بعد الثورة لو تفتكروا ثورة ٢٣ يوليو ٥٢ .. ايزنهاور انتخب فى نوفمبر ٥٢ .. تولى الرياسة فى ٢٠ يناير ٥٣ .. أنه حينما جاء كانوا بدأوا يعملوها .. كان فيه اتصالات مع مصر .. من الأول ..

موضوع الـ CIA موضوع الحقيقة يستحق أن يقال فيه كلام بوضوح .. لأن المنطقة خرجت من الحرب العالمية الثانية والسيطرة فيها بريطانية .. وأمريكا تحاول أن ترث ، ولكنها لا تريد أن تبدو على السطح على أنها طرف وارث بهذا الشكل .. وبالتالى فهى تستخدم أساليب خفية للاتصال ، ومن هنا بدأ قدوم أوائل المبعوثين إلى هنا ..

ومن قبل الثورة كان هناك كيرميت روزفلت وآخرون ..

كيرميت روزفلت كان موجودا فى محطة فى مصر .. مقره ببيروت وقد أصدر

وقتها كتابا وكان كتابا ناجحا إلى حد بعيد ، وهو بدأ يجرى اتصالات ، وجاء إلى مصر قبل الثورة ، وقابل الملك فاروق عدة مرات وقابل عددا كبيرا من الزعماء ، وقابل سراج الدين .. وقابل أناسا كثيرين جدا فى مصر ..

وفيما بعد الثورة ، استطرد كيرميت روزفلت فى عمله . وبدأت الولايات المتحدة الأمريكية تتصور أن جمال عبد الناصر شأنه شأن غيره من العسكريين الشبان .. المغامرين الذين يصلون للاستيلاء على السلطة ، وأن من الممكن استخدامه فى هذا المشروع ..

كل هذا كان غائبا لكن ..

وحينما حضر كيرميت روزفلت إلى هنا ، واستطرد نشاطه .. بدأ يتضح لجمال عبد الناصر أن هناك تناقضا أمريكيا إنجليزيا ..

كان له أسلوبه فى العمل ، وهناك الكثيرون ممن يشهدون على ذلك الأسلوب .. إذ كانت لديه طريقة تقسيم المسائل ، بمعنى أنه إذ يعالج مسألة لا يتطرق منها إلى غيرها .. ينجز واحدة ، ثم يدخل فى واحدة أخرى ..

فالانجليز ــ على سبيل المثال ــ حينما رغبوا فى ربط الدفاع عن الشرق الأوسط بالجلاء .. كان رافضا ، إذ قال : لا .. أنا أبحث موضوع الجلاء ، وعندما ننتهى منه إلى نتيجة ، أتكلم فى موضوع الدفاع عن الشرق الأوسط ..

كانت هناك محاولة لربط مشروع الشرق الأوسط بالصلح مع إسرائيل .. ولكنه كان يقول « لا أنا لا أتكلم فى موضوع إسرائيل .. أنجز موضوع الجلاء عن مصر .. ثم أتكلم عن الشرق الأوسط .. وحينما ننجز موضوع الدفاع عن الشرق الأوسط أتكلم فى موضوع إسرائيل .. إلى آخره ..

كان ينتهج سياسة ثابتة حريصة على عدم اختلاطها ببعضها وكل الاتصالات مع أمريكا كانت موجودة .. تحدث وتتكثف باستغلال التناقض البريطانى الأمريكى فى هذا الوقت بين امبراطورية ذاهبة .. وبين قوة جديدة صاعدة ..

وفى اعتقادى أن هذه السياسة أدت إلى نتائج كبيرة جدا .. والذى يقرأ المحادثات والمراسلات الموجودة فى هذا الوقت بين واشنطن ولندن يرى إلى أى مدى كان هناك ضيق شديد جدا من جانب الانجليز ، سواء فى السفارة البريطانية ، أو النشاط الذى يقوم به كيرميت روزفلت ..

إنهم كانوا على أى حال يتصورون أن جمال عبدالناصر ، خاصة وقد تزايدت شعبيته ، هو الذى يقدر على أن يقود العالم العربى إلى صلح مع إسرائيل ..

هذا التصور لدى الأمريكان بدأ يلاقى عدة صدمات ـ أنا لا أريد أن أطيل ـ حيث أنى باختصار .. أعرف أن هناك كثيرين ، سوف يتكلمون ، ونحن نريد جعل هذه الجلسة ثرية فعلا ، لكى تكون الصورة كاملة ، ومن أجل ذلك لا أريد احتكار الحديث ..

هناك ثلاثة أو أربعة أمور بدأت تصدم الأمريكان .. هم أنهم ساعدوا كثيرا على عقد اتفاقية الجلاء .. قوى .. وقاموا حسب اعتقادى بدور توضح الوثائق كلها أنه كان دورا رئيسيا فى الضغط على الانجليز لكى يخرجوا ـ لكن كانت هناك عدة أمور تثير قلقهم ..

أول صدمة كانت .. كانت باندونج .. التى كانت صدمة للسياسة الأمريكية بما فيها خطط مجموعة ألفا ، وقد تمثلت فى ذهاب جمال عبدالناصر إلى باندونج ، ومقابلته لشوان‌لاى ..

الأمر الثانى .. كان صفقة السلاح التى قلبت موازين القوى فى المنطقة فعلا كما قال الأخ هويدى أمس ..

مهمة أندرسون

والأمر الثالث .. كان فشل مهمة أندرسون ، وهذه مسألة هامة جدا ، لأن مهمة أندرسون كانت فى أعقاب ما راح الرئيس الأمريكى يردده لكل المبعوثين

القادمين والرائحين إلى المنطقة عن عدم جدوى نشاطهم حيث الطرف الآخر يسخر منهم .. ومن ثم قال إننا فى مرة واحدة وإلى الأبد نريد وضع جمال عبد الناصر على المحك .. تقولون لنا إن نواياه طيبة نحو الغرب ، ونحن نرى تصرفات ذهابه إلى باندونج وصفقة السلاح .. هذا كلام غير معقول ..

وبالتالى بعث الرئيس الأمريكى بجون أندرسون على الفور .. حيث إنه بالضبط كما قال كيث كايل إن موضوع السد العالى قد تحمس له إيدن لأنه كان رغبة منه فى اللحاق بسير الأمور لاسترداد مصر إلى الحظيرة واستبقاء لنفوذهم ..

لقد أوفد ايزنهاور أندرسون ، وطلب منه إبلاغ عبد الناصر بأن عليه أن يختار موقعه فهذا الورق الموجود للصلح مع إسرائيل .. وهذا مشروع معاهدة .. وهذا مشروع إعلان مبادئ .. وهذا مشروع خطاب ترسل به للبنك الدولى ..

كان طبيعيا أن تعثرت المباحثات .. وطبعا رفض جمال عبد الناصر أنه يوقع على أى شىء ، وكان أن رأينا السياسة البريطانية بدأت تأخذ نحوا جديدا بعد سقوط جلوب فى الأردن .. إذ راح الإنجليز يتنبهو لما قالوه عن السد العالى ومحاولة اللحاق بسير الأمور قبل أن تقع مصر .. ثم بدأوا يغيروا وجهة نظرهم فى هذا الشأن .. وبدأ الأمر ينتقل من إيدن ومن الساسة ــ فى اعتقادى ــ إلى الـ M16 وإلى SIS وبدأ يتولى الموضوع واحد مثل سينكلر ، وواحد مثل أخينا المجنون يونج ، لأن كلامه فى المحاضر يوضح أنه فقد عقله .. حتى البرقية التى يتحدث عنها كيث كايل ، واللى أرسلت من لندن إلى واشنطن ، تدل على أنه فعلا خارج عن وعيه ..

جاء أندرسون إلى مصر .. ورفض جمال عبد الناصر كل ما جاء به .. ليس هذا فقط .. ذلك أنه فى الوقت الذى كانوا يجرون فيه إعادة تفكير .. فيما كان لديهم من أفكار .. وأحلام .. وتصور .. رفضه جمال عبد الناصر فى النهاية فى مواجهة واضحة ..

وقد حدث خلال الفترة التى كانوا يجرون فيها إعادة تقدير موقف حدث

تطوران أو حدث تطور مهم جدا .. وهو الاعتراف بالصين الشعبية .. وكانت هذه هى القشة التى قصمت ظهر البعير..

انتقل الموضوع عندئذ ـ سواء فى لندن أو فى واشنطن ـ من مجال العمل السياسى إلى مجال عمل المخابرات .. حيث نجد اجتماعات المخابرات وقد بدأت تعقد فى لندن وبطريقة مكثفة .. كلها أو بعضها فى لوكاندة اسمها لوكاندة كونوت .. ويحضرها ممثلون من مخابرات هنا ومخابرات هنا ..

وماذا كان يحدث ؟ ! ..

دخل صديقنا يونج يقول «إن جمال عبد الناصر واضح أمامكم جميعا» أنه يقول «إنه يريد سيطرة على العالم العربى ، وأنه لن يعقد صلحا مع إسرائيل .. فإذا كان يريد يوحد العرب وأن يقيم إمبراطورية عربية جديدة .. لن يعقد صلحا مع إسرائيل .. فإنه سوف يعتمد إذن على الاتحاد السوفيتى .. وليس لديه حل آخر .. وإذن لابد من ضربه ومواجهته بالأساليب القديمة بهذه الطريقة .. لقد فعلتم ما فعلتم ومارستم ضغوطكم إلى آخره .. ثم يجىء مندوب الصحيفة الذى بعث بالبرقية الموجودة هذه ـ وهى على فكرة فى الأهرام ـ بعد ٣ أو ٤ أيام .. يقول إنه هو فزع حينما سمع ممثل المخابرات الانجليزية يتحدث . إن المندوب يقول .. لقد جرت العادة حينما تتحدث المخابرات عن أنها تريد الخلاص من أحد ، أن تستخدم .. تعبيرات مهذبة ، بمعنى أن تقول تصفيته .. إزاحته .. لكن هذا الراجل كان داخلا يتحدث عن القتل .. حتى أن ممثلى المخابرات الأمريكية أصابهم الفزع كانت أول مرة فى اجتماعات المخابرات تستعمل كلمة القتل .. اقتله ..

فى هذا الوقت قامت أمريكا من جانبها بتأليف مجموعة أوميجا بصدد الموضوع .. ولم يبق حديث عن عقد صلح .. وإنما بقى موضوع أوميجا هو الخلاص من عبد الناصر .. لكن كان فيه خلاف على الوسائل .. فبينما كان التفكير الإنجليزى يحوم حول عملية القتل وعملية الضرب وعملية الغزو .. خاصة

حين ثارت موضوعات الحملة المتبادلة الفظيعة التى أعقبت سقوط جلوب .. فسار الإنجليز فى موضوع المواجهة العسكرية والقتل وما إلى ذلك من أمور .. أما الأمريكان فقد بدأوا يجرون تصورا آخر .. يقوم على أخذ الملك سعود أولا من جمال عبد الناصر .. لأنهم كانوا بيتصوروا الحلف الشرير الموجود فى الشرق الأوسط والذى يفسد كل مخططات الغرب .. هو جمال عبد الناصر ـ ومصر طبعا ـ وسوريا والفوران الذى فيها المستمر والدائم .. والتمويل السعودى .. وكان أول اتجاه إلى أخذ التمويل وإبعاده .. ثم إحداث انقلاب فى سوريا .. وقد بحثوا موضوع الانقلاب فى مصر ، وراح كيرميت روزفلت ثم عاد ليقول آسفا أنه هو الذى أجرى تجربة إيران .. لكن ما حدث فى إيران غير قابل للتكرار فى مصر لأن جمال عبد الناصر شخصية قوية جدا فى مصر . ولديه سيطرة كاملة على القوات المسلحة .. ولا وجود لأحد من أمثال زاهدى .. ولا وجود لما كان يتحدث به إلينا سير انتونى .. إذ ليس هناك أحد مثل زاهدى ولا وجود لجيش على استعداد لما يريد ، ولا وجود لزعامات بديلة ، إلى آخره .. هذا هو موضوع مصر .. أنا الذى قمت بتجربة إيران .. وما حدث فى طهران غير قابل للتكرار فى القاهرة .. ومن هنا بدأت السياسة الأمريكية تتصور : أخذ الملك سعود . إحداث انقلاب فى سوريا ، إبقاء مصر وحدها .. وطبقا لتعبير ايزنهاور فإنه لو ظل على هذا النحو ، وقد أخذت منه السعودية ، وأخذت منه سوريا بالانقلاب ، فإنه سوف يسقط إذا ما دفعه أحد ..

لقد وددت الإدلاء بهذا العرض ، حتى يبقى ما سمعناه من كلام فى حدوده .. وأنا آسف إذا كنت قد أطلت .. ورجائى أن يأخذ السير انتونى ناتنج الكلمة ..

الأستاذ أحمد حمروش : شكرا للأستاذ هيكل والكلمة الآن لصاحب السعادة السير أنتونى ناتنج .

الجلسة الخامسة والأخيرة
القسم الثانى :

بعـــد الحـــوار ..
نتائج وتوقعات

شارك فيها :
مايكل فوت ـ انتونى ناتنج ـ ستيفن جرين ـ ديمتشنكو ـ
كلود جوليان ـ أحمد حمروش

ـ بعد ثلاثين عاما وبسبب تولى أمريكا توحيد الأمور فى الشرق الأوسط فإن النظرة العامة إلى تحقيق السلام تبدو مليئة بالغيوم .

ـ علينا جميعا الالتزام المطلق بالعمل نحو استعادة الاحترام الكامل واللائق لميثاق الأمم المتحدة

« فوت »

ـ إن مالم نتعلمه من أزمة السويس هو أننا اعتمدنا على الولايات المتحدة كى تتدخل وتصلح الأمور . ولكن هذه الأيام التى كان فيها تدخل الولايات المتحدة يصلح الأمور أيام مضت بغير رجعة .

« جرين »

ـ شكرا للسيد حمروش لدعوته لى لزيارة القاهرة وللجنة المصرية للتضامن الأفريقى الآسيوى وقد كانت الندوة مفيدة للغاية فقد فتحت صفحة جديدة فى مناقشات صريحة ومفتوحة حول عدد من القضايا المحلية والدولية .

ـ مشكلة عالمنا الرئيسية هى فى الثقافات والحضارات المختلفة وكيف يتم اللقاء بينها على شكل حوار وليس على شكل صدام

« جوليان »

ـ نحن نخرج من هذه الندوة أكثر اقترابا وأعمق فهما وأشد حرصا على ألا تضيع خطوات الماضى هباء لاتنفعنا فى حاضرنا ومستقبلنا .

« حمروش »

درس السويس الأساسى

سير أنتونى ناتنج : سيدى الرئيس ..

هناك الكثير الذى أود أن أقوله ولكن ذلك سيأخذ وقتا طويلا .. ولذلك سأحاول أن اختصر فى هذه الكلمة التى أنهى بها دورى فى هذه الندوة ..

فى اعتقادى أننا قد حققنا مناقشات عالية المستوى فى ندوتنا هذه .. فقط أود أن أرد على المتحدث الذى انتقد هذه الندوة وقال إنها مثل باقى الندوات .. مجرد كلام ومضيعة للوقت ..

أنا لا أتفق مع هذا الرأى .. لقد حضرت العديد من الندوات فى حياتى والتى كانت بالفعل مضيعة للوقت .. ولكننى لا أعتقد أن هذا الوصف ينطبق على هذه الندوة .. لأننى أعتقد أننا تعلمنا الكثير منها .. أنا شخصيا تعلمت منها شيئا ..

إننا لم نحضر إلى هنا لكى يحاول كل منا أن يغير مواقف الآخرين .. وإنما نحن منذ البداية نقف نفس الموقف .. وننتمى إلى نفس الرأى .. ولقد حضرنا إلى هنا لكى نستخلص من الماضى دروسه وعبره .. وأن تلتقى فى هذه القاعة أصواتا من مختلف الدول فى مجموعة دولية .. مع الأصدقاء المصريين الأعزاء .. لكى نستطيع أن نصل إلى فهم مشترك حول مايمكن أن يعنيه لمصر هذا الخط الفاصل الذى أحدثته فى التاريخ قضية السويس ..

وهنا أود أن أضم صوتى إلى صديقى القديم محمد سيد أحمد الذى أجمل الدرس الرئيسى للسويس فى كلمتين : الاستقلال .. والتضامن بين المتكافئين ..

وأنا أعتقد أنه إذا أمكن أن يحمل هذا الدرس فى جملة واحدة فإنى أقول إن الدرس الأساسى للسويس هو أن مصر تعلمت أنها يمكن أن تكون مستقلة .. وأن بريطانيا وفرنسا قد تعلمتا أنهما لم تستطيعا أن تكونا مستقلتين .. لأن العالم لم يعد محكوما بالاستقلال بصفة مطلقة لأن هناك عامل قوى هو التضامن بين المستقلين المتكافئين ..

استطاعت مصر أن تحارب وأن تنتصر فى صراع السويس لأن تضامنها مع العالم العربى وتعاطف شعوب العالم الخارجى معها بما فى ذلك الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى قد ساعدها على تحقيق النصر..

ولكن بريطانيا وفرنسا بالطبع ، بتصرفهما المنفرد ، وجدا نفسيهما منعزلتين فى الأمم المتحدة ، بل وعلى صعيد العالم كله .. وعندئذ وجدا أنهما لايستطيعان المضى فى فعلتهما ..

والشيء المحزن الوحيد .. كما أتصور وأعتقد .. فيما يتعلق بالسياسة البريطانية .. أنه فى أعقاب السويس فإنه يبدو أن بريطانيا قررت أن تأخذ موقفا سلبيا مطلقا فى الشرق الأوسط .. وأن تنضوى تحت العباءة الأمريكية .. وأن تؤيد كل حركة تصدر عن واشنطن أيا كان سوء هذه الحركة وأيا كان انحيازها .. وبالطبع فإن الانحياز دائما يكون إلى جانب إسرائيل ..

الاستثناء الوحيد لهذا الاتجاه كان « إعلان فينيسيا » التى كانت بريطانيا هى المحرك الرئيسى له وهى التى وضعت أساسه .. ولكن للأسف أنه حتى فى هذه المرة الوحيدة .. فإنه لم تحدث أية متابعة لإعلان فينيسيا هذا لتكون له فعالية .. وأصبح مجرد مخلفات تركت على مائدة الاجتماع بعد أن انفض .. ولم تقم بريطانيا .. أو أى من الدول الأوربية التى وقعته بأى جهد لوضعه موضع التنفيذ ..

ماهى سياسة بريطانيا فى الشرق الأوسط

ولقد تكلم كيث كايل عن سياسة بريطانيا فى الشرق الأوسط .. ولكننى أعتقد أنه يمكن القول على نحو ما .. أن بريطانيا ليس لها سياسة فى الشرق الأوسط .. وفى هذا الصدد أذكر أن اجتماعا عقد فى أوائل عام ١٩٥٦ ودعا إليه سلوين لويد السفراء البريطانيين فى الشرق الأوسط وفى هذا الاجتماع وقف واحد من وكلاء الوزارة البرلمانيين فى وزارة الخارجية وقال لوزير الخارجية سلوين لويد : ألا تظن ياسيدى أنه قد آن الأوان لأن يكون لنا سياسة فى الشرق الأوسط .. وكان رد فعل هذا السؤال صدمة خيم بها الصمت على الحاضرين .. وفجأة زمجر رجل من الحاضرين بصوت مسموع فإذا به جاك جارنر .. وكان وقتها سفيرا لبريطانيا فى دمشق .. وتكلم جاك جارنر هذا قائلا : « على قدر علمى وفهمى ياوزير الخارجية فإن آخر عهد كان لنا فيه سياسة للشرق الأوسط فى السنين المعاصرة .. كان ذلك عندما صدر وعد بلفور .. وأن ذلك لم يجدنا فتيلا .. » .

وأنا أعتقد أن السياسة البريطانية فى الشرق الأوسط لم تكن مترابطة ولا منطقية وأعتقد أن هذا كان بداية الخطأ بالنسبة لنا .. فقد كانت سياستنا مجرد ردود فعل للأحداث الفردية .. كان ذلك دائما حتى ولو عدنا إلى الماضى زمن الثورة العرابية فى الثمانينيات من القرن الماضى فنجد أن رد فعل بريطانيا كان قذف الإسكندرية بالقنابل ثم احتلال مصر بعد ذلك نهائيا .. وإذا رجعنا إلى رد فعل بريطانيا حيال حادثة دنشواى وما فعله كرومر.. ثم رد فعل اللورد اللنبى .. لحادث مقتل السردار السير لى ستاك .. وأوامره التعسفية لحكومة سعد زغلول باشا بإنهاء اشتراك مصر فى حكم السودان .. وكان هذا التصرف بمثابة رد فعل عفوى لحادث فردى .. وهكذا انتقلنا من رد فعل إلى آخر حتى وصلنا إلى مرحلة السويس ..

والآن وبعد أن تناولت فى حديثى السابق دوافع إيدن الذاتية من حملة

السويس .. فإننى أعتقد أنه لكى نفهم «السويس» فإنه يجب علينا أيضا أن نتذكر أنه كان فى بريطانيا نوع من الهوس استحوذ عليها سنين طويلة .. وربما قبل حفر القناة بل منذ مطلع القرن التاسع عشر عندما كانت السويس هى الطريق البرى إلى الهند .. وأعتقد أن هذا الهوس والاستحواذ قد تزايد واستمر حتى وصلنا إلى «سويس ٥٦» وذلك لأن قناة السويس أصبحت الطريق للإمدادات البترولية التى تحتاجها بريطانيا ..

ولعلكم تذكرون أن لورد بالمرستون قد عارض بشدة فكرة بناء قناة السويس عندما أثيرت هذه الفكرة فى القرن التاسع عشر .. كان بالمرستون وزيرا لخارجية بريطانيا فى هذا الوقت وكان الأساس فى اعتراضه أن بناء القناة سيتيح للفرنسيين دخول الشرق الأوسط .. وكان آخر عهد الفرنسيين بهذه المنطقة على يد نابليون والذى اضطررنا لإخراجه منها بقوة السلاح بتلك المعارك العنيفة فى أبى قير ومعركة النيل لذلك كان مزاج بالمرستون غير موات بالمرة لقبول فكرة تواجد فرنسى على الطريق الرئيسى لبريطانيا إلى الهند ..

ولقد قلب السماء على الأرض محاولا منع حفر قناة السويس .. إلى درجة أنه أرسل إلى ديليسبس ليقول له إنه لا يمكنه أن يفعل ذلك .. وحاول أن يثبت له بالوسائل العلمية .. أو بما ادعى أنه أسس علمية .. وأن مستوى المياه فى البحر الأبيض مرتفع عن مستواها فى البحر الأحمر .. وأن البحر الأبيض سوف يغيض إلى المحيط الهندى .. فضلا عن أن البحر الأحمر .. وأن القناة سوف تجف الماء منها .. ولكن ديليسبس حاول أن يثبت عكس هذه النظرة .. وطبعا كلنا نعلم أنه أفلح فى النهاية فى بناء القناة .. ولكن هوس السويس استمر عند بريطانيا .. وعندما تصاعد أوج ثورة عرابى عام ١٨٨٠ .. استشعرنا مرة أخرى التهديد للقناة .. ثم عملنا بعد ذلك على الحصول على سندات القناة التى لم نكن نملكها .. وأفلحنا فى النهاية أن نفلس الخديوى التعس إسماعيل .. وأفلحنا فى أن نضطره لبيع نصيبه فى القناة لنا بثمن بخس لا يتعدى أربعة ملايين من

الجنيهات .. وبالطبع كانت قيمة هذه الملايين تلك الأيام عالية .. ولكنها لم تكن أبدا ثمنا عادلا لما حصلنا عليه من سندات ..

من هذا نرى أنه من خلال تاريخنا الطويل كله منذ منتصف القرن التاسع عشر قد استحوذ علينا الهوس بقناة السويس .. الأمر الذى وصل فى النهاية بالطبع إلى أقصى ذروته فى ١٩٥٦ .. وهذا فى اعتقادى قد يفسر إلى حد ما مسلك بريطانيا حيال هذه الأمور .. وكان هذا هو خلفية موقفنا .. هذا بالطبع إلى جانب عوامل إضافية منها تلك الحرب الشخصية التى أعلنها إيدن ضد عبد الناصر ..

والآن .. سيداتى وسادتى .. ماهو الحال اليوم بعد ثلاثين عاما من تلك الأحداث ؟!..

إنه كنتيجة لتولى أمريكا توجيه الأمور فى الشرق الأوسط .. بعد ثلاثين عاما .. فإن النظرة العامة إلى تحقيق السلام تبدو ملبدة بالغيوم .. أكثر منها فى أى وقت مضى .. وأنا شخصيا لا أرى أن الزمن قد أصبح إلى جانبنا على الإطلاق ..

فها هى إسرائيل باحتلالها الضفة الغربية وقطاع غزة تحاول عن طريق الزحف التوسعى .. أن تستعمر نهائيا كل الأرض العربية فى فلسطين .. وإذا لم نكن حريصين بما فيه الكفاية فى المرحلة الحالية .. فإنه يبدو أنها مجرد مسألة عقد أو عقدين من .. الزمان يستحيل بعدها أن تسترد هذه الأراضى من إسرائيل ..

فالأمريكيون من جانبهم يرفضون البتة أن يمارسوا أى ضغط على إسرائيل .. ومن المؤكد أنهم لايطالبونها بالانسحاب .. بل إنهم حتى لايطالبونهم بعدم استعمار الأراضى التى احتلوها والتى يواصلون إقامة المستعمرات عليها ..

هذا فى الوقت الذى فيه الشعب الفلسطينى والمقاومة الفلسطينية يسلكون مسلكا براجماتيا .. يجعل تحقيق آمالهم أبعد من إمكانياتهم .. بينما حلفاؤهم

العرب منقسمون وتشغلهم قضايا فرعية إلى جانب انشغالهم بحرب الخليج .. وبالتدهور المزرى لأسعار البترول السعودى والخليجى ..

أما بالنسبة للأوربيين فليس لهم أى سياسة منطقية أو مترابطة ..

ومع هذا فما زال يساورنى الأمل فى أن تأتى حكومة جديدة فى بريطانيا ربما استطاعت أن تستعيد زمام المبادرة التى كانت لدى واضعى أسس إعلان فينيسيا وأن تعبئ دول أوربا لكى تحث الولايات المتحدة الأمريكية على تغيير سياستها المدمرة والمنحازة كلية إلى جانب إسرائيل ..

إن صديقى المحترم العزيز من اليمن الشمالية تكلم عن الفرقة فى العالم العربى .. ليكن فهذا أمر محزن حقا أن تسيطر الفرقة على العالم العربى فى الوقت الذى تسيطر فيه فرقة مماثلة على المجتمع الأوربى ..

لقد تكلم مايكل فوت بالأمس عن شخصية برلمانية خطيرة هى ادموند بيرك .. الذى قال فى إحدى المناسبات الهامة قولته الشهيرة :

« إنه عندما يتضامن الأشرار فإن على الأخيار أن يتضامنوا ويتحدوا وإلا فإنهم سيواجهون صراعا خسيسا يصبحون فيه ضحية فانية بلا رحمة »

فإذا استطاعت بريطانيا أن تنجح فى تعبئة الرأى العام الأوربى وأن تجعله يحمل على الأمريكيين فإننا عندئذ لانكون فقط قد محونا عارنا فى السويس ، ولا نكون فقط قد أنقذنا الفلسطينيين من أن يصبحوا الضحية المسفوكة بلا رحمة فى صراع خسيس ، وإنما نكون أيضا قد شاركنا قد ساهمنا فى إقرار سلام جزئى فى عالم مذعور وممزق ..

أشكركم ...

العودة إلى القانون الدولى

الأستاذ أحمد حمروش : شكرا للسير أنتونى ناتنج على كلمته القيمة والكلمة الآن للمستر مايكل فوت ..

المستر مايكل فوت : السيد الرئيس .. الأصدقاء الأعزاء ..

أؤكد لكم أننى سأوجز قدر طاقتى .. ولكنى أود أولا أن أضم صوتى للسير أنتونى ناتنج فى توجيه الشكر لكم مرة أخرى على دعوتنا لهذه الندوة .. وأنا اتفق مع السير انتونى ناتنج فى أن مناقشاتنا كانت مثمرة وكانت لها جدواها .. وإذا ماتجرأ أحد على سؤالى عندما أعود إلى لندن عما كنت أفعله هنا فى القاهرة فسأقول له إننى كنت أدافع عن حرية الكلمة وحرية التعبير وعن الديموقراطية .. وأنه لدى التفويض السامى عن التعليق الصريح الذى أدلى به الصديق محمد الصباحى والذى جاءت كلمته بمثابة استصراخ لنوع الحرية والديموقراطية التى نؤمن بها فى بريطانيا ..

إن أحسن الطرق للإيمان بالديموقراطية والحرية هو ممارستها بالفعل .. ومن ثم فإن هذا هو الهدف الذى كنا نسعى إلى تحقيقه هنا .. وأنا جد شديد الامتنان لأنكم جعلتمونى قادرا على أن أقول هنا فى القاهرة .. كل ما أردت أن أقوله بصراحة وبلا مواربة ..

وبالطبع فإننى عندما أعود إلى لندن .. فلربما قال لى البعض « حسنا لقد جعلت الجرم مضاعفا لأنك اقترفته وأنت فى صحبة أنتونى ناتنج » .. ولست أدرى الآن ماذا سيكون ردى عليهم ولكننى أظن بأن لدى بعض الوقت لكى أجهز ردا مفحما ..

والآن وبعد أن استمعنا إلى حساب شامل لـ ١٩٥٦ .. وبالطبع فأنا واثق من

أنه كان من الواجب أن نفكر بإمعان فى هذا الحدث ونتائجه .. لأنه كان حدثا خطيرا وهاما فى تاريخ هذا القرن .. ومن ثم فإنه من الصواب أن ندرسه بإمعان وكما يجب أن يكون الدرس .. وأن ندرس نتائجه وكل ماتفرع عنه ..

إن هذا الذى حدث عام ١٩٥٦ .. كان فضيحة شائنة إلى أقصى حد ، وإذا كنت أتكلم عن بلدى فإننى خجل من الدور الذى لعبته فى هذا الحدث .. ولكننى أومن بأن مواجهة هذه الحقيقة بصراحة خير من محاولة اخفائها أو مواراتها أو تبريرها فى كتب التاريخ أو فى أى مكان آخر ..

وإننى أومن بأنه أفضل ألف مرة أن نواجهها وأن نعترف بها ، وعلى الأخص لأن كثيرا من الأمور الذى ناقشناها وتدارسناها كانت على درجة كبيرة من الأهمية والارتباط بهذا الحدث .. وفوق ماكشف لنا السير انتونى ناتنج فى حديثه فى الدقائق السابقة ..

وبدورى أود أن أعلق فى الختام على هذه القضية وأختار منها الجوانب التى يمكن أن يكون لها تأثير واستخدام فى الحاضر والمستقبل .. وإذا كانت المناقشات هنا قد أغفلت مناقشة أى جانب من الجوانب فإن هناك جانبا واحدا .. حقيقى أن كثيرا من المتحدثة قد مسه عرضا .. ولكنه لم يعط حقه فى المناقشة .. وهو دور الأمم المتحدة ودور ميثاق الأمم المتحدة فى القضية كلها .. وأعتقد بالطبع أنه كان دورا رئيسيا له أهميته ..

فى عام ١٩٥٦ استطاعت الولايات المتحدة والدول المعارضة للتصرف البريطانى الفرنسى الإسرائيلى .. استطاعت هذه الدول أن تنقل القضية إلى ساحة الأمم المتحدة .. وهناك أمكن استصدار الحكم السليم من الأغلبية العريضة من الدول التى كانت تشكل منها الأمم المتحدة ذلك العام عام ١٩٥٦ ..

وكما قلت بالأمس للبعض الذى حاول أن يخلق نوعا من المقارنة بين قضية فولكاند وقضية السويس .. أن الأمم المتحدة قامت بدورها أيضا هنا .. ولكن

أود أن أؤكد .. من وجهة نظرى .. أنه لايوجد أى نوع من التشابه أو المقارنة بين الحدثين .. وأن ما فعلته بريطانيا عام ١٩٨٢ كان تصرفا سليما لأننا أخذنا القضية مباشرة إلى الأمم المتحدة واستطعنا أن نحصل على التأييد المطلق من الدول الممثلة فيها .. وهكذا فإنه من الخطأ الجسيم أن يدعى البعض على أى وجه من الوجوه أن القانون الدولى المتجسد فى ميثاق الأمم المتحدة يمكن أن يكون غير مناسب بالنسبة لبعض القضايا وأنه يمكن تنحيته جانبا .. هذا أمر غير مقبول ويجب ألا يحدث ..

إن الأمور عندما تتفاقم وتصل إلى حد الأزمة .. فإن العالم يجب أن يعود إلى الالتزام بالقانون الدولى وأن يعود إلى التمسك بالمؤسسات التى تتولى تطبيقه ..

أقول ذلك وأنا استرجع فى ذاكرتى عام ١٩٤٥ .. عندما كنت صحفيا يراقب مؤتمر سان فرانسيسكو الذى انبثقت عنه الأمم المتحدة .. وأنا استرجع الجدل والمناقشات التى جرت هناك .. وما من أحد هناك كان يتصور أنه يمكن الوصول إلى عالم أكثر أمنا .. دون أن نتمكن من اقامة منظمة الأمم المتحدة .. وميثاقا يقنن خطاها ومسلكها ..

ولقد ناقشنا وجادلنا عندئذ .. والدول جميعها على اختلافها ناقشت وجادلت ثم اتفقت على ميثاق صالح للعمل بموجبه .. ميثاق تلتزم به كل الدول على طول العالم وعرضه ..

وبالطبع كنا نعلم أننا لن نستطيع بين عشية وضحاها أن نخلق عالما جديدا .. وأن نقيم مؤسسات مثلى لا يأتيها الباطل .. ولكنهم استطاعوا أن يتوصلوا إلى إقامة مؤسسة ساعدت على منع وقوع حرب عالمية أخرى ..

ولدينا تحذير خطير .. مثال واقعى عاصرناه .. عندما انهارت عصبة الأمم .. وكان السبب الرئيسى لانهيارها أن بعضا من القوى الرئيسية التى وقعت على اتفاقها قد فشلت فى احترام توقيعها .. ويحزننى أن أقول إن انهيار عصبة الأمم نتيجة الفشل فى مساندة ميثاقها واجراءاتها ودورها ..

ولكن واحدا من الدروس المستفادة والتى يتحتم علينا أن نتعلمها من هذين الحربين العالميتين .. وأيضا مما حدث فى السويس .. هذا الدرس هو أن هناك ضرورة مطلقة فى أن نتشبث بالميثاق الذى يحكم مسلك الدول والأمم .. وأن يتشبث بضرورة أن يكون مسلك هذه الدول ملتزما بنصوص هذا الميثاق ..

فإذا جاء من يقول إن هذا الميثاق لايتسق مع ظروفنا الراهنة فإننى عندئذ أحيله على القضية التى كشفنا جوانبها فى مناقشاتنا خلال اليومين الفائتين .. إنى أحيله على قضايا الشرق الأوسط .. وأحيله على قضية الهجوم على ليبيا الذى انفردت بالقيام به الولايات المتحدة الأمريكية والذى يؤسفنى أن أقرر أن هذا العدوان قد صادقت عليه حكومة بريطانية قدمت القواعد الجوية على أرضها لتيسر على أمريكا القيام به ..

وفى تقديرى أن هذا العدوان كان خرقا فاضحا للقانون الدولى وللالتزامات التى ينص عليها ميثاق الأمم المتحدة ..

وإذا كانت الولايات المتحدة قد عانت بالفعل .. بغير حق .. من بعض التصرفات الارهابية ضد البعض من رعاياها .. فإن الولايات المتحدة ليس لها أنه لمجرد حدوث ذلك فإن من حقها أن تتصرف كما تصرفت .. لأن التصرف الذى أقدمت عليه كان اجتراء على الأمم المتحدة .. وكان التصرف السليم يوجب على الولايات المتحدة أن ترفع الأمر للأمم المتحدة .

ونفس الحكم يسرى على الأحداث الأخرى .. يسرى على حالة سوريا التى أثرناها هنا فى مناقشاتنا .. فليس للحكومة البريطانية .. أو أية حكومة أخرى أيا كانت .. أن تأخذ فى يدها الحق فى القيام تلقائيا وبمفردها بأعمال الردع والانتقام حيال اضرار أصابتها .. إن ميثاق الأمم المتحدة لايعطى لأية دولة الحق فى أن تقرر بنفسها هذا الاجراء ..

وإذا قيل إن ميثاق الأمم المتحدة يكفل للدول حق الدفاع عن النفس .. فإنه من التشويه البشع لمعنى الحق فى الدفاع عن النفس .. أن يقال إن من حق

أية دولة .. بريطانيا كانت .. أو أمريكا .. أو إسرائيل .. أو أية دولة أخرى أن تأخذ فى يدها الحق فى الرد المنفرد على الأعمال العدوانية الموجهة إليها ..

إن اتباع هذا المسلك سوف يقودنا حتما إلى فوضى دولية واسعة المدى .. الأمر الذى يعرض العالم كله للدمار إذا ما ساد هذا المفهوم .. إنه مفهوم مدمر وغير مقبول وغير محتمل ..

ومن الانصاف أن أقول .. كما أكدت فى كلمتى بالأمس .. إن الحكومة البريطانية قد ظلت إلى اللحظة الأخيرة.. قبل أن تتنكب الطريق فى قضية العدوان على ليبيا .. قد ظلت تقف فى الأمم المتحدة إلى جانب المبدأ السليم .. على أنها على الأخص قد عارضت بالذات .. التصرفات الانتقامية التى اتخذتها إسرائيل ضد الدول المجاورة لها .. هذه التصرفات التى لم يكن لإسرائيل أى حق فيها على الاطلاق ..

ومن هنا فإن علينا جميعا .. على كل الدول .. الدول الكبرى .. وأيضا الدول الصغرى .. علينا جميعا الالتزام المطلق بالعمل نحو استعادة الاحترام الكامل واللائق لميثاق الأمم المتحدة .. بل إنه من مصلحتنا جميعا أن يسود هذا الاحترام للميثاق وللقانون الدولى .. وأن نعمل جميعا على ألا تقوم أية دول .. أيا كانت هذه الدول .. بتشويه هذا الميثاق أو بتشويه القانون الدولى إذا ما سعت ان تتخذ من أى منهما ذريعة للقيام بأعمال هى فى حد ذاتها عدوان صارخ وخرق فاضح لمبادئ هذا الميثاق ولمبادئ القانون الدولى ..

هذه هى قمة القضية .. وإلا فإن علينا أن نتساءل إذا ما كنا سنواجه مرة أخرى مأساة من نوع مأساة السويس بصورة أو بأخرى ..

ولذلك فإننى أكرر بإصرار : أنه ما من دولة مخولة أن تأخذ فى يدها الحق فى اتخاذ اجراءات انتقامية .. وإنما عليها أن ترفع قضيتها إلى السلطة الدولية وأن تسعى إلى أن تنال التأييد هناك .. وعندئذ يصبح للتصرف شرعيته ..

ولقد حدث هذا بالفعل فى حالات عدة من قبل .. وعندما كانت

الاجراءات تتخذ تحت مظلة السلطة الدولية .. فإن هذا المسلك كان يستعيد بعض النظام فى عالم عز فيه النظام والاستقرار ..

هذا حدث بالفعل عام ١٩٥٦ .. عندما أوقف العدوان على مصر.. لم يوقف هذا العدوان فقط كنتيجة لمقاومة الشعب المصرى .. ولم يوقف فقط بسبب معارضته من جهات متعددة .. سواء من جانب حزب العمال البريطانى أو من جانب معارضة الكثيرين له فى بريطانيا .. ولم يوقف بسبب تدخل الولايات المتحدة الأمريكية .. رغم كفاءة وفعالية هذا التدخل فى حينه ..

ولكن أوقف هذا العدوان أيضا لأنه كان هناك مفهوم سائد على الصعيد العالمى باحترام النظام الدولى .. وبسبب توقير ميثاق الأمم المتحدة الذى التزمت بالتمسك به والذود عنه جميع الدول بما فيها بلادى بريطانيا ..

وعندما نقضت بلادى التزامها بهذا الميثاق .. وعندما أهدرت مبادئه بما فعلته عام ١٩٥٦ .. جوبهت بالعداء والمعارضة لفعلتها .. وكان هذا العداء مثمرا .. أفاد العالم بأكثر مما أفادته الاجراءات الأخرى ..

وإذا كان لى أن أقول من جديد .. وأؤكد بكل ما استطيع من قوة .. أنه ليس هناك فى هذا العالم الممزق المضطرب .. الذى يعيش على قنبلة تكاد تنفجر فى أية لحظة فتمزقه إربا .. ونحن جميعا نعيش تحت هذا الشعور .. ونعرف هذه الحقيقة .. إننا نعيش فى عالم ظروفه أخطر بكثير مما كانت عليه عام ١٩٥٦ ..

أقول ليس هناك ماهو أكثر أهمية من الالتزام بقاعدة أنه ما من دولة بمفردها لها أدنى حق فى أن تفرض وتملى على هذا العالم وفق هواها .. الكيفية التى تدار بها أمور هذا العالم وأن تنظم له إدارة شئونه :. ما من دولة فى هذا العالم لها أدنى حق فى أن تتصور أن لديها من الحكمة ما يمكنها من أن تفعل ذلك .. ما من دولة لها الحق فى أن تأخذ فى يدها وحدها السلطة الدولية ..

إننا لكى نصل إلى إقامة سلطة دولية .. وصلنا إليها كنتيجة للتجربة المريرة التى خضناها خلال حربين رهيبتين فى عالما هذا خلال القرن الذى نعيش فيه ..

لقد أسسنا منظمة لكى نؤكد ونضمن تواجد سلطة دولية تعلو السيادة الفردية القومية لمختلف الدول .. هذه السلطة الدولية هى التى يجب أن نستعيدها ونؤازرها .. وعندما تحاول القوى الأعظم أن تتخطى هذه السلطة .. فإن علينا نحن القوى الأقل قدرة أن نتضامن جميعا لكى نحول دون هذا التخطى ..

وفى هذا الأسبوع بالذات لم نكن نناقش مجرد موضوعات محلية .. أو موضوعات فرعية .

فى هذا الأسبوع بالذات فى اجتماع لمجلس الأمن كان هناك تصويت حول قضية نيكاراجوا .. ولنيكاراجوا كل الحق فى أن ترفع قضيتها إلى المحكمة الدولية قبل كل شىء .. ولكنها رفعت قضيتها أمام مجلس الأمن .. وكان هناك تصويت فى مجلس الأمن .. ورغم أن أغلبية المجلس قد صوتت إلى جانب نيكاراجوا .. إلا أنه يحزننى أن أقول إن بلادى عن طريق ممثل بريطانيا العظمى فى المجلس لم يؤيد القرار الذى كنت أعتقد أنه يقوم على أسس متينة من القانون الدولى وعلى أساس الأغلبية التى أقرته ..

ولنقلها صريحة واضحة أن الدولة الأعظم قوة فى هذا العالم قد تحدت هذا القرار الصادر من أعلى سلطة دولية فى العالم .. وهو مجلس الأمن ..

وإذا كانت أعظم دولة فى هذا العالم قد فعلت ذلك فإنها تدين نفسها إدانة لم تتحملها أية دولة أخرى فى عالمنا هذا ..

إن ظروف العالم اليوم تعد أخطر ظروف عرفناها وأن علينا أن نستعيد أعظم السلطات للقانون الدولى ولدينا الأداة والقدرة على تحقيق ذلك .. وفى اعتقادى أنه من مصلحة كافة الدول أن تتأكد من تحقيق هذه الغاية ..

وأعتقد أن هذا القصد كان من أهم الأمور التى ناقشناها هنا فى هذه الندوة .. ومناقشتنا له كان واحدا من الأسباب التى جعلتنى أعتقد أن هذه الندوة كانت على درجة عالية من الأهمية ..

وشكرا ،،

الأستاذ أحمد حمروش : شكرا لمستر مايكل فوت ويبدو أن القوتين الأعظم قد اتفقا على رأى واحد فقد اتفق ديميتشنكو وستيفن جرين على أن يتحدث ستيفن جرين أولا ثم ديميتشنكو وأن يتكلم كل منهما دقيقة واحدة ..

مستر ستيفن جرين : أعتقد أنه يمكن إثارة جدل طويل حول ما جرى عام ١٩٥٦ .. سواء فترة الأزمة أو الفترة القصيرة السابقة عليها .. وأنا شخصيا أركز بصفة خاصة على الفترة التى سبقتها حيث أعتقد أنه ربما أتيحت فى تلك الفترة آخر فرصة لإجراء نوع من التفاوض بقصد إقرار السلام فى الشرق الأوسط .. نعم كانت الفرصة الأخيرة لإقرار سلام غير ذلك السلام الذى أسفر عنه تدخل الولايات المتحدة .

فى عام ١٩٦٧ تغيرت سياسة الولايات المتحدة تغيرا أساسيا تجاه الشرق الأوسط .. لقد توقفنا عن أن نكون وسطاء بين طرفين وتحولنا إلى مصنع للسلاح يمد إسرائيل بكل ما تريد ..

وفى عام ١٩٧٣ تغيرت السياسة المصرية تغيرا أساسيا وعميقا .. فقد تخلت عن دورها كقيادة طبيعية للشرق الأوسط واختارت أن تضع ثقتها وآمالها فى شىء لا أدرى كنهه بالضبط ..

وعلى أية حال فقد كانت مصر أول دولة على الاطلاق فى التاريخ الحديث تنزع سلاحها بنفسها طواعية واختيارا ومن جانب واحد ..

ومن عام ١٩٧٣ حتى عام ١٩٧٩ أصبحت مصر دولة ليس فى جعبتها شىء على الاطلاق ومن ثم فإن الرئيس السادات قد اتخذ خطوته التى كانت فى غاية الجرأة .. بأن يذهب إلى القدس خالى الوفاض ..

فى ذلك الوقت لم تكن جعبة المستر بيجن خالية بل كانت مدججة بالسلاح الأمريكى .. وكانت النتيجة بالطبع هذا الاتفاق الذى تم عام ١٩٧٩ والذى

كان نتيجة حتمية لمجريات الأمور .. تماما مثلما تمسك ببرتقالة وتنظفها ثم تلقى بها فى الهواء وترقبها فإذا هى لا تصل إلى السقف وإنما تقع لترتطم بالأرض .. وكانت النتيجة التى حدثت بعد كامب ديفيد نتيجة حتمية وواقعية مثل ارتطام البرتقالة بالأرض ..

فقد مضت إسرائيل فى طرح القانون الذى يسمح للحكومة الإسرائيلية بمصادرة الأراضى لإقامة المستوطنات عليها وتم إقرار هذا القانون بعد عشرة أيام فقط من توقيع اتفاقية كامب ديفيد .. ومن بعد ذلك توالت الأحداث فقررت إسرائيل ضم الجولان .. وضم القدس وضرب المفاعل الذرى العراقى بالقنابل .. وضرب بيروت بالقنابل عام ٨١ .. ثم ضرب وغزو بيروت عام ١٩٨٢ ..

كل هذه الاحداث كانت حتمية .. كانت بالفعل حتمية ترتيبا على ما جرى قبلها .. ولكن أين نذهب الآن مما نحن فيه ؟

إن مالم نتعلمه من أزمة السويس هو أننا اعتمدنا على الولايات المتحدة الأمريكية لكى تتدخل وتصلح الأمور .. ولكن هذه الأيام الذى كان فيها تدخل الولايات المتحدة يصلح الأمور .. أيام مضت بغير رجعة .

هذا هو رأيى قد يختلف معى البعض ولكن بالنسبة لى فهو توكيد لا أحيد عنه ..

وأنا أعتقد أن دوركم سواء كان لديكم السلاح أو لم يكن لديكم فإن دوركم سيظل مهما ولازما ..

وأعتقد أن الأهم هو أن تجعلوا الولايات المتحدة تعانى من الألم .. ولست أعنى أن يكون ذلك عن طريق زيارة رئيس دولة ثم زيارة رئيس دولة أخرى .. إلى واشنطن حيث تجلسون فى غرف مغلقة وتتحدثون عن الواقع والحقيقة .. إن هذا ليس فيه الكفاية ولن يحقق شيئا .. والمطلوب منكم الآن أن تملأوا جعبتكم من جديد ..

أنا آسف ولكن هذا هو ماوصلت إليه من رأى ولست أدعوكم .. كما قلت من قبل .. أن تعاودوا من جديد دورة الحرب .. فليس عليكم أن تفعلوا ذلك الآن ..

إن جانبا كبيرا من قوة الدولة وصلابتها ينبع من طبيعتها .. ينبع من حقيقة أن تعرفوا من أنتم .. وإن لديكم قاعدة صناعية وتكنولوجية .. ولديكم زعامة طبيعية فى المنطقة التى تعيشون فيها ..

وعلميا فإن لديكم بعض البدائل ... لكى يكون لديكم بعض الثوابت التكنولوجية .. وإذا عدنا إلى ما قاله بن جوريون فى اجتماع سيفر ومخاوفه من الاليوشن المصرية .. وتراجعه عن القيام بالعدوان على مصر فى مواجهة تواجد مثل هذا السلاح لديها .. إذن فالدرس واضح أمامكم .. ولن أذهب فى حديثى إلى أبعد من هذا ..

وشكرا ،،،

ندوة مفيدة

الأستاذ أحمد حمروش : شكرا للكاتب الكبير ستيفن جرين .. والكلمة الآن للكاتب السوفيتى ديمتشنكو..

السيد ديمتشنكو : أشكر السيد الرئيس ..

أعتقد أنه من الصعب جدا أن يقال شىء جديد له قيمة خاصة بعد كل ماقيل من جانب الفريق الانجليزى الموقر بما فيهم المستر مايكل فوت والسير أنتونى ناتنج والمستر كيث كايل .. وبالطبع أيضا بعد ما قاله المستر ستيفن جرين .. ولكننى سأحاول وأرجو أن تمنحونى دقيقة أو نصف دقيقة ..

أعتقد أن هذه الندوة كانت مفيدة للغاية .. وأعتقد أن هذه الندوة قد فتحت صفحة جديدة فى مناقشات.صريحة ومفتوحة حول عديد من القضايا

المحلية والدولية وخاصة قضية السلام فى الشرق الأوسط بل وعلى الصعيد الدولى ..

لقد أتاحت لى هذه الندوة أن ألتقى هنا بعديد من الاصدقاء وأن اطلع على كثير من الأفكار والآراء .. وأعتقد أنها كانت بالنسبة لى أفكارا وآراء جديدة على ..

والآن أريد أن أقول لكم شكرا .. شكرا للسيد حمروش لدعوته لى لزيارة القاهرة .. وإنى لأرجو كل تمنيات التوفيق والنجاح للجنة المصرية للتضامن الأفريقى الآسيوى .. ومرة أخرى أوجه شكرى لكافة الأصدقاء المصريين .. وهكذا أخذت من وقتكم نصف دقيقة فقط .

حضارات مختلفة

الأستاذ أحمد حمروش : شكرا للكاتب السوفيتى ديمتشنكو على التزامه الشديد بالتوقيت الذى أرجو أن يلتزم به مسيو كلود جوليان كما وعد .. دقيقة واحدة ..

المسيو كلود جوليان : سيدى الرئيس شكرا لكم .. وشكرا للجنة المصرية للتضامن الأفريقى وتحريكها واستخدامها ضد حكامها .. فهى تنظر إلى هذه الشعوب وكأنها مجرد قطع تحركها على رقعة الشطرنج العالمية ..

علاوة على ذلك فإن هذه الحكومات أسيرة مفاهيم عصرية تحاول أن تجارى بها الرأى العام وتغفل عن عامل أساسى وهو أن الأفكار والمفاهيم التى تكون عصرية فى لحظة تتراجع بصورة عامة تراجعا مأساويا أمام تطور الواقع العالمى الذى يعيش فيه .. إنها تبنى مواقفها على أساس مفاهيم موقوتة فإذا تصرفت فإنها تتصرف وفق هذه المفاهيم دون أن تلاحظ أن سرعة تتابع الأحداث قد أفرز تطورات كبيرة على هذه المفاهيم ..

وعلاوة على ذلك فإن هذه الحكومات أسيرة أيضا لمفاهيم عفا عليها

الزمان .. وفى الغالب تكون دائما متخلفة عن الزمن الذى تستخدم فيه عندما تحاول أن تملى على الحكومات الأخرى مواقف قد لاتستسيغها هذه الحكومات ولكنها بحكم القوة مرغمة على الرضوخ لها ..

ومثال ذلك فنحن نصر على أن نتحدث عن الحرب الباردة وعن الوفاق وأن نقسم الفترة التى أعقبت الحرب العالمية الثانية إلى مراحل نميز بينها ونقول إن هذه مرحلة اشتدت فيها الحرب الباردة وهذه مرحلة حدث فيها وفاق .. وذلك دون أن نفكر لحظة واحدة أنه فى الفترة التى نسميها بفترة الوفاق كانت الصراعات فى العالم الثالث وفى الشرق الأدنى وفى الهند الصينية القديمة أكثر عنفا وأكثر دموية من الصراعات التى كانت تجرى فى المرحلة المسماة بالحرب الباردة .. ذلك أننا ننظر إلى ما يجرى على القمة .. وننسى أن نتابع الأصابع الخفية لجانب القمة التى تحرك الأحداث عند القاعدة ..

وأخشى أن تكون الحكومات غير قادرة على مواجهة المشكلات الرئيسية لعصرنا الراهن وربما يرجع ذلك إلى الأسلوب المتبع فى اختيار الشخصيات الرئيسية فيها ..

إن المشكلات الرئيسية لعصرنا الراهن ليست فى بادئ الأمر مشكلات اقتصادية ولا هى مشكلات تكنولوجية أو مشكلات عسكرية رغم أهمية هذه المشكلات ..

ولكن المشكلة الرئيسية لعصرنا هذا تكمن فى أن فى العالم ثقافات مختلفة وحضارات مختلفة ..

فهل حكوماتنا قادرة على أن تجعل هذا اللقاء الحضارى والثقافى يتم على شكل حوار وليس على شكل صدام ..

تحية من حمروش

الأستاذ أحمد حمروش : شكرا للكاتب الكبير كلود جوليان رئيس تحرير الموند دبلوماتيك والآن اسمحوا لى أن أقدم كلمة قصيرة جدا فى حدود الالتزام الذى التزم به ممثلو القوى الأعظم وفرنسا ..

السادة الضيوف الأعزاء .. الزميلات والزملاء ..

هناك لحظات يصعب فيها على الإنسان أن يعبر عن مشاعره أو يجيد الحديث عما يطويه صدره وهذا هو ما أشعر به الآن وأنا أتحدث إليكم أيها الأصدقاء والزملاء فى هذا الوقت الذى نكاد نتصافح فيه وداعا على أمل فى لقاء قريب ..

بعد هذه الأيام التى جمعت بيننا فى ود وشوق ورغبة مشتركة فى أن نخرج من هذه الندوة أكثر اقترابا وأعمق فهما وأشد حرصا على ألا تضيع خطوات الماضى هباء لاتنفعنا فى حاضرنا ومستقبلنا ..

لقد أضاءت أفكار المتحدثين من السادة الضيوف والزملاء هذا الحدث الكبير الذى أثر - كما قلت - فى ثوابت كانت راسخة ومتوارثة فى عهود ساد فيها الاستعمار والاحتلال .. وتناوله الجميع من وجهات نظر متعددة تاريخية وسياسية واقتصادية ..

البعض من داخل الدائرة السياسية المغلقة حيث يصنع القرار والبعض من الدائرة الشعبية الرحبة حيث تبلورت إرادة الجماهير فى قرار الزعيم جمال عبد الناصر..

وما أظن أن جانبا من القضية قد أغفل .. ومع ذلك فإنى أعبر عن مشاعر زملائى فى اللجنة المصرية فى تمنيهم فى أن تمتد هذه الندوة أياما أخرى حتى نعيش معا فى هذا الجو الفكرى والثقافى والسياسى العطر والمتميز برحابة الصدر وسعة الأفق والرغبة المشتركة فى بعث الأمل ..

كانت فرصة نادرة أن يلتقى هؤلاء الضيوف الذين قدموا من بلادهم البعيدة

وتجشموا مشقة السفر وحرصوا رغم مشاغلهم على الحضور لمشاركة شعبنا رغبته فى الاحتفال بهذه الذكرى التاريخية النادرة التى أضاء المتحدثون ظروفها التاريخية وأبعادها المستقبلية وطالبوا اللجنة المصرية للتضامن أن تقدم ندوات أخرى فى موضوعات تؤرق صدورنا وتثير همومنا وتطالبنا بأن نتكاتف جميعا من أجل الوصول إلى الحقيقة ..

ونحن على وعد بأن نضع هذه الرغبة موضع التنفيذ بكل ما تتيحه قدراتنا المتواضعة ..

الزميلات والزملاء ..

لا أريد أن أطيل الحديث رغم أن التعليق على الندوة يحتاج إلى وقت طويل ' وأعلن لكم أنه أمام كلمات التقدير والتشجيع التى أحاطت بالندوة فإنها ستكون قريبا بين أيديكم كتابا تقدمها الهيئة العامة للاستعلامات التى حرص رئيسها الدكتور ممدوح البلتاجى على أن يبادر بإعلان رغبته فى المساهمة بهذا الدور ..

وأخيرا .. لم تعد هناك إلا دقائق وينفض هذا اللقاء وتبقى فى نفوسنا الذكريات وهنا أبادر بشكر السادة الضيوف الذين بادروا بتلبية دعوة اللجنة المصرية للتضامن وأسهموا فى نجاح هذه الندوة الدولية ووضعوا لنا أساسا من الثقة وغرسوا فى نفوسنا تطلعا إلى مزيد من ندوات حية متوهجة ..

أرجو أن تحيوا معى السير أنتونى ناتنج الذى قدم لنا صورة معبرة من مركز اتخاذ القرار فى بريطانيا والذى ستظل استقالته من عمله الرسمى مثالا تاريخيا يعطى القدوة لكل الذين تجبرهم الظروف على مواجهة مواقف لاتقبلها ضمائرهم ..

كما أرجو أن نحيى الزعيم العمالى البارز مستر مايكل فوت الذى قاوم العدوان بالاشتراك فى مظاهرات الشعب البريطانى ضد إيدن وفى كتابه الذى نشره عام ١٩٥٧ ..

ونحيى الكاتب السوفيتى مستر ديمتشنكو ممثل الاتحاد السوفيتى الدولة التى

وقفت معنا فى صلابة وصلت إلى حد تقديم انذار لبريطانيا ..

ونحيي الكاتب الأمريكى الشهير ستيفن جرين الذى قدم وجهة نظر موضوعية وغير متحيزة إلا للحق ..

كما نحيي الكاتب الفرنسى الكبير كلود جوليان رئيس تحرير الموند دبلوماتيك الذى عبر بكلمته المخلصة عما نشعر به جميعا من ضرورة ربط الماضى بالحاضر ..

ونحيي أيضا البروفسور مارتن روبا أستاذ التاريخ فى أكاديمية العلوم فى ألمانيا الديموقراطية والكاتب البارز الذى صدر له أكثر من كتاب حول القضايا العربية الراهنة وهو رئيس جمعية الصداقة الألمانية المصرية ..

ونشكر السيد ياسر عرفات رئيس اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية على إيفادة الأستاذ أحمد عبد الرحمن المتحدث الرسمى للمنظمة والذى عبر بكلمته عن الموقف العربى الشامل ..

وكذلك أرجو أن نقدم التحية لمندوب جبهة التحرير الجزائرية الأخ خليفة الجنيدى الذى نحتفل معه اليوم بعيد انطلاقة الثورة الجزائرية فى الفاتح من نوفمبر ..

كذلك نقدم التحية للكاتب البريطانى كيث كايل ..

أما الزملاء المصريون الذين شاركوا بالبحث والحديث والاعداد فهم كانوا جميعا يشكلون فريقا متجانسا يعمل على نجاح الندوة .. ولكننى أنوه بصفة خاصة بالأخ الصديق الكاتب الكبير محمد حسنين هيكل الذى كان بحق فى موقع المسئولية من هذه الندوة وحديثه كان محل تقديركم جميعا وكان تعاونه قبل الندوة ذا أثر كبير فى حسن اعدادها وسلامة مسارها .. وكذا الأخ العزيز والصديق الحميم أمين هويدى الذى قدم لكم بحثا أثرى الندوة بفكر جديد ..

والأخ عبدالمجيد فريد الذى لعب دورا كبيرا فى الإعداد لهذه الندوة .. يبقى زميلنا العزيز وصديقنا الحميم الذى قدم من اليمن لينال إعجابكم وتصفيقكم

ومحبتكم والذى نشكره على كلمته التى أثارت أكبر تقدير عند كافة الزملاء .

السادة الضيوف الأعزاء الزميلات والزملاء ..

مرة أخرى أكرر الشكر للسادة الضيوف ولكم على تفضلكم بالمشاركة وأثراء الندوة بأفكاركم ولا أقول وداعا وإنما إلى لقاء قريب ..

والسلام عليكم ......

رقم الإيداع : ٨٨ ٤٤٧٥
الترقيم الدولي : ٣ ـ ٠٤٨ ـ ١٤٨ ـ ٩٧٧

مطابع الشروق

القاهرة: ١٦ شارع جواد حسني - هاتف: ٣٩٣٤٥٧٨ - ٣٩٣٤٨١٤ - برقيا: شروق - تلكس: [illegible] SHROK UN
بيروت: ص.ب: ٨٠٦٤ - هاتف: ٣١٥٨٥٩ - ٨١٧٧٦٥ - ٨١٧٢١٣ - برقيا: داشروق - تلكس: SHOROK 20175 LE

الغلاف للفنان حلمى التونى





وثائق وشهادات تاريخية بأقلام :

محمد حسنين هيكل
أمين هويدى
محمد عزت كامل
مايكل فوت
أنتونى ناتنج
ديمتشنكو
ستيفن جرين
كلود چوليان
كيت كاسل
مارتن روبا
خليفة الجندى
أحمد عبد الرحمن

© دار الشروق

القاهرة : ١٦ شارع جواد حسنى - هاتف : ٣٩٣٤٥٧٨ - ٣٩٣٤٨١٤
بيروت : ص ب : ٨٠٦٤ - هاتف : ٣١٥٨٥٩ - ٨١٧٧٦٥ - ٨١٧٢١٣